الجامعة المصرية

مجلة

كلية الآداب

المجلد الثالث

الجزء الثانى

ديسمبر ١٩٣٥

تصدر هذه المجلة مرتين فى السنة . فى مايو وفى ديسمبر . وثمن النسخة بما فيا البريد ١٠ قرشاً صاغاً وتوجه المكاتبات الخاصة بها الى سكرتير التحرير شفيق غربال بكلية الآداب بالجيزة .

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة

الجامعة المصرية

مجلة

كلية الآداب

المجلد الثالث — الجزء الثانى ديسمبر ١٩٣٥

موضوعات المجلة

القسم العربى :

القسم الأوربى :

دراسات تاريخية اقتصادية

لعصر محمد على

لأحمد أحمد الحتة

القسم الأول

الاحتكار والنظام الزراعى

احتكار محمد على للتجارة الخارجية فى بعض المحصولات الزراعية — التصريح بحرية التجارة فى الغلال وحدود هذه الحرية — أمثلة مما فرضت الحكومة على المزارعين تقديمه من أصناف — ما يتبع فى وزن أو كيل المحصولات المحتكرة وفى تقدير أثمانها ، وضرر الاحتكار بالفلاح — أثر الاحتكار فى النظام الزراعى — إجبار الفلاحين على زراعة المحصولات المحتكرة — إنشاء ديوان خاص للعناية بأمر هذه المحصولات — تعليم الفلاحين طرقاً زراعية جديدة — ما يتبع فى زراعة الأصناف المحتكرة — حالة الفلاح تحت هذا النظام

احتكار محمد على للتجارة الخارجية فى بعض المحصولات الزراعية :

كانت تجارة القمح مع الانجليز من أهم موارد دخل محمد على باشا فى أوائل عهده ؛ فلقد حدث فى السنوات ١٨٠٩ و ١٨١٠ و ١٨١١ قحط شديد فى ممالك البحر الأبيض المتوسط سوى مصر ، ولقد عارض الباب العالى فى تصدير القمح إلى الخارج ؛ ومع ذلك فإن الباشا لم يمتنع عن تصدير القمح ، وقد كتب ميست Mssett. فى سنة ١٨١١ أن محمد على « يرفض إطاعة أى أمر من أوامر السلطان

يكون حجر عثرة فى سبيل أرباحه » لأنه كان يبيع أردب القمح للانجليز بثمن بين تسعين قرشاً ومائة قرش ؛ بينما كان ثمن الأردب فى الأسواق بمصر يبلغ العشرين قرشاً[١].

هـذا وفى السنوات ١٨١٠ و ١٨١١ و ١٨١٢ قد جبى محمد على مال الأطيان عيناً من نفس المحصول ؛ وأخذ يتاجر فيما جباه من المحصولات نظير مال الأرض ويرسله إلى البلاد الأجنبية ، « ولما رأى بالاختبار أن فى تصديرها (الغلال) ربما يفوق كثيراً بيعها فى محل وجودها وما كان يرد الخزينة لو جبيت الضرائب نقداً وسع نطاق شغله ولم يقتصر على تصدير الغلال التى كانت ترد مخازن الحكومة بدل الضريبة ؛ بل صار يشتري من الفلاحين حاصلاتهم ويصدرها إلى الخارج »[٢].

ففى ذى الحجة سـنة ١٢٢٧ (ديسمبر سنة ١٨١٢) أمر الباشا جميع حكام الوجه القبلى « بحجز جميع الغلال والحجز عليها لطرفه ، فلا يدعون أحـداً يبيع ولا يشترى شيئاً منها ولا يسافر بشىء منها فى مركب مطلقاً ، ثم طلبوا ما عند أهل البلاد من الغلال حتى ما هو مدخر فى دورهم للقوت وأخذوه أيضاً ثم زادوا فى الأمر حتى صاروا يكبسون الدور ويأخذون ما يجدون من الغلال قلّ أو كثر ولا يدفعون ثمناً ؛ بل يقولون لهم يحسب لكم ثمنه من مال السنة القابلة ، ويشحنون بذلك جميع مراكب الباشا التى استجدها وأعدها لنقل الغلال ثم يسيرون بها إلى بحرى فتنقل إلى مراكب الإفرنج بحساب مائة قرش عن كل أردب »[٣].

كذلك فى سنة ١٢٢٧ (سنة ١٨١٢) استولى الباشا على جميع مزارع الأرز بالبحر الغربى والشرقى واستخدم مباشرين وكتابا يعرفون ما تحتاج إليه من الكلف

---

(١) Chorbal «the Begingings of the Egyptian question and the Rise of Mohamed Ali» 1928, PP. 281, 282.

(٢) أرتين . الأحكام المرعية ص ١٣٧ .

(٣) الجبرتى جزء رابع ص ١٦٢ .

والتقاوى والبهائم « وعند استغلال الأرز يرفعونها بأيديهم ويسعرونها بما يريدونه ويستوفون المصاريف ومعاليم القومة والمباشرين المعينة لهم ، وإن فضل بعد ذلك شيء أعطوه للمزارع أو أخذوه منه وأعطوه ورقة يحاسب بها فى المستقبل ، وفرض على كل دائرة من دوائر الأرز خمسة أكياس فى كل سنة خلاف المقرر القديم ، وعلى كل عود ثلاثة أكياس ، فاذا كان وقت الحصاد وزنوه شعيراً على أصحاب الدوائر والمباشر حتى إذا صلح وابيض حسبوا كلفه من أصل المقرر عليهم ، فان زاد لهم شيء أعطوهم به ورقة وحاسبوا بها من قابل ، وأبطل تعامل المزارعين مع التجار الذين كانوا معتادين بالصرف عليهم ، واستقر الحال إلى أن صار جميعه أصلا وفرعا لديوان الباشا ، ويباع الموجود على ذمته لأهل الأقاليم المتسببين وغيرهم ، وهو عن كل أردب مائة قرش بل وزيادة ، وللأفرنج وبلاد الروم والشام بما لا أدرى »[١] .

وكان التاجر يدفع عوائد عن مقدار ما يريد نقله من الأرز إلى الخارج ويعطى بيولردى بذلك ، وهاك مثلا لما كان يحدث « حيث أن التاجر بوسيه قد دفع إلى الخزينة قيمة عوائد مائة أردب أرز رشيدى التى يريد أن يشتريها من محل مايريد وينقلها إلى الخارج ، ولأجل عدم منعه حين نقل المائة أردب الأرز الرشيدى السابقة الذكر من قبل الناظر صار إصدار وتحرير هذا البيولردى من ديوان مصر فى ١٣ ذى القعدة سنة ١٢٣٠ (أكتوبر سنة ١٨١٥) ، وينبغى إجراء العمل بموجبه »[٢] .

وفى سنة ١٢٣١ (سنة ١٨١٦) حجر الباشا على « المزارع التى يزرعها الفلاحون فى الأراضى التى يدفعون خراجها من الكتان والسمسم والعصفر والنيلة والقطن والقرطم ، وإذا بدا صلاحه لا يبيعون منه شيئاً كعادتهم وإنما يشتريه الباشا بالثمن الذى يفرضه ويقدره على يد أمناء النواحى والكشاف ويحملونه إلى

---

(١) الجبرتى جزء رابع ص ١٦٤ و ١٦٥ .

(٢) دار المحفوظات . بيولردى بالتركى بالمتحف .

المحل الذى يؤمرون بحمله إليه ويعطى لهم الثمن أو يحسب لهم من أصل المال فإن احتاجوا إلى شىء من ذلك اشتروه بالثمن الزائد المفروض ، وكذلك القمح والفول والشعير لايبيعون منه شيئاً لغير طرف الباشا بالثمن المفروض والكيل الوافى »(١) .

كذلك فى سنة ١٢٣١ (سنة ١٨١٦) حددت حرية أهالى الصعيد فى بيع بعض محصولاتهم ، فقد التزم نصرانى من الأرمن « بقلم الأبزار التى تأتى من بلاد الصعيد مثل الحبة السوداء والأنيسون والكمون والكراوية ونحو ذلك ويتولى هو شراءها دون غيره ويبيعها بالثمن الذى يفرضه ومقدار ما التزم بدفعه من الأكياس للخزينة خمسمائة كيس . . . ومن داخل الأبزار التمر الابريمى والسلطانى والخوص والمقاطف والسلب والليف ، وبلغ سعر المقطف الذى يسع الكيلة من البر خمسة وعشرين نصفاً وكان يباع بنصف أو بنصفين »(٢) .

ولقد شعر الفلاحون بثقل الاحتكار والضرر الذى لحقهم منه ومكروا ومكر لهم الباشا إذ أرسل أوامره إلى حكام النواحى سنة ١٢٣١ (سنة ١٨١٦) بأنه « عند انكشاف الماء عن الأراضى يتقدمون إلى الفلاحين بأن من كان زارعا فى العام الماضى فدانى كتان أو حمص أو سمسم أو قطن فليزرع فى هذه السنة أربعة أفدنة ضعف ما تقدم لأن المزارعين عزموا على عدم زراعة هذه الأشياء لما حصل لهم من أخذ ثمرات متاعهم وزراعتهم التى دفعوا خراجها الزائد بدون القيمة التى كانوا يبيعون بها مع قلة الخراج الذى كانوا يماطلون فيه الملتزمين السابقين مع التظلم والتشكى فيزرع ما يزرعه من هذه الأشياء من التقاوى المتروكة فى مخزنه ، ثم يبيع الفدان من الكتان الأخضر فى غيطه إن كان مستعجلا بالثمن الكثير وإلا أبقاه إلى تمام صلاحه فيجمعه ويدقه ويبيع ما يبيعه من البزر خاصة بأغلى ثمن ، ثم يتمم خدمته من التعطين والنشر والتحير إلى أن يصفى وينظف من أدرانه وخشوناته

(١) الجبرتى جزء رابع ص ٢٦٨ و ٢٦٩ .
(٢) « « « ص ٢٦٩ .

وينصلح للغزل والنسيج فيباع حينئذ بالأوقية والرطل ، وكذا القطن والنيلة والعصفر . فلما وقع عليهم التحجير وحرموا من المكاسب التى كانوا يتوسعون بها فى معايشهم باقتناء المواشى والحلى للنساء قالوا ما عدنا نزرع هذه الأشياء وظنوا أن يتركوا على هواهم ونسوا مكر أوليائهم فنزل عليهم الأمر والإلزام بزرع الضعف فضجوا وترجوا واستشفعوا ورضوا بمقدار العام الماضى ، فمنهم من سومح ومنهم من لم يسامح وهو ذو القدرة ، وبعد إتمامه وكمال صلاحه يؤخذ بالثمن المفروض على طرف الميرى . ويباع لمن يشترى من أربابه أو خلافهم بالثمن المقدر وربح زيادته لطرف حضرة الباشا مع التضييق والحجر البليغ والفحص عن الاختلاس فمن عثروا عليه باختلاس شىء ولو قليلا عوقب عقاباً شديداً ليرتدع خلافه ، والكتبة والموظفون لتحرير كل صنف ووزنه وضبطه فى تنقلات أطواره »[١] .

وفضلا عن استمرار احتكار الكتان والحمص والسمسم والقطن والنيلة والعصفر وإلزام الأهالى بزراعة تلك الأصناف ، فقد استمر فى سنة ١٢٣١ (سنة ١٨١٦) احتكار الأرز بحيث أن الزارعين للأرز لم يكن فى مقدورهم أخذ شىء منه مطلقاً بل يؤخذ جميعه للباشا بثمن يقدره الباشا ، ثم يبيعه الباشا بثمن يفرضه بعد أن يضرب ويبيض .

ولقد اخترع أحد الأهالى حسين جلبى عجوه آلة سهلة الدوران لدق الأرز وعرضها على الباشا فكافأه على ذلك وأمره ببناء واحدة فى دمياط وأخرى فى رشيد ففعل كما أمر[٢] .

وفى تلك السنة أيضاً سنة ١٢٣١ (سنة ١٨١٦) فرض الباشا على نواحى الوجهين البحرى والقبلى مقادير من الغلال فيلزم حكام النواحى مشايخ البلدان بما تقرر على كل بلد من القمح والفول والذرة ليجمعوه ويحصلوه من الفلاحين وهم أيضاً

---

(١) الجبرتى جزء رابع ص ٢٧١ و ٢٧٢ .

(٢) « « « ص ٢٧٢ .

يعملون بفلاحى بلادهم ما يعملون بجورهم وأغراضهم ، ويأخذون الأقوات المدخرة للعمال وذلك بالثمن عن كل أردب من البر ثمانية ريال ويعطى له نصفها ويبقى له النصف الثانى ليحسب له من أصل المال الذى سيطالب به فى العام القابل »[١] .

وفى جمادى الأولى سنة ١٢٣٢ هـ (مارس سنة ١٨١٧) أصدر الباشا أوامره إلى حكام النواحى « بمنع بيع الفلاحين غلالهم لمن يشترى منهم من المتسببين وغيرهم ، وبأن كل ما احتاجوا لبيعه مما خرج لهم من زراعتهم يؤخذ لطرف الميرى بالثمن المفروض بالكيل الوافى ، واشتد الحال فى هذا الشهر وما قبله حتى قلّ وجود الخبز من الأسواق »[٢] .

وفى ١٧ المحرم سنة ١٢٤٤ هـ (يوليه سنة ١٨٢٨) صدر أمر الباشا بتحصيل الباقى من الغلال وتوريده إلى شوءن الحكومة وفقاً للبيان الآتى :

المطلوب		الزمام
أردب	فدان	
٢٠٤٠٠٠	١٨٤٩٩٩	نصف البهنساوية البحرى
٢٠٠٠٤٢	٢١٤٦١٨	« « القبلى
١٠١٠١٥	٣٦٧٢٤	مأمورية اطفيح
٥٦٧٤١	١٢٢٩٨١	« الفيوم
١٣٠٥٤٥	١٢٤٢٧٥	« المنيا
٣٠١٤٠٠	١٨٣٥٩١	« منفلوط
٢٨٠٠٥٥	١٨٣٢١١	« أسيوط
٢٨٠٠٦٨	١٧٥٥١٠	« جرجا وطهطا
١٥٥٣٨٦٦	١٢٢٥٩٠٩	الجملة[٣]

(١) الجبرتى جزء رابع ص ٢٧٣ .
(٢) الجبرتى جزء رابع ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
(٣) سامى باشا : تقويم النيل جزء ثانى ص ٣٣٦ (مطبعة دار الكتب سنة ١٩٢٨) .

وفى سنة ١٢٣٥ (سنة ١٨١٩ — ١٨٢٠) أصبح البلح بأنواعه وكذا العجوة ثم الجريد والليف والخوص « يؤخذ بالثمن القليل ويباع ذلك للمتسببين بالثمن الزائد وعلى الناس بأزيد من ذلك »[١].

وفى شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٥ (سبتمبر سنة ١٨٢٠) سافر إبراهيم باشا إلى الوجه القبلى « ليجمع ما يجده عند الناس من القمح والفول والعدس، وأخذوا كل سفينة غصباً لحمل الغلال وجمعها فى الشون البحرية لتباع على الأفرنج بالأثمان الغالية »[٢].

ولم يقتصر أمر الاحتكار على محصولات الأرض التى سبق ذكرها؛ بل إنه فى سنة ١٢٣٥ (١٨١٩ — ١٨٢٠) شمل الاحتكار عسل النحل وشمعه « فيضبط جميعه للدولة ويباع رطل الشمع بستة قروش، ولا يوجد إلا ما كان مختلساً ويباع خفية، وكان رطله قبل الحجر بثلاثة قروش؛ فإذا وردت مراكب إلى الساحل نزل إليها المفتشون على الأشياء — ومن جملتها الشمع — فيأخذون ما يجدونه ويحسب لهم بأبخس الأثمان؛ فإن أخفى شيئاً وعثروا عليه أخذوه بلا ثمن ونكلوا بالشخص الذى يجدون معه ذلك وسموه حراميا ليرتدع غيره »[٣].

هذا وفى ٢٨ ذى الحجة سنة ١٢٤١ (أغسطس سنة ١٨٢٦) صدر أمر محمد على باشا لجميع الجهات بمنع بيع الكندر لغير الحكومة وأنها تشتريه بسعر الأردب ٧٥ قرشاً ترغيباً لانتشار زراعته »[٤].

وبالرغم من أمر الباشا سنة ١٢٣٢ (سنة ١٨١٧) بمنع بيع الفلاحين غلالهم إلا للحكومة، فقد حدث سنة ١٢٤٥ (سنة ١٨٢٩) أن محمد أغا مأمور القليوبية

---

(١) الجبرتى جزء رابع ص ٣٣٣.
(٢) سامى باشا: تقويم النيل جزء ثانى ص ٢٨٤.
(٣) الجبرتى جزء رابع ص ٣٣٦.
(٤) الكندر نوع من النباتات يعمل منه الحبال. سامى باشا: تقويم النيل جزء ثانى ص ٢٢٣.

قدم « عريضة » إلى الديوان الخديوى للاستفهام عن شراء غلال سنة ٤٤ للحكومة ممن دفع المطلوبات الأميرية ، فكان الرد بالرفض [١] .

كذلك فإنه لم يزل التجار يتاجرون فى الغلال كما يظهر ذلك من بحث المجلس لاستفهام عمر أفندى ناظر شونة بولاق عن ثمن بيع الحنطة والفول والشعير والعدس من الشونة ، فقد قال أعضاء المجلس : « إذا بيعت الغلال كلها من الميرى فلا يعود ممكناً للمتسببين أن يبيعوا غلالهم بسعر غال أو طمعاً » [٢] .

وفى سنة ١٢٤٥ (أوائل سنة ١٨٣٠) تقرر أن يشترى من الفلاحين جميع الغلال التى تحصل فى سنة ١٢٤٥ ، وقد ذكر أنه « لو أخذ المحتالون الطاعون الغلال التى تحصل فى هذه السنة المباركة لقصدوا فى بيعها للجور والأذى على الفقراء والضعفاء كما دلت على ذلك حركاتهم الردية فى العام الماضى » [٣] .

ولم يقتصر القرار على ما ذكر بالنسبة لغلال الفلاحين ؛ بل شمل غلال أصحاب الأوسية ، فقد نص على إعطائهم من غلال زراعتهم الضرورى لمعاشهم السنوى ، وما بقى يبيعونه إلى الشون الأميرية .

وقد تحرر بذلك إشعارات إلى ديوان المبيعات وإلى المأمورين ، فقد قدم الحاج محمد أغا مأمور القليوبية « شقة » إلى الديوان الخديوى مضمونها أنه وردت إليه خلاصة بضبط جميع غلال سنة ٤٥ وبتوريدها إلى الشون .

ولما جاء وقت محصولات الغلال — هرب بعض الفلاحين الغلال من بلد إلى آخر وباعوها كما يستفاد من شقة أرسلها إلى مجلس المشورة أحمد باشا مدير الأقاليم الوسطى تتضمن أن هذا المدير وجه بعضاً من الضباط والجند لضبط من فعل ذلك ، وإرسال الغلال التى معه إلى الشون بدون ثمن . وقد قبضوا فعلا على بعض الفلاحين

---

(١) الوقائع المصرية عدد نمرة ٤٠ فى ١٨ المحرم سنة ١٢٤٥ .

(٢) الوقائع المصرية عدد ٤٣ فى ٣ صفر سنة ١٢٤٥ .

(٣) الوقائع المصرية عدد ١٤٥ فى ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٤٥ .

الذين قاموا بتهريب الغلال ، و بناء على هذه الشقة قرر المجلس فى ٢٣ ذى القعدة سنة ١٢٤٥ (مايو سنة ١٨٣٠) أن تؤخذ الغلال التى يهرب بها التجار والفلاحون بثمن أنقص من ثمنها الأصلى ، فتؤخذ الحنطة بسبعة ريالات ، وسائر الحبوب بخمسة ريالات[1] .

وقد تغير هذا القرار فى سنة ١٢٤٦ (سنة ١٨٣٠) بالنسبة لغلال التجار فقد أرسل إبراهيم أغا مأمور شرق اطفيح شقة إلى مجلس المشورة مضمونها أنه أرسلت إليه خلاصة رسم بها أنه إذا ضبطت غلال مهربة يؤخذ الأردب من الحنطة بسبعة ريالات وباقى الحبوب بخمسة ويخصم الثمن من المطلوب من أصحابها تأديباً لهم ، ولهذا لم يمكنه أن يخصص شيئاً لمن يضبط الغلال ، واستفهم هل يعطى لهم الثلث على حسب العادة أو لا ؟ فقر القرار على أنه « إن كانت الغلال التى تمسك برانية من المتسببين يؤخذ ثلثاها للميرى ويعطى الثلث الباقى لمن مسكها ، وأما إن مسكت من أصحابها فيؤخذ الأردب الحنطة بسبعة ريالات ، والأردب الفول والشعير والعدس بخمسة ويخصم ثمنها مما يطلب من أصحابها »[2] ، وتحرر بذلك إلى عموم المديرين .

و بالرغم من ذلك فإن بعض مشايخ البلاد قد اشترى فى سنة ١٢٥٠ (سنة ١٨٣٤) غلالاً من الأهالى بأبخس ثمن ، فكان ثمن الأردب من القمح ثمانية ريالات ومن الفول والشعير ستة ريالات وخزنها ليبيعها بأسعار عالية رغبة منه فى الربح ؛ فقد أخرج محمد أغا أبو خضرة ناظر قسمى بلبيس والعزيزية بمديرية الشرقية كثيراً من الغلال من مخازن بعض المشايخ فى نظارته ، وكانت تلك الغلال قد أخذت من الأهالى على الوجه المذكور فأخذها وأرسلها إلى الشون ، و بناء على ذلك أصدر الباشا أوامره فى سنة ١٢٥٠ (سنة ١٨٣٤) إلى جميع المديرين ونظار الأقسام

---

(١) الوقائع المصرية عدد ١٥٠ فى ٩ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ .

(٢) الوقائع المصرية عدد ١٦٧ فى ٢٩ المحرم سنة ١٢٤٦ .

بالبحث عن المشايخ الذين اشتروا غلالاً من الأهالى على الوجه السالف ، وأخذ تلك الغلال وتوريدها لشون الحكومة ، وخصم الثمن لأرباب الغلال من الفلاحين على حسب أسعار الحكومة ، وأخذ ما قبضه الفلاحون من المشايخ وخصمه للمشايخ من أصل المطلوب منهم إن كانت عليهم أموال وإلا فيعطونه ، وقد حذر الباشا نظار الأقسام من الإهمال فى ذلك[١] .

كذلك فى ٢٦ ذى الحجة سنة ١٢٥١ (أبريل سنة ١٨٣٦) صدرت إرادة سنية إلى مدير النصف الأول من الأقاليم الوسطى بمنع أى مشتر للفول ، ذلك لأن الباشا علم أن بيرقدار أحد توابع أحمد باشا سرعسكر الحجاز يشترى ثلثمائة أردب فول من مديرية النصف الأول من الأقاليم الوسطى ؛ فأمر بمنعه هو وأمثاله من المشترين[٢] .

التصريح بحرية التجارة فى الغلال ، وحدود هذه الحرية :

وقد جعل الباشا تجارة الحبوب حرة بناء على نصيحة قنصل انجلترا و بورنج بمناسبة ارتفاع ثمن القمح والخوف من عدم وجوده[٣] .

وقد ذكر كولونيل كامبيل Colonel Campbell قنصل انجلترا فى مصر فى تقريره إلى بورنج فى ١٨ يناير سنة ١٨٣٨ أن « فى الوقت الحاضر بناء على مقابلاتنا أنت وأنا مع الباشا قد ألغى احتكار الحبوب وأصبح توريد و بيع الحبوب مسموحاً فى جميع أنحاء القطر »[٤] .

ومع هذا فنى ٢ المحرم سنة ١٢٥٤ (مارس سنة ١٨٣٨) صدرت إرادة إلى

---

(١) دار المحفوظات : دفتر مجموع نظام زراعة ص ١٦٢ .

(٢) » » » » » » ص ١٦١ .

(٣) Bowring : Op. cit., p. 18.

(٤) Bowring : Op. cit., p. 137.

جميع المديرين بناء على ما وصل إلى سمع الباشا من أن بعض التجار يشترون الغلال قبل حصدها ، ونصت تلك الإرادة على منع مثل ذلك الشراء وتأديب من باع على هذا الوجه وأن تؤخذ الدراهم التى أعطاها التاجر للفلاح للحكومة مقابل ما على الفلاح للحكومة مع عدم إعطاء التاجر المحصول المبيع [٤] .

وفى ٥ جمادى الأولى سنة ١٢٥٤ (يوليه سنة ١٨٣٨) صدرت إرادة إلى سعادة كتخدا باشا هذا نصها : « إنه فى بعض الأحيان بعض الناس يستدعون تسريح حنطة أو شعير أو فول على رسم لزومهم . فمن الآن وصاعد إذا كان أحد ينهى باعطاء تسريح لأجل استجلابه من الغلال المذكورة فيتحرر إلى المديريات بأن الشخص الفلانى أنهى أنه يشترى غلال جنسها ومقدارها كذا ، و بناء عليه يعطى له رخصة بمشتراها برضا أهالى البلد الخالصة من مقطوعية ذلك الصنف و يصير دستور العمل على الوجه المشروح كمطلوبى » [٤] .

كذلك فى ٣ صفر سنة ١٢٥٥ (ابريل سنة ١٨٣٩) صدرت إفادة من الشورى إلى مديرى الوجه القبلى باعطاء التصريح لمن يريد من أصحاب الأبعاديات بنقل محصول غلاله إلى المحروسة أو إلى الأقاليم البحرية بشرط ألا يكون له تدخل أو شركة مع الفلاح ، وإذا أراد أحد أن يشترى المحصول قبل طلوعه يدفع دراهم مقدما ، فتتبع فى ذلك أوامر ٢ المحرم سنة ١٢٥٤ ، وأما إذا أخذ شخص الغلال على حسب السعر الجارى من البلاد التى دفعت ما عليها من المطاليب للحكومة ، فيعطى له التصريح بنقلها حيث يريد [١] .

وفى ١٢ شعبان سنة ١٢٥٦ (اكتوبر سنة ١٨٤٠) صدر أمر الباشا إلى الديوان الخديوى بأنه وإن كان صرح لأصحاب الأرز ببيع محصولاتهم للخارج كيفما

---

(١) دار المحفوظات . دفتر مجموع نظام زراعة ص ١٦٠

(٢) « « « « « ص ١٦٠ .

(٣) « « « « « ص ١٦٠ .

شاءوا ، ولـكن بمقتضى الأصول الجديدة يؤخذ ١٢ ٪ جمركا على المحصولات التى تصدر للخارج ، لهـذا يلزم مخابرة محافظتى دمياط ورشيد بما ذكر والتصريح لهم بعد ذلك وأن يتبع ما ذكر فى شأن بذر الكتان والسمسم وسائر الحبوب (٢٩) .

وقد ظهرت خلاصة عمومية فى سنة ١٢٥٦ (سنة ١٨٤٠) « بابطال مشتريات الأهالى من بعضهم . . و إن كان الأهالى يظنون أنه يصير المبيع من طرفهم ، فبدا من بعد غلاق المال المطلوب منهم ، وأنه إذا لم يصر المبيع بالخسارة يجرى توريده بالاشوان بأسعار الميرى و يصير فايضا [٢] .

وبهذا بطلت مشتريات بعض الأهالى من بعض ، فقد كان بعض الأهالى يشترون صنف القطن وغيره بأقل من أثمان الشون و يوردونه إلى الشون بالأثمان المحددة و يخصمونه فى أى اسم من الأهالى فى دفتر انصراف ، وكان البائعون يرغبون البيع بأقل من أثمان الشون كى يقبضوا الثمن و يتصرفوا فيه كيفما شاءوا .

و بالرغم من الترخيص للتجار بالشراء فقـد كانت الحكومة تعاقب شيخ من يبيع الغلال بثمن بخس ، وقد صدرت إرادة فى ١٣ ربيع الأول سنة ١٢٥٨ (ابريل سنة ١٨٤٢) إلى جميع المديرين بهذا النص : « إنه نظراً لما صار مسموع أن بعض التجار يشترون من مديريتكم الأردب الحنطة بعشرين قرشاً ، وحيث من المعلوم أن عطى رخصة إلى التجار ، فان اقتضى أن يقال شىء لمن أخذ الغلال بهذا الثمن فيكون موجباً للقال والقيل ، فيلزم ألا يقال شىء للتجار ولا يحصل معارضـة للغلال التى كيلوها وأخذوها بثمن البخس ، فينبغى ألا يقال شىء للتجار ولا توضع اليد على الغلال التى كيلوها وأخذوها ، وإنما بائع الغلال بهذا الثمن ينظر هو من أهالى أى بلد تـكون ، وبالتحقق يجلب شيخه و يتورى له المال والبقايا المطلوبة ومقدارها والغلال الجارى قبولها بأشوان الميرى وثمنها وكيف يعطى الغلال للميرى

---

(١) سامى باشا : تقويم النيل جزء ثانى ص ٥٠٩ .

(٢) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ٦٤ .

بهذا الثمن الموجب لخلاص دينه و يبيعها للتجار بالثمن البخس ، و يسئل هل ذلك موجباً لانكسار الأهالى بطاق ثان ، أم كيف و يؤخذ تحت النبوت و يضرب حتى ينقطع نفسه ، و يصير تفتيش النواحى التى باعت الغلال بالثمن البخس و يبادر بالإجراء حكم المشروع »[٣] .

على هذا فقد كان الفلاحون يبيعون الغلال إلى التجار بثمن أقل من ثمن الشون ، وذلك لأن الفلاح إذا ما باع الغلال للتاجر قبض ثمنها فى يده يتصرف فيه كما يشاء . وأما إذا وردها للشون فان الحكومة تحسب الثمن مما عليه لها .

هذا و يظهر لنا من الشقة التى قدمها مدير الشرقية سنة ١٢٦٠ (سنة ١٨٤٤) أن المتعهدين الصغار من الفلاحين والمتعهدين من المشايخ كانوا يبيعون محصولات سنة ٥٩ من القطن والسمسم قبل طلوعها إلى التجار مقدما بسعر القنطار من القطن مائة قرش والأردب من السمسم ٨٥ قرشاً ، ويذكر الباشا فى أمره إلى مدير الشرقية فى ١١ رجب سنة ١٢٦٠ (يوليه سنة ١٨٤٤) أن « هذه الأصول موجبة لضعف حالهم ومستوجبة لخسارة الميرى فى تحصيل الأموال من سنة إلى سنة »[١] .

وقد حدد الباشا علاقة المتعهدين بالأهالى بالنسبة للمحصولات ، وكذا علاقة مستخدمى الحكومة بالنسبة للتجارة فى المحصولات ، فقد ذكر فى سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) أنه من حيث إن أهالى القرى التى فى عهدة الذوات لا يمكنهم بيع محصولاتهم ، وكان هذا باعثاً على أن الذوات المتعهدين بهم يكونون مجبورين على أخذ ما عندهم من المحصولات و بيعها على حسب أصول العهد الجارية إذ ذاك ، فينبغى أن كل من كان مستخدماً فى الحكومة كبيراً كان أو صغيراً لا يأخذ شيئاً من الأصناف والغلال وسائر الحبوب لأجل التجارة من محلات غير جفلكه أو أطيانه التى زرعها بالمال ، وكذا المديرون والحكام الذين فى عهدتهم بلاد

---

(١) دار المحفوظات : دفتر مجموع نظام زراعة س ١٦ .

(٢) دار المحفوظات : دفتر مجموع نظام زراعة س ١٢٢ .

لا يأخذون شيئاً من ذلك للتجارة فى محلات أخرى غير محصولات أهالى بلادهم التى فى عهدتهم ، وكذلك ينبغى أن موظفى الحكومة على اختلاف مراتبهم لا يتجرون فى شىء يتعلق بالمصلحة التى ينتسبون إليها ، وإذا فعل أحد منهم ذلك يؤخذ منه ما اتجر فيه للحكومة ويحبس فى القلعة من ستة أشهر إلى سنتين[١] .

هذا وقد اتبع بعض التجار شراء محصولات المزارعين قبل طلوعها مع إعطائهم مبالغ مقدماً . وتبعاً لذلك صدر أمر عال فى ١٠ ذى القعدة سنة ١٢٦٣ (١ اكتوبر سنة ١٨٤٧) جاء فيه : « إذا كان يظهر ويحصل منازعة بين البائعين والشارين فى أمثال ذلك من جهة البازار فلا تسمع دعواهم بالديوان »[٢] .

هكذا كان احتكار المحصولات الزراعية وما طرأ عليه من التغيير الذى لم يكن بمحض إرادة الباشا بل تنفيذاً لأوامر السلطان الذى عقد معاهدة تجارية مع انجلترا وفرنسا سنة ١٨٣٨ ألزم بها الباشا على إلغاء الاحتكار ، فقد جاء فيما يختص بفرنسا : « فى مقدور رعايا صاحب الجلالة إمبراطور الفرنسيين شراء كل المحصولات الزراعية والصناعية فى جميع أنحاء الامبراطورية العثمانية ، سواء أرادوا التجارة فى الداخل أو التصدير للخارج ، ويعد الباب العالى وعداً صريحاً بإبطال احتكار المحصولات الزراعية والمحصولات الأخرى فى أى ولاية كانت ، كما يمنع عادة التذاكر (التصريحات) التى تطلب من السلطات المحلية لشراء البضائع أو نقلها من محل إلى آخر »[٣] .

ولكن بالرغم مما نصت عليه المعاهدة ، وبالرغم مما سبق من تصريح محمد على بحرية التجارة فإن الحكومة استمرت تجبى الضرائب عيناً من المحصولات بحجة أن

---

(١) دار المحفوظات : دفتر مجموع أوامر جنائية ص ٦٣ .

(٢) دار المحفوظات : دفتر مجموع نظام زراعة ص ١٦١ .

(٣) Marin : « Evênements et Aventures en Egypt en 1839. » T. I. p. 81.

الفلاحين ليس لديهم نقود لدفع الضرائب [١] .

وفى سنة ١٨٤١ اشترى المديرون الحبوب والسمسم لحساب الباشا [٢] .

ومع هـذا فلم تعد الحكومة تجبر الفلاح على توريد محصولات الأصناف إلى الشون كما كان الحال من قبل ما دام قد دفع ما عليه من الضرائب . فقد كتب أرتين بك وزير خارجية مصر إلى القنصل الإنجليزى مرى Murray فى ٧ أغسطس سنة ١٨٤٧ أن « معاهدة سنة ١٨٣٨ — سنة ١٨٤٠ تنص على إبطال الاحتكار ، وأن المالك حر فى بيع محصولاته . وإذا كان الاحتكار هو أخذ الحكومة بالقوة صنفاً معيناً فليس بالقطر المصرى مثل هذا الشراء [٣] .

أمثلة مما فرضت الحكومة على المزارعين تقديمه من أصناف :

هـذا وفضلاً عن احتكار بعض المحصولات الزراعية واضطرار الفلاح إلى توريدها إلى شون الحكومة بالثمن المعين ، فقد كان ملزماً بأداء مطالب أخرى للحكومة ، فقد فرض الباشا فى جمادى الأولى سنة ١٢٣٢ (مارس سنة ١٨١٧) رطلاً من السمن على كل فدان من الأراضى الزراعية مع دفع ثمن له أقل من الثمن المتداول . وأصبح الفلاح ملزماً بأداء ما يخصه من السمن بنسبة ما يزرعه من الأفدنة حتى اضطر إلى شرائه بالثمن المتداول فى حالة عدم وجوده عنده [٤] .

وقد أرسل زكى أفندى مأمور الشباسات صحيفة إلى الديوان الخديوى وأحيلت على مجلس المشورة مضمونها أنه تقدم أن أرسلت إليه خلاصة بتحقيق عدد الفدادين التى فى قرى مأموريته لفرض السمن عليها ، وأنه كشف عن ذلك بمعرفة مباشر

---

(١) Merruau : « L'Egypte Contemporaine. » p. 70.

(٢) Hamont : Op. cit., t. II. pp. 521, 522.

(٣) Quoted by Sabry : L'Empire Egyptien sous Mohamed Ali p. 557.

(٤) الجبرتى جزء رابع ص ٢٩٢ .

القسم ، فوجد أن عدد الفدادين ثمانية وخمسون ألفاً ومائة وخمسون فداناً وأرسل كشفاً بذلك ، وعند بحث المجلس لهذا الكشف قال : « تبين من الكشف الذى أرسله المومى إليه أن الموجود بمأموريته ثمانية وخمسون ألفاً ومائة وخمسون فداناً ، وقد استقر الرأى بمجلس العموم على أن يرتب على كل فدان رطل من السمن . فبناء على ذلك بلغ مقدار السمن خمسمائة واحداً وثمانين قنطاراً ونصفاً ، وحينئذ يلزم أن يرسل منه مائتا قنطار إلى الاسكندرية قبل رمضان ويرسل الباقى وهو ثلاثمائة واحد وثمانون قنطاراً ونصف إلى شونة الجهادية ، ومن أجل ذلك يحرر علم من الديوان الخديوى إلى المأمور المومىٰ إليه ، ويرسل إلى عبد الرحمن أفندى معاون ولى النعم لكى يرسله هو إليه كما استقر عليه الرأى »[١] .

كذلك يذكر الجبرتى فى رمضان سنة ١٢٣٢ (سنة ١٨١٧) بينما يتكلم على المحتسب « ويحلق (المحتسب) على ما يرد من السمن الوارد الذى تقرر على المزارعين فيزنه منهم بالسعر المفروض وهو أربعة وعشرون نصفاً الرطل ، ويرد عليه الفوارغ ويعطيه للبائع بالثمن المقرر وهو ستة وعشرون »[٢] .

وزيادة عن السمن فرض الباشا فى شعبان سنة ١٢٣٤ (مايو سنة ١٨١٩) على الفدان من الأرض الزراعية « حمل بعير من التبن وكيلة قمح وكيلة فول »[٣] .

وكانت تأخذ الحكومة الحمل من التبن فى سنة ١٨٣٠ بثلاثة قروش مما يرد من الوجه القبلى وبأربعة قروش مما يرد من الوجه البحرى باعتبار الحمل مائتى أقة[٤] .

وكان الفلاح ملزماً بتوريد ما تطلبه الحكومة من الجلة فى ٤ محرم سنة ١٢٥١ (مايو سنة ١٨٣٥) صدر منشور إلى جميع المديرين بأنه صدرت خلاصة من محاس

---

(١) الوقائع المصرية عدد ٢٣٩ فى ١٧ شعبان سنة ١٢٤٦ .

(٢) الجبرتى جزء رابع ص ٢٩٩ ، المحتسب هو الموظف الذى يلاحظ السوق والموازين والمكاييل .

(٣) الجبرتى جزء رابع ص ٣٢٥ .

(٤) الوقائع المصرية عدد ١٦٩ فى ٥ صفر سنة ١٢٤٦ .

الجهادية لإرسال الجلة اللازمة لحريق ألايات الجهادية بسرعة . ولكن المديرين تأخروا ، و بناء على هـذا التأخير يشير بسرعة إرسال اللازم على حسب ما صدرت به الخلاصة و إلا يضطر لشراء حطب رومى للألايات و يأخذ ثمنه منهم [١] .

وفضلاً عن توريد الجلة كان الفلاح يؤدى مطالب الحكومة الأخرى من حطب القطن والفول والبصل والدجاج والصوف والشمع المصنوع من شحم الغنم . وكذا المواشى لإدارة الآلات والعدد فى « الفابريقات » [٢] .

وقد حدث فى جمادى الأولى سنة ١٢٣٢ (مارس سنة ١٨١٧) أن فرض الباشا نعجة بأولادها ، أو كبشاً على كل عشر شياه لإرسالها إلى أغنام الباشا [٣] . وعند طلب شراء الحكومة من الأهالى جمالاً أو أثواراً فإن من عنده شيء من ذلك يؤخذ منه ، و إذا طلب سمن أو تبن فيعتبر الفدان الواحد أساساً للتوزيع . وأما الجلة فيوزعها شيخ البلد على الفلاحين ، إما على الفدان ، و إما على المواشى [٤] .

وكان الفلاح يورد تلك المطالب بثمن محدد من الحكومة ، وخصم ثمنها مما عليه لها .

وقد أعطت مشتريات الحكومة هذه مشايخ البلد فرصة للتحيز لبعض الفلاحين وظلم الآخرين « فيستخدمون الفلاحين فى أشغالهم و يعطلونهم عن أشغال أنفسهم ، ولا قدرة للفلاح على المدافعة عن نفسه حيث إذا لم يمتثل لشيخه يتعلل عليه بوسائل المطالب بغير وجه حقانى و يحمله ما لا يطيق سيما عدم استعمال طريقة المساواة والعدالة فى المطالب الميرية » [٥] . هذا بالرغم من تحذير الباشا للمشايخ عند ارتكاب مثل هذه

(١) دار المحفوظات : الأوامر العلية .

(٢) Hamant : Op. cit.. t. I. pp. 19, 142.

Lane : Op. cit., p 118.

Poujoulat : « Voyage dans l'Asie Mineure... et en Egypte. » t. II. p. 528.

(٣) الجبرتى جزء رابع ص ٢٩٢ .

(٤) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ١٨ .

(٥) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ٢١ .

الأعمال وتوعدهم بالعقاب الشديد إن فعلوا. كذلك « إذا صار طلب شيء ولم توزع بالمساواة. بذلك ينتج تسحب الأهالى لجزاء المشايخ الذين يصير منهم ذلك يرسلون للومان بستة شهور »[١].

ما يتبع فى وزن أو كيل المحصولات المحتكرة وتقدير أثمانها، وضرر الاحتكار بالفلاح:

وتبعاً لنظام الاحتكار كان الفلاح ملزماً بنقل المحصولات إلى شون الحكومة لتوريدها. وهناك توزن الأصناف أو تكال، وتعطى « رجعة » بمقدارها لصاحبها فيعطيها للصراف لخصمها من المطلوب منه للحكومة ولقيدها بتاريخها فى ورد الفلاح حتى إذا ما وقع اشتباه بين الفلاح والصراف يرجع إلى ذلك فى دفاتر الشونة. وكانت أثمان تلك الأصناف محدودة من قبل الحكومة، وكانت أثمان بعض الأصناف مثل القطن والكتان والنيلة مقسمة إلى درجات، وكانت السماسرة تحدد أثمانها حسب درجاتها[٢].

وكان الفلاح معرضاً لظلم موظفى الشون « لأن الكتبة كانوا يأمرون الكيالين فى بعض الشونات بظلم صاحب الغلال فى كيلها، ونفع ذلك لا يرجع إلى الكيالين بل إلى الكتبة »[٣].

كذلك اجتمع حسين أغا ناظر بنى مزار أحد أقسام البهنساوية، والمعلم حنين مباشر القسم المذكور ومشايخ خطه جملة، وقسموا فيما بينهم زيادة الشون التى تحت

---

(١) دار المحفوظات ودفتر خلاصة مضبطة المجلس العمومى سنة ١٢٤٦ موقع عليه من محمد على ونظار الأقسام بند ٦ فى إعطاء المطاليب اللازمة.

(٢) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ١٧ و ٥٩. الوقائع المصرية عدد ٢٣٨ فى ١٣ شعبان سنة ١٢٤٦.

(٣) الوقائع المصرية عدد ٢٣٨ فى ١٣ شعبان سنة ١٢٤٦.

تصرفهم [١] ، مما يدل على ظلم الفلاح فى تقدير كمية أصنافه سواء بالكيل أو الوزن

وقد قدم الملا حسين المأمور على كيل الغلال ، ووزن الأصناف الواردة إلى شونة ميت غمر عريضة إلى المجلس العالى قال بها : « إنه لجهل الرعية صنعة القبان القابل للحيلة صنعت ميزاناً عياره حجر رخام ، ثم وزنت به أصناف بعض القرى اختباراً لضبطه ، فبان به أن ما كان ينقص فى القبان من حيلة المقبنين يأتى به كاملاً كما هو فى حقيقة الأمر » فمن يعتبر هـذا يرى أن ذلك موجب لمنفعة الفلاحين وراحتهم ، ولذا بحث ذلك أعضاء المجلس قائلين : « من حيث أنه تأكد أن الأصناف التى تشترى من الرعية إلى الميرى وزنها بهذا الميزان الذى اصطنع أضبط من وزن القبان بل أنفع وأسلم لطمأنينة الرعية حيث يقيهم من حيل المقبنين فينبغى إذاً أن يصنع ميزان حديد فى تيمورخانه بمعرفة أدهم بك ناظر تشغيل المهمات الحربية وذلك على الشكل الذى قال عنه الملا حسين . و بعد إتمامه يقدم إلى المجلس العالى حتى إذا أعجبهم صنعه يعمل بعده موازين كبيرة مثله معتدلة ومضبوطة ، وتقسم على الأقاليم [٢] . و بموجبه صدر أمر وتنبيه من قبل الديوان الخديوى .

وفضلا عما كان يتحمله الفلاح من جراء نقص الوزن ، فلا يخفى تعرضه لظلم السماسرة الذين يحكمون على درجـة الصنف دون غيرهم ، وذلك بالرغم مما نص عليه قانون سنة ١٢٤٥ (١٨٣٠) إذ جاء فيه : « أيضاً يلاحظ (ناظر الشون) السماسرة ودائما يؤكد عليهم بانفصال الأثمان إن كان كتاناً أو قطناً أو نيـلة أنهم يفصلون أثمانها بالعدالة حكم الفيات المقيدة بدفتر الشون » [٣] .

هذا وقد كانت الحكومة هى التى تحدد أثمان المحصولات بنفسها بدون مساومة الفلاح فليس للفلاح رأى فى مقدار الثمن الذى يورد به محصولاته وليس له

---

(١) الوقائع المصرية عدد ٣٠ فى ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٤٤ .

(٢) الوقائع المصرية عدد ١٥ فى ١٧ رمضان سنة ١٢٤٤ .

(٣) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ٥٩ .

الحق فى المساومة بل عليه توريد المحصولات ، وتبعاً للأثمان المحددة والمقيدة بدفتر الشون يحسب مقدار ما ورده ويأخذ بالقيمة رجعة تخصم مما عليه من مطالب الحكومة ، أى أنه لا يقبض الثمن نقداً فى يده وإن بقى له شىء بعد ذلك يصير فائضاً للعام التالى أو يصرف له من خزينة القسم أو خزينة المديرية أو يخصم مما على بلده من البقايا [١] ، وكان الفلاح يلاقى صعوبة فى صرف تلك التذاكر أو الرجع حتى أنه كان يضطر أحياناً إلى بيعها إلى اليهود أو الأرمن بنقص ٢٠٪ أو ٣٠٪ من قيمتها [٢] .

كانت الحكومة تعمل تسعيرة للمحصولات بحسب الحالة وترسل بالأثمان إلى الشون للسير على مقتضاها . ومع ذلك فكان فى مقدورها تخفيض الأثمان عن التسعيرة فقد صدر أمر الباشا فى ٧ ربيع الثانى سنة ١٢٣٤ (فبراير سنة ١٨١٩) إلى ناظر الأصناف بأنه اطلع على النظام الذى يقضى بتخفيض عشرة قروش من ثمن كل قنطار من أسعار القطن المشترى من الفلاحين ، فعلى مقتضى ذلك تجرى المحاسبة ، وكلما ورد شىء تحرر به الرجع بالتركى بدون ما يشعر أحد ، وينبه على السماسرة بعدم إفشاء هذا الأمر لأحد منهم ، وعند إخبار أى واحد منهم للفلاحين بذلك يرسل إليه أو إلى محمود بك [٣] .

هـذا وكان الفلاح إذا احتاج إلى شراء شىء من المحصولات التى قد أخذتها الحكومة منه يضطر إلى دفع ثمن أعلى مما أخذته الحكومة به . ويقرر بورنج أن « الفلاح الذى قد باع محصوله بالثمن الذى اختارته الحكومة ، والذى دائما يكون منخفضاً يضطر غالباً إلى شرائه ثانياً بالثمن الذى تحدده الحكومة ، والذى دائما يكون عالياً ، وليس فى كل الأحوال يتمكن من الحصول عليه مهما قدم من الثمن [٤] » .

---

(١) انظر فصل الضرائب التى يدفعها الفلاح ص ٤٠ .

(٢) Madden: « Egypt and Mohamed Ali » 1841. PP. 31,32.

(٣) سامى باشا . تقويم النيل جزء ثانى صفحة ٢٧٦ .

(٤) Bowring: Op cit., P. 15.

كانت الحكومة تضيف إلى ثمن الشراء مبلغاً معيناً ربحاً لها فى حالة البيع .
فقد قدم الحاج محمد أغا مأمور القليوبية شقة إلى الديوان الخديوى مضمونها أنه
وردت إليه خلاصة حكم بها أن تضبط جميع الغلال الناتجة فى سنة ١٢٤٥ (١٨٢٩
و ١٨٣٠) وترسل إلى الشون وأنه إن طلب أحد أن يشترى منها بيع له بشرط أن
يضاف إلى العشرة خمسة ربحاً إلا أنه لم يبين فيها هل تخلط بشعير وفول أولا .....
وقد قرر المجلس بأن الحنطة التى ترد إلى الشون ترسل إلى شونة بولاق شيئاً فشيئاً
وبأنه إن بيع شىء فى شونة قليوب يخلط من ذلك الوقت إلى غاية ذى القعدة ومن
بعد ذلك يباع كل صنف وحده بسعره المقرر (١)

وقد قرر مجلس العموم سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠) تخفيض أثمان الذرة فى ذلك
العام تبعاً لكثرته . وذلك بأخذ الأردب الذرة من الأهالى بثمانية ريالات ، ويورد
إلى الشون ، ويضاف إليه عشرون نصفاً فضة اذا بيع إلى أهالى الأقاليم . وأما إذا ورد
إلى المحروسة فانه يضاف إليه قرشان نظراً إلى أجرة المراكب وسائر المصروفات (٢) .

وفضلاً عن زيادة الثمن فى حالة البيع للرعية ، فقد ذكر أحد القناصل الأجنبية
فى مصر فى تقريره فى ٢٥ أغسطس سنة ١٨٢٩ أن « الحكومة تستعمل موازين
ومكاييل أكبر فى حالة الشراء منها فى حالة البيع . وذلك فى كل الغلال والأشياء
الأخرى التى تشتريها الحكومة من الرعية ثم تبيعها إليهم ثانياً » (٣) .

وتبعاً لنظام الاحتكار كان الفلاح محروماً من الربح الذى يحصل عليه لو كان
حراً فى بيع محصوله لمن يشاء . وقد ذكر منجن فى ميزانية مصر سنة ١٨٢١ أن من
موارد داخل الحكومة الربح فى المحصولات التى تشتريها الحكومة من الفلاحين

---

(١) الوقائع المصرية عدد ١٤٨ فى ٥ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ .

(٢) الوقائع المصرية عدد ١٩٣ فى ربيع آخر سنة ١٢٤٦ .

(٣) Cattaui : « Le règne de Mohamed Ali d'Après les Archives russes en Egypte 1819 à 1833. » t. I. p. 357

الملزمين بنقلها وتوريدها للشون ، وتلك المحصولات هى : القطن وشمع العسل والسكر والكتان والنيلة والعسل والحنا وماء الورد وبذر الكتان والسمسم والقرطم وبذر الخس وبذر السلجم ، وقد قدر الربح فى تلك المحصولات بمبلغ ٢١٠٠٠ كيس أو ما يبلغ ١٠,٥٠٠,٠٠٠ قرش [١] .

كذلك يذكر منجن أن ربح الحكومة قد بلغ ٨,٥٥٧,٥٠٠ قرشاً فى القمح والفول والذرة والحمص والترمس [١] .

وقد جاء فى ميزانيـة مصر ١٨٣٣ أن الربح الناتج من المحصولات المحتكرة يبلغ ٩٠,٠٠٠ كيس أو ما يبلغ ٤٥,٠٠٠,٠٠٠ قرش وتلك المحصولات هى القطن والنيلة والأفيون والسكر والنبيذ والأرز والعسل وشمع العسل والحنا وماء الورد وبذر الكتان والسمسم وبذر الخس والقرطم والحرير والزعفران والقطرون [٢] .

ومهما قيل إن الفلاح لو ترك حرا فى بيع محصولاته للتجار لخسر فى المساومة ولتغلب عليه التاجر بمهارته ، فان الفلاح مهما كان حريصاً على كده وثمرة جهده ولا يفرط فى محصوله بثمن بخس إلا إذا اضطر إلى ذلك ، ولا شك فى أنه كان يحصل ولو على جزء من ذلك الربح الذى كانت الحكومة تستولى عليه .

وهاك بيان لأثمان الغلات فى حالة شراء الحكومة لها ، وفى حالتى بيعها فى داخل القطر وتصديرها للخارج ، ومنه نتبين الفرق بين حالة الشراء وحالة البيع .

---

(١) الكيس يساوى ٥٠٠ قرشاً .

(٢) Mengin : « Histoire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohamed Ali. » 1823. t. II. p. 384.

(٣) Mengin : Op. cit., t. II. p. 388.

(٤) Mengin : « Hietoire Sommaire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohamed Aly (1823. 1838) » 1839. p. 150.

الغلات	الوزن والكيل	أثمان يحددها الباشا لدفعها للفلاحين —	ـه	الأثمان التى يبيع بها الباشا داخل القطر —	ـه	الأثمان التى تبيع بها الحكومة للتصدير للخارج —	ـه
القمح	الأردب وزن ١٤٥ أقة	..	٢٧	..	٥٦	..	٩٠
الذرة	الأردب وزن ١٤٥ أقة	..	١٦	..	٢٧	..	٦١
الفول	الأردب وزن ١٤٥ أقة	..	١٨	..	٣٢	..	٥٦
الحمص	الأردب وزن ١٤٥ أقة	..	٣٦	..	٦٠	..	٧٠
الأرز	الأردب وزن ٢٢٥ أقة	..	٩٠			للدرجه ٣ للدرجه ١ و ٢	٢٤٧ ٢٧٠
الحنا	القنطار وزن ٤٦ أقة	..	٢٩	القنطار وزن ٤٤ أقة ..	٨٠	..	٨٢
شمع العسل	القنطار وزن ٤٤ أقة	.. ..	٥٠ ٣٠٠	.. ..	١٠٠ ..	.. ..	١٢٥ ٢٥٠
السكر	القنطار وزن ٤٤ أقة	..	٤١	..	..	.. ..	١٥٠ ٥٠٠
السمن	الرطل	٢٥	١	٧٥	١	..	..
بن مكا	القنطار وزن ٤٤ أقة	..	٣٠٠	..	..	..	٧٠٠
القطن الشعر	القنطار وزن ٤٤ أقة	..	٢٠٠	..	..	.. ..	٢٨٠ إلى ٦٠٠
القطن المغزول	الأقة	..	٦	..	..	..	٩
الكتان	القنطار وزن ٤٤ أقة	..	٧٤	—	—	..	١٨٠
النيلة	الأقة وزن ٤٠٠ درهم	..	٣٥	—	—	.. .. ..	٧٥ ٦٥ ٥٥
الورد		قنطار ورد ..	٣٠	ماء ورد القنطار —	٣٠٠	..	..
المواشى	تأخذ الحكومة من الفلاح الخيل والجمال والبقر وغير ذلك من المواشى بنقص ٤٠٪ عن المشترين الآخرين (١)						

(١) Cadalvène et De Breuvery : « L'Egypte et La Nubie. » 1841, t. I. p. 225.

هذا وقد كان من جراء الاحتكار أن غلت أسعار الأشياء فان « المقطع القماش الذى كان ثمنه ثلاثين نصفاً بلغ سعره عشرة قروش مع عزة وجدانه بالأسواق المعدة لبيعه . . . . . وبلغ ثمن الثوب من البفتة المحلاوى أربعة عشر قرشاً . وكان يباع بدكان التاجر بستين نصفاً وقس على ذلك ، وبسبب التحجير على النيلة غلا صبغ ثياب الفقراء حتى بلغ صبغ الذراع الواحد نصف قرش » [١] ، ويذكر الجبرتى أن من حوادث سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠) « غلو الأسعار فى كل شىء بسبب الحوادث والاحتكارات السابقة والمتجددة كل وقت فى جميع الأصناف [٢] ، كما يذكر أيضاً أن من حوادث سنة ١٢٣٦ (سنة ١٨٢١) « غلو الأثمان فى جميع المبيعات من ملبوسات ومأكولات والغلال حتى وصل الأردب إلى ألف وخمسمائة نصف ، والرطل السمن إلى خمسين نصفاً وإلى ستين نصفاً » [٣] .

ولقد كان الاحتكار مدعاة إلى غلو أثمان الأشياء أن تبعه نظام خاص للزراعة فقد كانت أغلبية الأراضى أيام المماليك تنتج محصولات التغذية كالقمح والشعير والفول والذرة والفواكه ، وكانت مصر تنتج النيلة بمقدار تكفى الصباغين ، ولكن عند ما تولى محمد على باشا عرش مصر « وأوجد الاحتكار أخذ ثمن كل شىء فى الازدياد تدريجاً ، وقد حدث الازدياد الكبير فى ثمن الأشياء بالأخص منذ سنة ١٨٢٤ فى الوقت الذى أنشأ فيه محمد على الجيش النظامى ، واضطر بذلك إلى تموين جنده وجند الأسطول ومستخدمى الفابريقات » [٣] .

هذا مع أن الباشا اهتم بزراعة حاصلات أخرى مثل القطن فقللت تلك المحصولات من مساحات المحصولات الغذائية مثل القمح والذرة والشعير .

---

(١) الجبرتى حوادث سنة ١٢٣١ جزء رابع ص ٢٧٢ .
(٢) الجبرتى جزء رابع ص ٣٣٣ .
(٣) الجبرتى جزء رابع ص ٣٤٢ .
(٤) Bowring: Op. cit., p. 189 .

ذكرنا أن الحكومة كانت تحدد أثمان المحصولات التى ترد إلى الشون ، فى سنة ١٢٤١ (سنة ١٨٢٥ — ١٨٢٦) صدر أمر عالى باتباع ما يأتى بدون زيادة ولا نقص تسعيره من سنة ١٢٤١ لغاية ١٢٥٢ (سنة ١٨٢٥ — ١٨٣٦) :

ـــ	ص	ريال	
..	٤٤		أردب لوبيه
..	١٣٥		« الأرز
..	٤٠		« العدس
..	١٩		« الحلبة
..	١٣٠		« السمسم
..	٨٠		قنطار عسل أبيض
..	٧٠		« عسل وسط
..	١٤٠		« مسلى بلدى
..	١٢٥		« زيت زيتون
..	٤٠		« « خس
..	٢٥		« « بذر الكتان
..	٥٠		« « السمسم
..	٢٠		« « القرطم
..	..	١٠	أردب الحنطة
..	..	٩	« الشعير
..	..	٩	« الفول
..	..	١٠	« الأذره الشامى والبلدى
..	..	٢٨	قنطار السكر المكرر
..	..	٢٥	« « الوسط
..	٧٠	..	أردب الحمص
..	٨٢	..	« بذر الكتان
..	١٢٩	..	« العصفر
..	..	١٣	« بذر البرسيم
..	٣٠	..	« الترمس
..	٣٠	..	« الكندر
..	١٧٥	..	قنطار القطن
..	٤٥	..	« شعر الكتان (١)

(١) سامى باشا . تقويم النيل جزء ثانى ص ٣٢٠

وبالرغم من تلك التسعيرة ، فقد كانت الحكومة سنويًا ترسل بيانًا بالأسعار للشون للشراء من الأهالى على مقتضاه ففى ٢٨ ذى الحجة سنة ١٢٤١ (أغسطس سنة ١٨٢٦) صدر أمر الباشا بأن الحكومة تشترى أردب الكندر بسعر ٧٥ قرشاً (١) .

وقد قدم حسن بك مأمور الجيزة علماً إلى الديوان الخديوى يطلب بيان سعر الحنطة والشعير والفول والعدس . وغيرها من الحبوب ويقول : « حيث إن موسم مزروعات سنة ١٢٤٤ (سنة ١٨٢٨ — ١٨٢٩) قد قرب فيقتضى إذاً أن تبين أسعارها لشرائها من الفلاحين » فأحيل ذلك إلى المجلس العالى فرسموا بأنه ينبغى له ولمأمورى الأقاليم البحرية والقبلية أن يشتروها بالسعر المقيد فى دواوينهم عن موسم سنة ثلاثة وأربعين . وبموجب ذلك صدر أمر من قبل الديوان الخديوى (٢) .

وقد استفهم عمر أفندى ناظر شونة بولاق من المجلس عن أثمان بعض الأصناف حيث يقول : « إنه كان قد تقرر الحكم بأن يباع الأردب الحنطة من مخازن الميرى بخمسة عشر ريالاً مصريًا ، وأردب الفول والشعير والعدس بتسعة ريالات ، فبأى سعر تباع الأصناف المذكورة من شونة بولاق فرأى المجلس بيع الأصناف المذكورة بالسعر المذكور بموجب الحكم السابق (٣) .

وقد أرسل زكى أفندى شقة إلى الديوان الخديوى مضمونها أن البصل الذى ورد من المزارعين إلى الشون فى العام الماضى اشتريت الأقة منه بفضية واحدة ، وقنطاره بثلاثة قروش ، ويطلب ثمن تلك السنة (١٢٤٥) ، (١٨٢٩) فأخبر كأنه كالسنة الماضية (٤) .

وقد أرسل إسماعيل أغا مأمور بنى سويف شقة إلى على أفندى مأمور أشغال

---

(١) سامى باشا . تقويم النيل جزء ثانى ص ٣٢٣ .
(٢) الوقائع المصرية عدد ٢٣ فى ٢٧ شوال سنة ١٢٤٤ .
(٣) الوقائع المصرية عدد ٤٣ فى ٣ صفر ١٢٤٥ .
(٤) الوقائع المصرية عدد ٥٧ فى ٢٨ ربيع الأول سنة ١٢٤٥

المحروسة سأله فيها عن سعر التبن الذى يرد من الرعية إلى الشون فقدمها المشار إليه إلى المجلس ولدى البحث رسموا بأن يؤخذ الحمل مما يرد من الوجه القبلى بثلاثة قروش ومما يرد من الوجه البحرى بأربعة قروش ، بشرط أن يكون كل حمل من التبن مائتى أقة [١].

وفى سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠) تقرر أن يؤخذ من الأهالى قنطار الفوة بأربعة وخمسون قرشاً [٢].

وفى ٢٨ ربيع الثانى سنة ١٢٤٧ (أكتوبر سنة ١٨٣١) قرر مجلس مصر أن يشترى الأردب من الذرة بعشرة ريالات بدلاً من ثمانية لقلة الغلال فى تلك السنة وهـذا بناء على بلاغ فوزى أفندى مهردار الباشا ، وأن يحرر علم بذلك من الديوان الخديوى إلى حضرات مديرى الوجهين البحرى والقبلى وإلى مأمورى الغربية [٣].

وقد أرسل أحمد أغا مأمور القسم الأول من القليوبية رسالة إلى ناظر المجلس مضمونها أنه وردت له خلاصة ببيان أسعار التيل الذى تورده الزراع إلى الشون وأن الأعلى منه يشترى قنطاره بسبعين قرشاً والأوسط بستين والأدنى بخمسين واستفهم من المجلس عن وزن القنطار فقيل له إن وزنه ١٢٥ رطلاً [٤].

وفى ٢٢ المحرم سنة ١٢٥٦ (مارس سنة ١٨٤٠) صدر أمر الباشا إلى كتخدا باشا بتوريد المحصولات من الأهالى إلى الشون بالسعر الآتى :

---

(١) الوقائع المصرية عدد ١٦٩ فى ٥ صفر سنة ١٢٤٦ .

(٢) الوقائع المصرية عدد ٢٣٩ فى ١٧ شعبان سنة ١٢٤٦ — الفوة نبات يستخدم فى صبغ الطرابيش أدخل فى مصر سنة ١٨٢٥ .Bowring : Op. cit., p. 25

(٣) سامى باشا تقويم النيل جزء ثانى ص ٣٨٣ .

(٤) الوقائع المصرية عدد ٤٤٦ فى غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨ .

	ص		ص
أردب الحنطة	٤٠	أردب الذرة	٢٠
أردب الفول	٣٠	أردب بذرة الكتان	٥٠
أردب العدس	٣٠	أردب بذرة التيل	٣٠
أردب الشعير	٢٠	أردب حمص	٢٠
أردب فريك	٥٠		(١)

ويذكر بورنج أن الحكومة حددت مبلغ ٢٢ قرشاً ثمناً للقنطار من الليف الذى يرد الشون ، ولكنها أبلغت الثمن ٣٥ قرشاً للقنطار عند ما قل توريد الفلاحين لهذا النوع[٢] .

كما يذكر أن الباشا دفع ١٢٥ قرشاً للحرير من أول درجة وخمسة وتسعين قرشا للحرير من ثانى درجة ، وثمانين قرشاً للحرير من ثالث درجة[٣] .

ويذكر بورنج أيضا أن الحكومة أن تدفع خمسة وعشرين قرشاً لقنطار الورد وأن الفدان ينتج من ستة قناطير إلى سبعة[٤] .

هذا وفى ٢٢ ربيع الأول سنة ١٢٦٢ (مارس سنة ١٨٤٦) صدر أمر الباشا إلى جميع جهات القطر بأن من يرغب من الأهالى فى توريد أصناف الحبوب إلى شون الحكومة يكون توريدها بالأثمان الآتية :

أردب الحنطة	٤٥ قرش
أردب العدس والفول	٣٥ »
أردب الشعير	٣٠ » (٥)

---

(١) دار المحفوظات أوامر علية — الفريك هو الحنطة التى تحصد خضراء .

(٢) Bowring : Op. cit., p. 56.

(٣) Bowring : Op. cit., p. 21.

(٤) Bowring : Op. cit., p. 21.

(٥) سامى باشا : تقويم النيل جزء ثانى ص ٥٣٧ .

ومما ذكر نرى أن الأثمان التى كانت تحددها الحكومة لما يرد فى الشون من المحصولات تختلف من سنة إلى أخرى تبعاً للحالة . و بين لنا ثمن القطن ذلك جليا فقد كان كالآتى :

محصول سنة ١٨٢٢ لغاية سبتمبر سنة ١٨٢٣	١٦ ريال للقنطار
وقد أنقص الباشا الثمن إلى	١٥½ ريال للقنطار
محصول سنة ١٨٢٤	١٧ ريال للقنطار
محصول سنة ١٨٢٨	١٢ ريال للقنطار
محصول سنة ١٨٣٠	١٠½ ريال للقنطار
محصول سنة ١٨٣٣	١٥ ريال للقنطار (١)

هكذا كان الاحتكار وأثمان الحاصلات بالشون وفضلا عن تلك الحاصلات الزراعية فقد احتكر الباشا الملح . و يقول الجبرتى فى حوادث سنة ١٢٢٥ (١٨١٠) : « وكان الملح يأتى من أرضه بثمن القفف التى يوضع فيها لا غير و يبيعه الذين ينقلونه الى ساحل بولاق الأردب بعشرين نصفاً واردبه ثلاثة أرادب ، ويشتريه المتسبب بمصر بذلك السعر لأن أردبه أردبان ، و يبيعه أيضاً بذلك السعر . ولكن أردبه واحد فالتفاوت فى الكيل لا فى السعر . فلما احتكر صار الكيل لا يتفاوت وسعره الآن أربعمائة وخمسون نصفاً » (٢) .

---

(١) الريال هنا هو عبارة عن Dollar ، وقيمته فى سنة ١٨٢٧ ١٢½ قرشا ، وفى سنه ١٨٣٠ وسنة ١٨٣١ من ١٥ إلى ١٦ قرشا ، وفى سنة ١٨٤١ ٢٠ قرشا .

Wilkinson : « Modern Egypt and Thebes. » vol. I. p. 47.

Wilkinson : « Topogiapxy of Thebes... » p. 368.

Gliddon : « A Memoire on the cotton of Egypt. » pp. 46,54.

كان قنطار القطن يحتوى على ⅔٣ : أقة أو ١٢٣ رطلا ، وفى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٣٤ أصبح يحتوى على ٣٦ أقة أو ١٠٠ رطل .

(٢) الجبرتى جزء رابع ص ١٣٣ .

وعلى هـذا الوجه فقد ارتفع ثمن الملح حتى أن الفلاحين قللوا من استعماله حتى اتخذت إجراءات نحو ذلك ؛ فقد وزع على كل بلد ما يخصها من الملح ، وأصبح شيخ البلد ملزماً بأداء الثمن ، إذ يوزع كمية الملح على الفلاحين ، ويجمع الثمن منهم [١] .

أثر الاحتكار فى النظام الزراعى

إجبار الفلاحين على زراعة المحصولات المحتكرة :

كان من جراء الاحتكار أن اتبع محمد على باشا نظاماً زراعيًا جديداً فقد حتم على الفلاحين زراعة أصناف الاحتكار أرادوا أو لم يريدوا . وقد ذكر الجبرتى فى حوادث ١٢٣١ (١٨١٦) أن الباشا أصدر أمراً إلى حكام الأقاليم بأنه « عند انكشاف الماء عن الأراضى ، يتقدمون إلى الفلاحين بأن من كان زارعاً فى العام الماضى فدانى كتان أو حمص أو سمسم أو قطن ، فليزرع فى هذه السنة أربعة أفدنة ضعف ما تقدم لأن المزارعين عزموا على عدم زراعة هذه الأشياء لما حصل لهم من أخذ ثمرات متاعهم وزراعاتهم . . . . . وظنوا أن يتركوا على هواهم ونسوا مكر أوليائهم ، فنزل عليهم الأمر والإلزام بزرع الصنف ، فضجوا وترجوا واستشفعوا ورضوا بمقدار العام الماضى ، فمنهم من سومح ومنهم من لم يسامح وهو ذو المقدرة . وبعد إتمامه وكمال صلاحه يؤخذ بالثمن المفروض على طرف المدير ويباع لمن يشترى من أربابه أو خلافهم بالثمن المقدر وربح زيادته لطرف حضرة الباشا » [٢] .

وكان حتماً على الباشا اتباع طريقة إلزام الفلاحين على زراعة تلك الأصناف

---

(١) St. John : « Egypt and Mohamed Ali. » 1834. t. II. pp. 436, 437.

(٢) الجبرتى جزء رابع ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

فى حالة بقاء الاحتكار ، إذ لو ترك الفلاحين على رغبتهم ما زرعوا تلك الأصناف لا لكسل منهم ، بل لأن فائدة تلك الأصناف لا تعود عليهم بل على الحكومة ؛ ولأنه لم تكن لهم الحرية فى التصرف فيها ، ولذا فكان الفلاحون يزرعون تلك الأصناف المحتكرة تبعاً لإرادة الباشا لا لإرادتهم الشخصية ، وكانوا يعتنون بزراعة المحصولات غير المحتكرة لأنها فى تصرفهم ومكسبها عائد عليهم . ولقد حرر الباشا فى ١٦ المحرم سنة ١٢٥٢ (مايو سنة ١٨٣٦) أمراً إلى مديرى الوجه البحرى بأنه شاهد برأى العين وضع الفلاحين المسكة فى أطراف المزارع لوضعها فى أراضى مزروعات الأذرة دون وضع ذلك فى أراضى القطن كأنه محصول ليس لهم ، فلذلك يلزم تعيين أغوات وقواصة لمنع تعصبهم هذا وجبرهم على وضع ذلك بالقطن أيضاً »[1] .

وكان من جراء اهتمام الباشا بالأصناف التى يعود ربحها عليه ، أن أتى بأجانب من الخارج لتعليم الفلاحين أصول زراعتها ، كما أنشأ مصالحة خاصة بها ، إذ « أنه زرع فى الأقاليم المصرية بعض مزروعات : وهى السكر والقطن والنيلة والكندر والكتان والقرطم والسمسم والسلجم والخس والأفيون والدخان والحنا وغير ذلك ، وكان الزارعون غير ماهرين بعلم الزراعة وعمليتها لأنهم زرعوا هذه الأصناف على بركة الله وحصدوها بخلاف أصول عمليتها ، فوجب أن يبين لهم النفع والضرر الصادر من هذه العملية وذلك باستجلاب المعلمين الماهرين فى أصوله ليظهروا لهم معرفة طريق الزرع والحصاد المتوقف على أسباب ظاهرة ويرغبونهم به » .

إنشاء ديوان خاص للعناية بأمر هذه المحصولات

وإذ لاح فى خاطر ذى الإرادة السنية أن يكون ديوان ما لتكثير الزرع وانتظام مصالحه ، انفتح ديوان بهذا الخصوص فى بيت باردوى فى الأزبكية وذلك

(١) دار المحفوظات : الأوامر العلية .

فى سنة إحدى وثلاثين فى مدة مهردارية شريف بك الذى هو الآن كتخدا سعادة أفندينا ، فانتظمت المصالح المذكورة بنظارة حضرة الأمير المشار إليه واهتمامه على ما ينبغى . وفى السنة الثالثة والثلاثين تميز الأمير المشار إليه مأموراً على مصالح الخزينة العامرة فى حياة المرحوم إبراهيم أغا خزينة دار الخديوى إذ كان محافظاً للقلعة ، وبعد ذلك انعزل إبراهيم أغا المتوفى عن محافظة القلعة وأحيلت نظارة الأصناف عليه ليكون مهتما بنظارته فى زرعها وجمعها بما يناسب ويقتضى لقوانين الزرع ، ورفع الديوان المذكور من المحل المرقوم إلى القلعة المنيعة التى هى مرجع أمور الجمهور بالاهتمام وجرى ذلك مدة سنين عديدة بموجب ما لزم المصلحة . . . . ولما لوحظ بأن تخصيص مصالح زرع الأصناف فى أقاليم متعددة وجمعها منها يضاد سهولة تدبيرها أحيلت على حضرة مأمورى الأقاليم مصالحها المذكورة وبيعها ومشتراها وربحها ، وتخصص بأن يباع فى الديوان المذكور الأصناف التى ترد من الأقاليم بسعرها المعلوم وبهذا خف ثقل تدبير المصالح »[٢] .

تعليم الفلاحين طرقاً زراعية جديدة

استحضر الباشا أجانب لتعليم الفلاحين بعض المزروعات التى يجهلونها أو ليسوا ماهرين فى زراعتها على الطرق الصحيحة . ومهما يكن من جراء الاحتكار فقد أفاد فى تعليم الفلاحين زراعات جديدة لم يكونوا يعلمونها من قبل ، وأخرى لم يكونوا عارفين بزراعتها حق المعرفة .

ففى ٥ شعبان سنة ١٢٤٠ (مارس سنة ١٨٢٥) أصدر محمد على باشا أمره إلى كتخدا بك بأن يحضر إنجليزيا خبيراً بزراعة القصب لتعليم الأهالى زراعته[٣] .

وفى ١٧ ذى الحجة سنة ١٢٤١ (يوليه سنة ١٨٢٦م) صدر أمر الباشا إلى

---

(١) الوقائع المصرية عدد ١٠ فى ٢٧ شعبان سنة ١٢٤٤ .

(٢) سامى باشا : تقويم النيل جزء ثانى ص ٣١٧ .

مأمور قسم منفلوط بأن المعلم الإنجليزى الذى سبق استحضاره لتعليم الأهالى زراعة الدوم واستخراج العسل منه قد أدى مهمته بالدقة وعزم على العودة لبلاده فينبه على الأهالى بحفظ ما تعلموه ليقوموا بدلا عنه[١] .

وقد اهتم محمد على باشا بزراعة أشجار التوت لتربيـة دود القز عليها ، وقد جلب معلمين من الشوام لهذا الغرض ، فكان يشتغل فى تربية دود القز ما يبلغ الخمسمائة من الشوام[٢] ، وقد أرسل حسن افندى مأمور ثلث الشرقية جرنالاً إلى مجلس المشورة مضمونه أنه « ظهر من الفلاحين أناس ماهرون فى تربيـة دود القز حتى أنه لما جرى الامتحان بينهم وبين الشوام رجحت مهارتهم بذلك على أسطاوات الشوام ، ويشهد بذلك ناصيف حبيب وغيره من الشوام كثير ، وأنه من الآن فصاعداً لا احتياج لأسطوات الشوام لأن أسطوات الفلاحين تعهـدوا بأن يربوا نصف الدود »[٣] .

كذلك فقـد استحضر الباشا عدداً من الأرمن من آسيا الصغرى لزراعة الأفيون فى مصر[٤] . وقد أرسل على رضا افنـدى مأمور الجيزة رسالة إلى الديوان الخديوى ، وأحيلت على مجلس المشورة مضمونها أنه « رتب رجاين من الخوليـة ليعلما زراعة الأفيون لأهل مأموريته »[٥] .

وفى سـنة ١٨٢٧ فوض الباشا إلى فرنسى من جرينوبل Grenoble تعليم الفلاحين القنب[٦] .

كذلك فقد استحضر الباشا من جزائر الهنـد الشرقية زراعاً للنيلة لتعليم

---

(١) سامى باشا . تقويم النيل جزء ثانى ص ٣١٧ .

(٢) Mengin : " Histoire de l' Egypte sous le Gouvernement de Mobamed Ail „ 1823, t. II. p. 381.

(٣) الوقائع المصرية عدد ١٤٩ فى ٧ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ .

(٤) Bowing : Op. cit., p. 21.

(٥) الوقائع المصرية عدد ٣٦٤ فى ٢٤ شوال سنة ١٢٤٧ .

(٦) Mouriey : Op. cit., t. III. p. 46.

الفلاحين أحسن الطرق فى زراعة النيلة(١) .

وقد اعتنى الباشا اعتناء كبيراً بزراعة القطن ، فاستحضر من آسيا الصغرى أشخاصاً ملمين بزراعة القطن لتعليم الفلاحين ، وقد اختص كل واحد من هؤلاء الأشخاص بعدد معين من القرى وأمر الباشا الأهالى بإطاعة هؤلاء الموظفين طاعة عمياء(٢) .

هكذا تعلم الفلاح أصنافاً من المزروعات كان لأحدها وهو القطن أهمية كبيرة فى الحياة الاقتصادية فى مصر . ولكن مع ذلك فلم يجن الفلاح فى عهد محمد على باشا ثمار تلك الأصناف التى احتكرها الباشا لنفسه ، فلم يكن الربح للفلاح بل للحكومة وعلى ذلك فلم يستفد الفلاح إذ ذاك من تلك الأصناف فائدة مادية تذكر .

ما يتبع فى زراعة الأصناف المحتكرة :

وتبعاً لاحتكار محمد على باشا لأغلبية المحصولات الزراعية ألزم الباشا الفلاح بزراعة ما يريده من الأصناف المحتكرة . ويذكر بورنج فى نظام زراعة القطن أنه « تبعاً لأوامر الباشا يعين المديرون لكل قرية ما يخصها من عدد الأفدنة التى تزرع قطناً ، وذلك بعد اختبار الموقع ثم يعين شيخ البلد ما يخص الفلاح من عدد الأفدنة التى يجب أن يزرعها »(٣) .

هذا ما يحدث فى زراعة القطن وينطبق ذلك على الأصناف الأخرى المحتكرة . وقد جاء فى قانون سنة ١٢٤٥ (١٨٣٠) فى اختصاصات مديرى الأقاليم أنه « عند ترتيب الزراعة يجمع المأمور نظام الأقسام وحكام الأخطاط وكبار المشايخ على يده ، ويتداول معهم فيما يقتضى توزيعه على كل بلد بقدر عدد أنفارها بمضاهية الأطيان

---

(١) Paton : A history of the Egyptian Revolution, vol. II. p. 74.
Bowring : Op. cit., p. 21.

(٢) Lharles Roux : « La Production du Coton en Egypte.» p. 33.

(٣) Bowring : Op. cit., p. 21

على زمام الناحية ، ويرتب ذلك على كل بلد على السواقى والشواديف . . . . .
وعند ابتداء الزراعة ينبه على النواحى حين تستكمل بطلب دفتر بالضبط الشافى
بمساحة الأصناف صنف صنف من كل بلد . كذلك ينبه عليهم زرع الأشجار على
مجارى المياه المعدة لزراعة الأصناف على الجسور القريبة للماء لأن ذلك فيه نفع
للمزارعين »[١] .

وجاء فى لائحة ٩ رمضان سنة ١٢٤٣ (مارس سنة ١٨٢٨) أن « حاكم الخط
أولاً يلزم أن يكون عنده دفتر يتضمن مقدار زراعة الأصناف ببيان الشرك وأصحاب
الزراعة ، ومقدار المواشى اسم باسم حصة حصة و بواقع ضريبة الناحية »[٢] .

وفى قانون رجب سنة ١٢٤٥ (سنة ١٨٣٠) ورد أنه « بوقت توزيع
زراعة الأصناف يوزعونها (حكام الأخطاط) بكل بلد على طاقتها بواقع عدد
السواقى والشواديف و بعد التوزيع وتمام خدمتها . . . يعتبرونها بالمقاس و يعملون
بذلك دفاتر عن مساحة كل صنف اسم باسم حوض حوض »[٣] .

وقد جاء فى ترتيب عمومى حدث فى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٢٤٣ (يوليه سنة
١٨٢٨) بخصوص قيمقامات ومشايخ القرى « أن الحيضان التى أرضها توافق لزراعة
الكتان ، فأولاً ينحاش (يحجز) منها مايترتب لزراعة الصنف المذكور على الناحية
أما الباقى ينبه على أربابها بزراعة الذرة حسب الاقتضاء و بعد الزراعة يعتبر بالمساحة
اسم باسم بخولى البلد ويقيده عنده ، وأيضاً فى حين زراعة الشتوى أولاً يحجز
الأراضى التى توافق لزراعة الأصناف حكم مايترتب على الناحية . أما الباقى الذى
يوافق منه لزراعة القمح يزرع قمح ، والذى يوافق فول كذلك ، والذى يوافق
للبرسيم وباقى أصناف الشتوى بالمثل بشرط متى انكشفت الأرض وحان تحضيرها

---

(١) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ٣ .

(٢) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ١٠٢ .

(٣) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ١٣ .

فينبه على أصحابها بتخضيرها حالاً . ثم بعد تحضير الشتوى تباشر فى حرث وخدمة أراضى الصيفى . وإذا كان فى الأرض التى تحجز لزراعة الأصناف يوجد شيء غير موافق فيكون ملزوماً من قيمقام المذكور لا من الشيخ ، و بعده يعتبر زراعة الشتوى بخولى الناحية صنف بصنف واسم باسم ويتقيد عنده وعند الصراف »[١] .

وفى قانون رجب سنة ١٢٤٥ جاء فى اختصاصات قيمقامات ومشايخ القرى أنهم « يكونون حاجزين أراضى لزراعة الأصناف حكم ما يترتب عليهم من ديوان المأمورية ، و بعد تمام حجز الأطيان التى تعد لزراعة الأصناف المرتبة على الناحية باعتبار المساحة ، ويقعد المشايخ مع قيمقام الناحية ويجرون قائمة بزراعة كل صنف مثلاً صنف الكتان حصة فلان من خاصة المذكور ، وزراعة فلان الفلانى بالحوض الفلانى قدر كذا كذا وفلان وفلان ويضع عليه ختمه قيمقام الناحية وترسل إلى ديوان المديرية أو إلى ناظر القسم »[٢] .

وكان الفلاح حراً فى زراعة ما يبقى من أرضه بعد حجز الأطيان المناسبة لزراعة الأصناف المحتكرة . وكانت الأرض الخصبة الحسنة تخصص لزراعة تلك الأصناف كالقطن والنيلة والكتان والأفيون وقصب السكر[٣] .

ولم تكن أطيان كل القرى معرضة لزراعة الأصناف المحتكرة « فى بعض المديريات لم يكن هناك أى تداخل فى زراعة الأصناف التى تحتم زراعتها فى مديريات أخرى »[٤] ، وذلك لأن الأرض الزراعية ليست سواء من حيث صلاحيتها لزراعة الأصناف ، وقد قدم صالح افندى مأمور السنبلاوين تقريراً إلى مجلس المشورة يشتمل على خمسة أبواب ذكر فى خامسها أنه « إن أريد أن يزرع أحدى القرى ينبغى أنه ينظر أولاً بما يصلح لها من الأصناف و بما ينتج نفعاً وفائدة المزارعين بحيث

---

(١) دار المحفوظات : دفتر مجموع إدارة وإجراءات ص ١٦ .
(٢) دار المحفوظات : دفتر مجموع إدارة وإجراءات ص ١٨ .
(٣) Cadalvène et Breuvery : Op. cit. t. I. p. 61.
(٤) Bowring : Op cit. p. 46.

قيراطين والأذرة الشامى ثلاثة قراريط والنيلة ثلاثة قراريط والقصب مثل الأقاليم البحرية ، وأما البصل والدخان تقاويه حسب مطلوب أراضيه وبالمثل الخضارات . هذا قانون التقاوى وإذا وجد أرض لم صار استوفا تقاويها كالمشروح فيكون جزاء ذلك على مشايخ النواحى باعتبار كل فدان كرباج واحد ، وأما المزارع كل فدان خمسة كرابيج »[١] .

هذا وكانت الحكومة تلاحظ الفلاح فى أعماله الزراعية حتى لا يهمل فيها ، فكان الحكام يشرفون على الزراعة ودائما يلاحظون عمل الفلاح ويقومون بالتفتيش على الزراعات . وقد نص قانون رجب سنة ١٢٤٥ (سنة ١٨٣٠) على أن « كل شيخ حصة يأخذ بيده قائمة بأسماء مزارعى حصته لأجل دائم الأوقات يناظر زراعة حصته وصورة القائمة التى تتوجه لديوان المأمورية تكون تحت يد قايمقام الناحية لأجل أيضاً دائم الأوقات يكون مع مشايخ الناحية يباشرون الغيطان ، فاذا وجد غيطا من أحد الغيطان المنزرعة تلك الصنوف ما هو مستوفى حقوقه فى الخدمة والسقية فيحضرون صاحب الغيط ويؤدبونه الأدب اللائق لحاله ، ولم يبرحوا هذا الغيط حتى يدعوه يتم خدمته بما يوافق ...... وإذا وجد فلاح مواشيه لم تتم بحرث أطيانه ويلزم له المعاونة فيلزم شيخ الحصة وقايمقام ينظرون إلى الفلاح المذكور ويلاحظون الفلاح الذى تم تحضير أطيانه يدعيه يحرث أطيان ذلك الفلاح الضعيف بالأجرة عن كل فدان أربعة غروش تصرف من صاحب الأثر وذلك عن الحرث الشتوى . وأما إذا كان فى زمن النيل ثلاثة غروش ، وإذا كان صاحب الأثر ليس بيده دراهم فالذى يحرث الأرض يأخذ على ذلك الفلاح ورقة سند بختم قايمقام وشهادة شيخ تلك الحصة ، وعند ورود محصول زراعته يدفع ما عليه ويأخذ ذلك السند يمزقه ، وإذا كان شيخ الحصة تم تحضير أرضه فيلزم معاونة ذلك الفلاح

---

(١) دار محفوظات : دفتر يشتمل على صورة مخصوص عمومى منعقد بديوان عالى خديوى سنة ١٢٥٦ .

فى حرث أراضيه من غير أجرة لكونه ملزوماً بمعاونة فلاحى حصته لأجل عدم انكساره »[١] .

هكذا كان القائمقام والشيخ ملزمين بالتفتيش على زراعة الفلاح وملاحظة عمله وكذلك يتحتم على حاكم الخط المرور على المزروعات ليتفقدها ، وقد نصت لائحة ٩ رمضان سنة ١٢٤٣ (مارس سنة ١٨٢٨) على أن « أراضى زراعة الأصناف يلزم أنه (حاكم الخط) يمر عليها كل ستة أيام مرة و يناظر و يشاهد حركاتها بأوقاتها وسقيها و إن كان زارعها جاهلا أم لا و إن كان يلزم له السباخ والخدمة بما يليق لها ، و إذا عاين شيئاً مما شرح ناقصاً ولم خدم كما هو لازم يحضر قائمقام و يسأل منه عن الزراعة المذكورة هى زراعة من ، ومن حصة من وأ كم فدان ؟ فإذا جاو به يسأل منه عن عدم خدمتها لأى سبب ، فإذا اعتذر لا يقبل منه عذر ، و إذا كان صاحب الأرض المرقومة مريض و إلا له عذر ، يلزم أنه ينبه و يؤكد على أحد من أقاربه يعاونه بمعرفة شيخه و يؤكد على شيخه وعلى قائمقام و يعرفهم أن إذا كان ينظر الأراضى كما كانت يؤدبهم الأدب اللائق ، و بعد فى ثانى مرة عند حضوره إن وجد الأرض لم خدمت يلزم أنه يحرر عليهم الأدب كما وعدهم أولاً »[٢] .

وقد نص قانون رجب سنة ١٢٤٥ على أنه « عند تخضير أراضى البياض يدورون (حكام الأخطاط) بالناحية و ينظرون اجتهاد الأهالى فى تخضير أطيانهم ؛ فالبلد التى يجدون عندها تهاوناً فى ذلك بوقته يحضرون قائمقام ومشايخ تلك الناحية و يسألونهم : هل ترى ما السبب فى إهمالكم فى تخضير أراضيكم ؟ هل ترى عدم تقاوى أو عدم بهائم أو تهاون منكم ؟ فإن وجدوا عطلهم من عدم البهائم حالاً يحضرون لهم بهائم من بلاد الخط مستعدة بالأجرة ، و إن كان عدم تقاوى ينظرون فى القوائم التى تحت يدهم من زمن محصول الغلال ، و ينظرون الشيخ الذى يجدون

---

(١) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ١٨

(٢) دار المحفوظات : دفتر مجموع أوامر إدارة وإجراءات ص ١٢ .

يبتدى بزرع الفول والشعير ، وباقى الأصناف الشتوية يزرعها من ابتداء هاتور إلى اليوم العاشر من شهر كيهك وفيه تتم الزراعة كلها . وينبغى أن تروى أطيان القرى التى لها سواقى ، تلك لأجل زراعة الشتوى بعد الغطاس ، وأما الأطيان التى تزرع بالقطن الهندى والبلدى وبالأرز والذرة العويجة تترك بوراً ، ومن ابتداء شهر طوبة إلى غاية برمهات تصلح ، وفى ابتداء شهر برموده تزرع ، وفى آخر هذا الشهر تزرع النيلة . وأما السمسم والذرة الصيفية فزرعها يكون فى بشنس لا فى بؤنه وأبيب ، والذرة المسقاوية تزرع فى شهر مسرى . وعلى هذا النمط أعنى إن زرعت الأصناف فى أوقاتها يسهل أخذ المحصول من الفقراء والضعفاء ويطمئنون فى محلاتهم . وينبغى أيضاً أن يزرع بعض القرى بالقياس » وقد أقر المجلس فى ١٣ ربيع الأول سنة ١٢٤٥ (سبتمبر سنة ١٨٢٩) ما ذكره مأمور السنبلاوين فى تقريره إذ كان قرار المجلس أن « ما قرره الأفندى المومى إليه موافق لأصول المصلحة ، لأن الأصناف إن زرعت فى غير أوقاتها فلا يحصل من ذلك ثمرة بل تتلف وذلك أمر واضح فيجب أن يهيأ كل ما يلزم للفلاحين من الأصناف وغيرها فى وقته ويسعفهم بذلك المأمورون والنظار »(١) .

وقد قدم المعلم باسليوس إلى مجلس المشورة تعريفات تشتمل على أربعة أبواب بخصوص أعمال كتابة صيارف القرى ذكر فى الباب الرابع ما يختص بأمر التقاوى وقد بحث المجلس تلك الأبواب الأربعة فى ١٨ ربيع سنة ١٢٤٥ (سبتمبر سنة ١٨٢٩) وجاء فى قراره « ينبغى أن يحرر الصيارف أسماء الذين يلزم أن يعطى لهم التقاوى اسما باسم ويختم القائمقامون ، وبعد ذلك يرسل مع المشايخ إلى نظار الأقسام والنظار يختمونه بخاتم المشايخ الكبار فى الأخطاط ومباشرى الأقسام ، وبعد ذلك يرسلونه إلى مأموريتهم وهم ينظرون إليه فإن كان مناسباً يشرحون تحته خطاباً إلى أمناء الأشوان ويختمونه لكى تعطى التقاوى من الأشوان ، فان اشتبه عليهم شىء

(١) الوقائع المصرية عدد ٥٩ فى غرة ربيع آخر سنة ١٢٤٥ .

لا يتركون البحث عنه .. ثم إن حكام الأخطاط والمشايخ الكبار يجولون و يترددون من قرية إلى قرية ويجتمع مشايخ القرى حصة بحصة وينظمون قائمة تبين أسماء التقاوى وأجناسه وتختم بخواتم حكام الأقطار ومشايخ الأخطاط ، و بعد ذلك يرسلونها إلى نظار الأقسام وهم يرسلونها إلى المأمورين وتصرف تلك التقاوى من الأشوان بموجبه »[١] .

وفى ١١ رمضان سنة ١٢٤١ (أبريل سنة ١٨٢٦) صدر أمر الباشا للأقاليم القبلية بزراعة النيلة وأنه عند ورود بذرتها من الشام ستوزع على النواحى[٢] .

كذلك فى ١١ شوال سنة ١٢٤٣ (أبريل سنة ١٨٢٨) صدر أمر الباشا إلى محافظ رشيد بأن يوزع على المزارعين الأرز الذى أحضر من أمريكا للتقاوى[٣] .

وفى سنة ١٢٤٦ (سنة ١٨٣٠) عندما أمر محمد على باشا بتكثير زراعة القصب فى جميع النواحى بحث أهل المجلس فى ذلك وقالوا « إن قيراط التقاوى العال بخمسة وعشرين ريال والوسط بعشرين ، والدون بخمسة عشر فينبغى أن يشرى وتعطى رجعة إضافة بثمنه والتقاوى المرتبة لمأمورى الأقاليم البحرية كما هو مشروح تعطى لهم فى وقتها »[٤] .

هـذا وكانت التقاوى سلفة من الحكومة للفلاحين وقد حدث أن بعض الفلاحين كانوا يتأخرون فى أداء بعضها فقـد أرسل إبراهيم أغا مأمور شرق أطفيح شقة إلى حضرة أحمد باشا المأمور بتنظيم الأقاليم الوسطى وقدمها الأخير إلى مجلس المشورة مضمونها أن الغلال التى أعطيت للأهالى سلفة لأجل التقاوى من ابتداء سـنة سبع وثلاثين لغاية سنة أربع وأربعين بقى منها على ذمتهم ألف وتسعمائة

---

(١) الوقائع المصرية عدد ٧٦ فى ٣ جماد الاول ١٢٤٥ .

(٢) سامى باشا . تقويم النيل جزء ثانى ص ٣٢٢ .

(٣) دار المحفوظات : الأوامر العلية .

(٤) الوقائع المصرية عدد ٢٠٩ فى ٢٧ جماد الاول سنة ١٢٤٦ .

أردب وكسور ، وكان الأمر يقتضى أن تحصل منهم عيناً ولكن لم تكن عندهم غلال بسبب « الشراقى » الذى ظهر قبل هذا فلذا نبه على مباشر القسم أن يحصل ثمن تلك الغلال منهم بموجب السعر الذى يشترى به من الأهالى . وقد بحث المجلس هذه المسألة فى ٧ ربيع آخر سنة ١٢٤٥ (أكتوبر سنة ١٨٢٩) وقرر « أن يحصل ثمن تلك الغلال مع مال سنة أربعة وأربعين فان كانت حنطة يحصل ثمن الأردب منها بعشرة ريالات مصرية ، وإن كانت شعيراً أو فولاً أو أذره أو حمصاً أو عدساً فبسبعة »[١] .

وقد صدر أمر من محمد على باشا إلى إسماعيل بك مدير طنطا فى ٢٢ رجب سنة ١٢٥٢ (نوفمبر سنة ١٨٣٦) جاء فيه أن نظار أقسام الصافية والشباسات وكفر مجر التمسوا صرف تقاوى غلال وبذور سلفة من شون الحكومة لزراعة سنة ١٢٥٢ ولكن لورود كشف من إسماعيل بك مدير طنطا عن بقايا التقاوى المتأخرة على الأهالى من المنصرف لهم لغاية سنة ١٢٥١ استقر الرأى على أن البلاد التى وردت التقاوى التى صرفت لها لغاية سنة ١٢٥١ يصرف لها اللازم من تقاوى الغلال والبذور للمزارعين المحتاجين بشرط أن يكون ذلك بعهدة نظار الأقسام . أما البلاد التى لم تورد ما عليها من التقاوى لغاية سنة ١٢٥١ فلا تعطى لها تقاوى من شون الحكومة ويكون إتمام « تخضير » أرضها مسئولاً من نظار الأقسام . وقد أمر الباشا مدير طنطا بالسير على موجب ما ذكر[٢] .

هذا وقد حدث أن مصطفى طبوز ومنصور فارس من قرية مليج فى المنوفية قدما عرض حال مضمونه أن شاهين حربية شيخ القرية أخذ فى سنة ١٢٤٣ وسنة ١٢٤٤ من الشونة مائتى أردب للتقاوى لأجل الفلاحين ولم يرسلها لهم بل أخذها هو وحسبها عليهم[٣] .

---

(١) الوقائع المصرية عدد ٧٩ فى ٨ جماد الاول سنة ١٢٤٥ .
(٢) دار المحفوظات : دفتر مجموع نظام زراعة ص ١٥٩ .
(٣) الوقائع المصرية عدد ٦٢ فى ٥ ربيع الآخر سنة ١٢٤٥

وقد جاء فى قرار المجلس العمومى سنة ١٢٥٦ (سنة ١٨٤٠) مقدار تقاوى كل صنف من المزروعات كالآتى :

« إن تقاوى أراضى الوجه البحرى يلزم لها إلى القمح اللوق كل فدان ثمانية كيلات ثلثاى أردب والحراتى ستة كيلات إلى الأراضى العيانة وخمسة كيلات إلى الأرض الشديدة والفول عشرة كيلات إلى اللوق وثمانية كيلات إلى الحرت ، والشعير أربعة كيلات والعدس ثلاثة كيلات والحلبة ثلث أردب إلى اللوق وربع أردب إلى الحرت والبرسيم ربع أردب والحمص نصف أردب حرة والترمس سدس أردب والكتان نصف أردب بذر إلى المسقاوى والحراتى ثلثاى أردب والقرطم سدس أردب والقطن كل فدان كيلة والأذرة العويجة الأبيض نصف ربع والمسقاوى ربع والأذرة الشامى سدس أردب والنيلة ثمن أردب والقصب كل فدان قيراطين ونصف من فدان وإذا كان تقاويه عيانة يؤخذ كل فدان أربعة قراريط والسمسم نصف ربع مصر والأرز الأراضى الطيبة ثلاث كيلات من الأرض الحلوة والأراضى المالحة خمسة كيلات ، وأما الخضارات الملوخية كيلة والبامية ثلث كيلة والبصل كيلتين ونصف يزرعوا فدان تقاوى والفدان يزرع اثنى عشر فدان شتل والدخان قدح واحد والتيل سدس فدان وباقى الخضارات لم بها اعتبار . وأما أراضى الوجه القبلى فالقمح الفدان اللوق يلزم له تقاوى ثلثاى أردب والحراتى على وجهين : الأرض الزرقة ثلث أردب والأرض الصفرة ربع أردب ستة قراريط والفول اللوق نصف وثلث أردب والحراتى نصف أردب والشعير مثل القمح والعدس فى اللوق نصف أردب والحراتى ثلث أردب والحلبة اللوق ثلث أردب والحرث ربع أردب والبرسيم ربع أردب والحمص اللوق ثلث أردب والحراتى ربع أردب والترمس سدس أردب والجلبان مثل الحلبة والباسلة مثلهم والساجم قيراط واحد والخص قيراطين والكتان نصف وثلث أردب والقرطم ثلث أردب والكمون والأنسون كل فدان قيراط واحد والقطن قيراطين والأذرة العويجة قيراطين والأذرة النيلى الصفرة

أن الأراضى لا تصلح لزرع كل الأصناف . أما إذا زرعت الأطيان مما يناسبها من الأصناف يجتهد صاحبها بالنظر فيها ويكثر المحصول ، وإن زرعت رغماً عن أصحابها يحصل من ذلك خسارة عكس المأمول ، لأجل ذلك يقتضى أن تزرع القرى الكائنة حول كرخانة النيلة بالنيلة قدر كفاية الكرخانة ، وبعد ذلك إذا كان لأهلها قدرة أن يزرعوها صنفاً آخر فلا بأس بذلك ، والقرى التى ليست حولها فلا ينبغى أن تزرع بالنيلة حيث بعدها عنها وإن زرعت يحصل الضرر » فأقر المجلس ما ذكره صالح افندى مأمور السنبلاوين إذ جاء فى قرار المجلس فى ١٣ ربيع الأول سنة ١٢٤٥ (سبتمبر سنة ١٨٢٩) « يجب أن تزرع الأراضى بما يناسب من الأصناف والقرى التى حول كرخانة النيلة تزرع بالنيلة »[١] .

ولم تكن النيلة المصرية من الأصناف المحتكرة فى مديرية أسيوط ، بل كانت نيلة جزائر الهند الشرقية هى المحتكرة إذ أنها أعلى بكثير فى النوع من الأولى[٢] .

هذا وكان الباشا يقرر مقدار ما يجب زراعته فى القطر من الأصناف على مقتضى الحالة التجارية[٣] .

وكان المديريون يرسلون كشوفاً بمقدار محصولات الأصناف إلى الباشا للاطلاع على مقدار المحصول ، ففى ١٧ المحرم سنة ١٢٣٩ (سبتمبر سنة ١٨٢٣) صدر أمر الباشا إلى مأمورى مديريات البحيرة والغربية والمنوفية والمنصورة والشرقية والقليوبية والجيزة بقلة محصول الأصناف المستجدة زراعتها بها كما علم من الكشوف المقدمة منهم إليه وهى المبينة بالجدول الآتى :

---

(١) الوقائع المصرية عدد ٥٩ فى غرة ربيع آخر سنة ١٢٤٥ .

(٢) Bowing : Op. cit., p. 16.

(٣) Merruau : Op. cit., p. 51.

أسماء المديريات والأقاليم	كتان	قطن	دخان	قرطم	بذر كتان	حمص	نيلة	عصفر	سمسم
	قنطار	قنطار	قنطار	أردب	أردب	أردب	قنطار	أردب	أردب
البحيرة	١٨٠	٢٥	٥٤١	٢٤	٢٨٨١	٩٤٧٣	٠٠	٠٠	٠٠
الغربية	١٥٥٨٥	١٧١٧	٦٨٣	٩٥٩	٦٩٧٩	٦٤٧	٢	٤٠٦	١٠
المنوفية	١٦٢٦٢	٢٣٩	١١١٤	١٢٠٦	٤٢٤٦٩	١٦٩	٠٠	٥٢٣	٠٠
المنصورة	٦٧٤٠	١٣٥٥	١١٠	٠٠	١٩٠١٣	٩٢	٠٠	٠٠	٠٠
الشرقية	٦٦٨	١٠٣٩	٢٥٣	٠٠	٣١٦١	٠٠	٣	٠٠	٩٠
القليوبية	٧٤٦	٥٤	٠٠	١٣٣١	٤٧٩٥	٠٠	٠٠	٩٤٣	٠٠
الجيزة	٧٣١	٢	٤٨٥٧	١١٣٦٤	٢٦٦٣	١٨	٠٠	٣٨٩	٠٠
الجملة [١]	٤٠٨٨٢	٥٤٣١	٧٥٥٨	١٤٨٨٤	٨١٩٦١	١٠٢٩٩	٥	٢٢٦٠	١٠٠

هذا وكانت الحكومة تمد الفلاح « بالتقاوى » اللازمة للزراعة عند الحاجة .

وقد قدم صالح أفندى مأمور السنبلاوين تقريراً إلى مجلس المشورة مشتملاً على ستة أبواب جاء فى سادسها « أن الفلاح كالتاجر يعنى يحتاج لرأس مال وهو الأطيان : فإن أحضر أولاً عنده كامل ما يلزم لزراعته من السواقى وأخشابها ، ومن المواشى والتقاوى يزرع الأصناف فى موسمها ، ويؤدى مالها ، وإن زرع بعد مضى وقتها المعلوم يصير مكسوراً ، وذلك من المواد المعلومة ، ومن حيث أن انكساره ليس بواجب ، ينبغى أن يسعف ليزرع كل صنف فى آنه ، ومن المعلوم أن الأشهر العربية تدور غير مستقرة ، والأشهر القبطية مستقرة : فالفلاح يبقى بلا شغل من ابتداء شهر توت إلى اليوم الخامس عشر من شهر بابه ، وفى اليوم السادس عشر منه

(١) سامى باشا : تقويم النيل جزء ثانى ص ٣٠٩ .

عنده غلال زيادة عن قانون تخضير أراضيه ، أعنى يعملون مقايسة على أصول موجودة ، ويحصون الذى ورد بالأشوان والذى يلزم لتقاوى أراضيه وما يتبقى عنده يؤخذ منه جانب غلال إلى فلاحى حصته ويعطى إلى من ليس عنده تقاوى ، وإذا كان يوجد بالناحية ناس ليس موجود عندهم غلال زيادة ، فضرورة يحرروا قايمة بالأسما المحتاجة إلى التقاوى ويوضع ختمه عليها فائمقام الناحية وحاكم شيخ الخط ويتوجهون بها إلى ناظر القسم ، وهو يعرض إلى المأمور ، وبوقته يأمر لهم بصرف مطلوبهم بموجب القايمة »(١) .

وزيادة على ملاحظة حكام الأخطاط وقائمقامات ومشايخ القرى لزراعة الفلاح عين الباشا موظفين لملاحظة زراعة الأصناف المحتكرة ، يعرفون باسم معاونى الأخطاط ، فقد صدرت فى ٢٨ شوال سنة ١٢٥١ (فبراير سنة ١٨٣٦) لائحة بترتيب معاونين بالأخطاط جاء فى الباب الأول منها : « عند حلول حرت ، وبرش ، وزراعة ، وخدمة ، وسقية أراضى الأصناف المرتبة بنواحى الخط ، فالمعاون يكون بيده بيان الترتيب بلد بلد ، اسم اسم ، حوض حوض ، صنف صنف . ووقت إدارة الحرت والبرش يدور بلاد الخط بلد بلد ، غيط غيط ، وصحبته خولى كل بلد ، وبمروره ومعاينته ذلك فالذى يوجده ليس مهتما فى برش وحرت المرتب عليه إن كان شيخاً أو فلاحا ، أو يجد الذى صار منه الحرت والبرش ناقص عن المرتب عليه ، أو يوجد ذلك بأراضى غير لائقة ، فالمعاون ينظر الموجب لذلك ويقيده فى جرنال ، وبوقته يفيد ناظر القسم ، وأيضاً يفيد حضرة المدير بالتفصيل لأجل ما يرى فى إفادته يجرى مقتضاه ، وهكذا من ابتداء الزراعة لغاية جنى القطن وحليجه وتوريده بالأشوان »(٢) .

كذلك كان مأمور الإقليم يلاحظ الزراعة وقد نص قانون سنة ١٢٤٥ على

---

(١) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ٢٢ .

(٢) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ١٥ .

أنه « ينبه على البلاد فى خدمة أراضى الزراعة ودائماً المدير يلاحظ الزراعات وخدمتها مثلا يصير إهمال من المزارعين فيرسل من طرفه من يلاحظ ذلك . . . وأيضاً يدور على النواحى يلاحظ أشغالها »[١] .

وقد أصدر محمد على باشا فى غرة ذى القعدة سنة ١٢٤١ (يونيه سنة ١٨٢٦) أمراً إلى كتخدا بك يؤكد فيه بتعيين مأمورين لهم دراية بالزراعة[٢] وذلك رغبة منه فى أن يكونوا على علم بما يدخل فى اختصاصاتهم ألا وهو ملاحظة الزراعة .

وكان الفلاح المهمل فى زراعته يجازى على إهماله فقد جاء فى قانون رجب سنة ١٢٤٥ أن « الغيطان التى يمر عليها قائمقام وشيخ الحصة إذا وجدوا خدمتها ناقصة فبوقته يحضرون صاحب الغيط ويسألون منه عن السبب فاذا لم يوجد له عذر فأول دفعة يضرب خمسة وعشرين كرباجاً وإذا لم يحصل من صاحب الغيط همة فى خدمة أطيانه فى ثانى يوم فيضرب خمسين كرباجاً كذلك ثالث يوم يتوجهون إلى الغيط المذكور فإذا وجدوا صاحب الغيط المذكور مهتما فى خدمته لا بأس وإلا إذا وجد أنه مهمل كالأول فيضرب مائة كرباج ، وإن كان له شريك فى الغيط فيصير عليه التنبيه بالإعانة له ، وأما إن كان ليس له شريك وصاحب الغيط ليس له قدرة لخدمة الغيط المذكور فيشارك مع واحد مقتدر . . . . إذا كان أحد المزارعين وجد غيطه ليس مخدوماً كالواجب وحينما سئل أخبر أن سبب ذلك فهو أن الشيخ أو غيره أخذه وخدمه فى خدمة وجعله ترك غيطه ، فالجزاء الذى يجب لذلك الفلاح يقتضى أن يصير إلى الذى أخذه . . . وإذا كان قائمقام الناحية أو شيخ الحصة يضربون أحد الفلاحين ويدعون أنه ضربه فهو من تكاسله بلا أصل فمن بعد التحقيق الضرب الذى ضربوه إلى ذلك الفلاح ينظر مقداره ويضرب لفاعل ذلك يعنى لضارب الفلاح من غير ذنب أضعاف الجزاء المشروح »[٣] .

---

(١) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ٣ .
(٢) سامى باشا : تقويم النيل جزء ثانى ص ٣٢٢ .
(٣) دار المحفوظات : دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات ص ١٨ ، ٢١ .

كذلك قد نص نفس القانون على أنه « وقت التخضير إذا كان أحد يتكاسل على تخضير أطيانه ولم يأخذ محراثه وينزل كما هو واجب منه إلى الغيط ، فمن حيث أن هذه خدمة القائمقام والشيخ ، فاذا لم كان الفلاح يمتثل لهم فيضربونه خمسين كرباجا وحالا يدعونه يأخذ محراثه ويتوجه إلى غيطه »[١].

كذلك نص قانون سنة ١٢٦١ (سنة ١٨٤٥) على أن « الذين لم يهتموا فى تخضير الأصناف والشتوى ويهملون فى حرثها أو عزقها إن كان بالمزيق أو قطع ما فيها من الأعشاب أو يهملون رى أطيانهم أوفى شىء من جميع خدماتها ولم يخدموها كما ينبغى وحصل بسبب ذلك تلف إلى الزراعة ؛ فمن يفعل ذلك يحصل له التنبيه فى أول مرة فان لم يتنبه وعاد لذلك فيضرب فى الثانية خمسين كرباجا . . . . . إن لم يأخذ محراثه (الفلاح) فى وقت التخضير ويذهب إلى غيطه أو يتكاسل فى تخضير أرضه يضرب خمسين كرباجا ويجبر على شغله بمحراثه حتى يخضر أرضه »[٢].

وقد صدر أمر محمد على باشا فى ٧ رمضان سنة ١٢٥١ (ديسمبر سنة ١٨٣٥) إلى مفتش الأقاليم البحرية هذا نصه : « أنى سمعت تأخر تخضير أراضى قسمى نبروه وكفر الشيخ يا ولدى أقسام القليوبية قد تم تخضيرها وأن تأخير هذين القسمين مما لا يجوز مطلقاً ، فيلزم القيام بنفسك والتوجه إليهما وتوزيع المعاونين بسائر جهاتهما واستعمال النبوت حتى يتم تخضير جميع الأراضى . . . . . . فعليك ترك الاستراحة وعدم الاكتفاء بالمكاتبات . وأنه بإخبارك عن إتمام وإنهاء ذلك أكون ممنوناً »[٣].

وفى ١٦ محرم سنة ١٢٥٢ (مايو سنة ١٨٣٦) صدر أمر الباشا إلى مديرى الوجه البحرى ونصه : « أثناء مرورى على ناحية قد شاهدت مزارع القطن تعلق

---

(١) دار المحفوظات : دفتر مجموع أوامر جنائية ص ٩٢ .

(٢) دار المحفوظات : دفتر مجموع أوامر جنائية ص ٩٢ .

(٣) سامى باشا . تقويم النيل جزء ثان ص ٤٥٧ .

شيخها حسن الجزار حال ريها ، وأن المساقى مملوءة بالحشائش ولا تفيد بشىء ولذلك صار ضربه مائتى نبوت . وهذا للمعلومية ، حتى إذا رؤى ما يماثل ذلك بقرى المديرية يجرى ضرب ناظر القسم عشرة نبابيت والشيخ مائتى نبوت ، وإن كان صاحب الغيط ليس شيخاً يضرب كذلك . وتحقق بسوء المعاملة حال مشاهدتى شىء مما يماثل ذلك »[1] .

وقد صرح الباشا بعقاب المهمل فى الزراعة حتى ولو بالصلب ، إذ صدر أمره فى ٢ ربيع الأول سنة ١٢٥٢ (يونيه سنة ١٨٣٦) إلى مدير الوجه البحرى بأنه علم من الجرنال المقدم من أدهم أفندى أحد خلفاء ديوان معاونته أن أدهم أفندى أثناء مروره فى مديرية المنوفية قد شاهد مزروعات بعض القرى غير مرواة ووجود حشائش بها ، وبالبحث علم أنها تختص بنظار الأقسام وأقاربهم الذين أهملوها لعدم إلزام أحد لهم بخدمتها ، ولذا فقد كتب إلى مدير المنوفية بأن يقوم بنفسه ويمر على تلك المزروعات فإن كانت هذه المزروعات تختص ناظر القسم يستحضره ويعظه بقوله : « إنه فى حالة ما تكون مزروعاتك بهذه الصفة ماذا يفعل الغير ؟ وكيف يتقدم الفقراء أهل لا يتكاسلون بالكاية وإن كان هذا الإيقاظ هو لخوفى عليك » وإن كانت لأقاربه أو توابعه يستحضرهم ويلقى عليهم هذه التنبيهات ، وما هو ضرورى من النصائح والوصايا ثم يؤدبهم على رأس الحقل عبرة لغيرهم حتى لو صاب شخص أو شخصان بسبب ذلك فلا بأس . وعلى الوجه المذكور يسير المدير عند حدوث ما يماثل ذلك بمديريته[2] .

هكذا كان عقاب من يهمل فى الزراعة ؛ أما من يجرؤ على تقليع مزروعات الأصناف المحتكرة فإن عقابه أشد مما ذكر . ففى غاية ربيع آخر سنة ١٢٥١ (أغسطس سنة ١٨٣٥) صدر أمر الباشا إلى مدير الوجه البحرى بأنه لما علم من

(١) دار المحفوظات : الأوامر العلية .

(٢) دار المحفوظات : الأوامر العلية .

الجرنال الوارد من مدير نصف الغربية أن أحد الأهالى قلع مزروعات قطنه الخاص به وزرع بدلها ذرة حرر إلى المدير بإرساله إلى الليمان تربية له وعبرة لغيره . وعلى هذا النحو يعامل من يفعل هذا بمديرياتهم [١] .

وفى ٢٢ رمضان سنة ١٢٥١ (يناير سنة ١٨٣٦) صدر أمر الباشا إلى مدير البحيرة بإرسال من يقلع القطن إلى الليمان أو إعدامه و بأنه لاينبغى قطع أذنيه وجدع أنفه وذلك بمناسبة حادثة فلاح بواين الذى وجده مدير البحيرة يقلع القطن وعند سؤاله اتضح أن القطن ملك شخص مريض ، وذلك الفلاح ابن أخته ، فأدبه بقطع أذنيه وجدع أنفه ليكون عبرة لغيره . وقد أخطر ناظر قسم النجيلة و بعض المشايخ وتبه عليهم بإجراء ذلك مع من يقلع شجرة قطن واحدة [٢] .

لم يكن الفلاح وحده معرضاً للعقاب إذا أهمل الزراعة بل كان الحكام كذلك يعاقبون إذا أهملوا فى ملاحظة الزراعة والتفتيش على الفلاح ، وكان الباشا يلفت نظر الحكام إلى الاعتناء بالزراعة وملاحظتها جيداً ، ويتوعدهم بالعقاب الشديد إن أهملوا فى ذلك .

ويتبين لنا كيفية عقاب الحكام مما جاء فى خلاصة المجلس العمومى سنة ١٢٥٦ (سنة ١٨٤٠) تحت عنوان : « فيما يلزم لخدمة الأرض » إذ أن « الأراضى التى تصلح لزراعة الشتوى ؛ فالذى يصلح إلى اللوق بعد كشف المياه عن الأراضى يصير بدار تقاويها من قمح وفول وشعير وترمس ، والذى يصلح إلى الخدمة بالحرث فهو على وجهين : الأول أن الأراضى التى لم اكتسبت طمى فى النيل فيصير حرثها وجهين والثالث يصير بدارها به ، والأرض التى اكتسبت طمى يصير حرثها وجهين أول مرة وثانى مرة بالتقاوى ، وأما زراعة أصناف الحبوب فكل أرض لها زراعة . فإذا كان أرض تصلح لزراعة القمح ويرى بها صنف خلافه فمعلوم أنها لم تؤدى محصول كالمرام

---

(١) دار المحفوظات : الأوامر العلية .

(٢) دار المحفوظات : الأوامر العلية .

فإذا صار مخالفة فى زراعة الأراضى بغير موافقها وتحقق أن سبب ذلك عدم إعطاء الإعانة إلى المزارع سوى أن كان من عدم خدمه أو مخالفة صنف التقاوى فينظر إلى ما كان يوافق لزراعة الأرض هو أى صنف و يعطى محصول من الفدان من بعد الخدمة الموضحة قبله وتحصل إلى المزارع من شيخ حصته فرق محصول زراعته بمقايسة ذلك جزاء إلى الشيخ المذكور نظيراً لإهماله فى عدم إعانة المزارع فى الخدمة ومخالفة زراعة الصنف فى الأرض الغير موافقها ، وأما زراعة الصيفى فإن خدمتها على وجهين الوجه الأول الزراعة البعلى الذى هو الذرة العويجة والدخان والأسون والكمون والمقاتاه وأمثال ذلك يحرث مرتين والمرة الثالثة يحرث بالتقاوى ، وأما القصب والنيلة والقطن يحرثوا خمسة مرات وستة مرات بحسب الأراضى ، وهو الأرض البيضة ثلاثة سلاحات ، والسودة خمسة وستة سلاحات . فإذا صار مخالفة عن هذه الشروط فإن كان السبب من الخولى فيضرب نظير كل فدان خمسة وعشرين كرباجاً ، و إن كانت المخالفة من مشايخ النواحى فيضرب الشيخ مائتين كرباج ، و إذا كان خولى الزراعة يخبر ناظر القسم أن أهالى البلد والمشايخ لم حصل منهم الاهتمام فى خدمة الزراعة كالشروط والناظر أهمل فى حضور المشايخ بوقته فيجرى الجزاء على ناظر القسم مثل شيخ الناحية » (١) .

كذلك جاء فى الخلاصة نفسها تحت عنوان : « ابتداء الزراعة ونهايتها » أن « ابتداء عملية الشتوى نزول مياه النيل المبارك عن الأراضى والذى يناسب زراعته لوق يتلوق بوقته والذى يصلح إلى الحرث يصير حرثه ونهاية الزراعة غاية شهر كيهك فى عام ١٢٥٦ فقط بداعى كثرة المياه ، وأما قانون الزراعة فى كل عام ١٥ من الشهر المذكور ، وفى كل عشرة أيام مرسل كشوفات من طرف نظار الأقسام إلى ديوان المديرية ببيان أصل أصناف الزراعة والمخضر منها لغاية العشرة أيام المحرر بها الكشف

(١) دار المحفوظات : دفتر يشمل صورة المجلس العمومى المنعقد بديوان عالى خديوى سنة ١٢٥٦

والباقى من دون تخضير ومن المديرية أرسلوا إلى المعاونة وفى نهاية أوان الزراعة معاذ الله إذا صار تأخير أراضى بور من دون زراعة من ضمن الأراضى المرتبة لزراعة الشتوى أو أراضى بدون خدمة كاللايق فالذى يوجد عنده ذلك يصير تحقيق سبب تأخير الأراضى الذى لم انزرعت ، وإن وجد أن سببه من شيخ البلد أو من ناظر القسم فيتحصل مال الأطيان الذى لم صار زراعتها ممن ثبت عليه أنه هو السبب فى ذلك ويعطى إلى المزارع قيمة ما يكتسبه فى زراعة أراضيه أعنى محصول زراعة المتسبب لأجل معاشه وإن كان البور ناشئاً من المزارع فقط يدفع المال من شيخ حصته نظراً لعدم ملاحظته ، والمزارع لم يأخذ شيء نظير قيمة اكتسابه من الشيخ كون هو المتكاسل ولأجل قوته يصير استخدامه بالأجرة بطرف مزارع آخر مقتدر لمعاشه فى باقى السنة وفى السنة الثانية يصير ملاحظة حاله من شيخه ولا يصير تركه كما صار فى السنة الماضية ، وأما الأراضى التى توجد لم هى مخدومة كالواجب فحيث ملاحظة خدمة الأراضى متعلقة بمشايخ البلاد فيصير تحصيل أموالها من المشايخ ، وأما زراعة الصيفى فلتبدأ خدامته من ابتداء غرة طوبة وغاية الخدمة تمام الشهر المذكور وابتداء الزراعة عشرة أمشير وغايتها لغاية ١٥ برمهات ، ويجرى بها كما ذكر فى زراعة الشتوى »[١] .

هكذا كانت خدمة الأرض وابتداء الزراعة وانتهاؤها ، وكان الفلاح يسير على مقتضى ذلك فى عمله بدون خلل فيما يلزم لخدمة الأرض أو مواعيد الزراعة ، وقد ذكر عقاب الحكام إن أهملوا فى ملاحظة الفلاح تبعاً لتلك الأوامر ، ولهذا فكان الحكام يعملون ما فى وسعهم لمثابرة الفلاح على الاهتمام بالخدمة والزراعة حتى لا يقع عليه العقاب ، وقد سبق أن من حقهم معاقبة المهمل .

كان الحكام معرضين للعقاب إن أهملوا فى ملاحظة الزراعة والفلاح ، ولقد

---

(١) دار المحفوظات : دفتر يشمل صورة المجلس العمومى المنعقد بديوان عالى خديوى سنة ١٢٥٦ .

توعدهم الباشا بالعقاب الشديد فى حالة إهمالهم ، إذ صدر أمره فى ١٣ جمادى الآخر سنة ١٢٤١ﻫ (يناير سنة ١٨٢٦) إلى جميع الجهات بأنه لا يخفى أن المقصود من تنظيم الأقاليم المصرية وجعلها أقساما وتعيين المأمورين عليها هو تسهيل لعمار القطر وتقدم زراعته ، وبذلك يعلم ما يحصل من مأمورى تلك الأقسام من الغيرة والاجتهاد ، ولكن المأمورين لم تحصل منهم الدقة فى مراعاة ذلك ، ولهذا صمم (محمد على باشا) على قيامه بتفتيش أطيان القطر ومزروعاته بنفسه ، وعند ما يتراءى له حصول أدنى تقصير من مأمورى تلك الأقسام أو قائمقامات أو حكام الأخطاط والمشايخ والخولى يجمعهم فى وسط الحقل الحاصل فيه التأخير على رءوس الأشهاد ، ويأمر بحفر حفرة ويدفنهم فيها أحياء وليكن ذلك معلوما وقاية لأنفسهم من ذلك[١] .

وكان الباشا عادة يقوم بالتفتيش على الزراعة مرة أو مرتين كل عام ليطلع على الأحوال بنفسه ، ولكن الحكام كانوا يتخذون الحيطة عند ما يعلمون بزيارة الباشا هذه ، فلا يدعون شكوى تصل الباشا من الأهالى بل يعرب كبار الفلاحين عن ارتياحهم فى بلادهم وحسن حالهم ، وكان الحكام يهيئون طرق مرور الباشا بين الحقول حسنة المزروعات ، ولذلك فان الباشا لم يكن فى مقدوره الوقوف على حقيقة أمر الأرياف والفلاحين[٢] .

حالة الفلاح تحت هذا النظام :

ولبيان حال الفلاح نذكر فيما يلى ما جمعه ولكنسن Wilkinson بنفسه فى سنة ١٨٢٧ من المعلومات عن ربح الفلاح من الزراعة إذ ذكر أن محصول الأرض الجيدة كالآتى :

---

(١) دار المحفوظات : الأوامر العلية .

(٢) Hamont: Op. cit., t. II. pp. 130 — 135.
Monriez: Op. cit., t. III pp. 50 — 53

	قرش	شهر	يوم	فيكون المجموع		قرش
محصول الفدان ½ ٢ قنطار من القطن بسعر القنطار	١٢٠	١٢		»	»	٣٠٠
» » ٨ أردب من القمح بسعر الأردب	٣٨	٤	و٢٠	»	»	٣٠٤
» » ١٢ أردب من الذرة الفايضة » »	١٦	٣	و١٠	»	»	١٩٢
» » ٥ أرادب ذره شامى » »	١٦	٢	و٢٥	»	»	٨٠
وينتج من الثمانية أرادب القمح ١٠ أحمال تبن بسعر الحمل	٢	٤	و٢٠	»	»	٢٠
» » الاثنى عشر أرادب ذرة ١٥ حمل جمل حطب » »	٢	٣	و١٠	»	»	٣٠
» » الخمسة أرداب ذره شامى ٥ » » » » » »	٢	٢	و١٥	»	»	١٠
				المجموع		٦٣٦

ومال الفدان ٩٠ قرشاً .

فيكون ربح الفلاح من فدان القطن = ٣٠٠ — ٩٠ = ٢١٠ قرشاً من غير استقطاع الضرائب الأخرى .

أما فى حالة زراعة الحبوب يكون ربح الفلاح كالآتى :

تقاوى الفدان ½ أردب بمبلغ ٦٩ قرشاً .

ضريبة الفدان ٤٠ قرشاً .

حمل تبن ٢ قرشين .

١١١ قرشاً

٦٣٦ — ١١١ = ٥٢٥ قرشاً الباقى للفلاح [١] .

هذا مع العلم بأن محصول الفدان من القمح يختلف بين أربعة أرادب وسبعة بينما يكون محصول الأرض الجيدة ثمانية أرادب والضعيفة أردبين ، ومحصول الفدان من الشعير يختلف بين أربعة أرادب وخمسة ، والفول بين أربعة أرادب وعشرة ، والعدس بين أربعة أرادب وسبعة ، والذرة الصيفية من أربعة أرادب إلى تسعة ، والذرة الشامى سبعة أرادب ، والحمص يختلف بين ثلاثه أرادب وسبعة ، والترمس سبعة أرادب ، والحلبة وتختلف بين ستة أرادب وثمانية ، والأرز بين أردبين وستة ،

(١) Wilkenson: « Modern Egypt and thebes » vol I. pp. 464.465.

والقطن من ثلاثة قناطير إلى أربعة ، والكتان أربعة أرادب من البذر ، وقنطاران من الكتان ، والقرطم يختلف بين أردبين وأردبين ونصف ، والطباق عشرة قناطير[١] .

(١) Mengin : « Histore de l'Egypte sous le gouvernement de Mohamed Ali » t. II. pp. 344 — 371.

UNIVERSITY OF EGYPT

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS

VOL. 3. PART 2

DECEMBER 1935

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year,
in May December. Price per copy 10 P.T. post free.
All communications are to be addressed
to the Hon. Sec. of the Editorial Board, Mr. Shafik Ghorbal,
Faculty of Arts, Giza, Egypt.

Association of Authorship, Translation & Publication Press, Cairo.

TABLE OF CONTENTS:

THE EUROPEAN SECTION:

PAPERS CONTRIBUTED:

THE ARABIC SECTION:

[*To face p. 58*]

INSCRIPTION RECORDED AS AT THE SW PORPHYRY QUARRIES AT GEBEL DOHKAN.

Transliteration and translation.

Καθολικὴ ἐκκλησία Μελιτίου

Δίδυμος ἐπαρχικὸς εὐχαριστῶν τῷ ἁγίῳ τόπῳ ἅμα Παρανίῳ καὶ Πανα-
χάτῃ ἀρχιλατόμοισ καὶ λοιποῖς τεχνίταις ἀνεν[έ]ωσα εἰς [τὴ]ν χ(άλ)ασιν τῶν κ[ι]-
όνων Ἱεροσολύμων.

The Catholic Chuch of Melitius

I, Didymus, an official of the prefect, giving thanks to the holy place, together with Paranius and Panachates, chief masons, and the other craftsmen, renewed (the road? or the winches?) for the lowering of the columns of Jerusalem.

TWO INSCRIPTIONS
AT
MONS PORPHYRITES
(GEBEL DOKHAN)

ALSO A DESCRIPTION, WITH PLANS, OF THE STATIONS BETWEEN KAINOPOLIS & MYOS HORMOS TOGETHER WITH SOME OTHER RUINS IN THE NEIGHBOURHOOD OF GEBEL DOKHAN

by

C. H. O. SCAIFE.

INSCRIPTION RECORDED AS AT THE SW PORPHYRY QUARRIES AT GEBEL DOKHAN

ΚΑΘΟ ☥ ΛΙΚΗ ✝ ΕΚΚΛΗ ☥ ϹΙΑ ΜΕΛΙΤΙΟΥ

ΔΙΩΤΗΜΟϹΕΠΑΡΧΙΚΟϹΕΥΧΑΡΙϹΤΩΝΤΩΑΓΙΩΤΟΠΩΑΜΑΠΑΡΑΝΙΩΚΑΙΠΑΝΑ

ΧΑΤΗΑΡΧΙΛΑΤΟΜΟΙϹΚΑΙΛΟΙΠΟΙϹΤΕΧΝΙΤΑΙϹΑΝΕΝΕΩϹΑΘΗϹΠΗΧΑΛΑΚΙΝΤΩΝΚ·

ΟΝΩΝΙΕΡΟϹΟΛΥΜΩΝ

The above inscription was found by J. G. Wilkinson below the village at the top of the hill called Lykabettus by Schweinfurth *(Aufnahmen in der Östlichen Wüste von Ägypten, sheet VI)* in 1825. In MS. vol xxxviii[39] p. 30, Wilkinson says:- "Below this village on the great road which leads to it and the quarry is the following inscription in 4 lines cut on a green stone which abounds hereabouts".

The block was found by Hardwick and copied by Dr. Hume in 1898. Delbrueck *(Antike Porphyrwerke p. XXXIV)* publishes the inscription after Hume, and gives a line-by-line comparison with it and the version according to Wilkinson. As there are almost as many discrepancies between Wilkinson's version as it appears in Delbrueck and as it appears in his MSS:, as there are between Hume's copy and Wilkinson's, I have given Wilkinson's copy entire; which I am able to do by kind permission of Mrs Godfrey Mosly, the owner of the MSS:. Dr Hume has very kindly let me examine his field note-books, and there is a note against his copy of the inscription to the effect that the relations of the symbols to the first line is uncertain. As the position of the symbols in Wilkinson's copy is very different, this, under the circumstances, would seem more likely to be the correct one.

Attention should be drawn to the strange differences between the version presented as Wilkinson's in Delbrueck and the original copy; e. g.: -

ΔΙΑΔΟΥΝΟΣ in Delbrueck, for ΔΙΔΥΜΟΣ. in the *MS*:;
ΕΠΑΡΧΙΧΟΣ in Delbrueck, for ΕΠΑΡΧΙΚΟΣ in the *MS*:;
ΠΑΠΑ in Delbrueck, for ΠΑΝΑ in the *MS*:.
ΙΕΡΟΣΟΛΥΗΜΩΝ in Delbrueck, for ΙΕΡΟΣΟΛΥΜΩΝ in the *MS*:

It should be added that in volume xxxv[30] p. 34, of Wilkinson's *MS*:, which contains matter worked up from the field notes in volume xxxvi[33], there is a pencil copy of this inscription in which the latter part of the third line and the fourth line are given as follows: —

ΕΙϹΠΙΝΧΛΑΑϹΙΝΤωΝΚΙ
ΟΝωΝ ΙΕΡΟϹΟΛΥΜωΝ

It is extremely unfortunate that the block bearing this interesting record should have disappeared; for only a squeeze can give hope of definitely clearing up the obscurity in what are the most important words — though the emendation proposed by Mr. Jones below does much. Owing to Dr. Hume's kindness in allowing me to examine his note - books I have now a more definite notion of where to look, as the note-book speaks of the block in association with "one" small granite pillar, instead of with five as in the *Geological Survey*; and the one small pillar is still there, (*vide Bull: Fac: Arts*, vol. 2. part 1. p. 113). Even if it were put on the butt where it is now lying when the road was repaired a few years ago the butt is probably that nearest to the spot where it originally lay. If the inscribed block has not been built too deeply into the road it may be possible to find it. Otherwise one must wait until a few more winters have excavated the road again and restored it to the condition in which Wilkinson found it.

Mr. A. H. M. Jones, M. A., of All Souls' College, Oxford, to whom, as on former occasions, I am indebted for the transcription and transliteration, proposes, at the suggestion of Mr. Bell, of the British Museum, the emendations which appear in the transcription given above. Mr. Jones has, also, very kindly given me the following notes: —

— The copy is accurate up to the latter part of line three; it is evident that the transcription has been carefully done but that the bottom right hand corner of the stone was worn. 'Επαρχικός does

not seem to be used elsewhere absolutely; the meaning in the context is obvious — a member of the *officium* of the *praefectus* (ἔπαρχος) of Egypt. Ἀρχιλάτομος is not found elsewhere. The names of the two chiefmasons are rare but otherwise attested; Παράνιος occurs in *Pap. Oxy.*, *X*, 1265, 1303, Παναχάτης in *SB.*, 4077. The crux of the inscription lies in the words following ἀνενέωσα. The object of the verb is probably understood; it was self-evident to the reader what had been restored. The reading suggested involves the least changes possible, ΠΙΝ to THN and ΆΛ to ΛΛ. Χάλασις is according to Liddel and Scott used only in medical writers; the nearest meaning to that required here is the slackening of bandages. Χαλαστήρια is however used in mechanics, meaning ropes for lowering a trap-door. Χάλασις here presumably describes the process of letting down the columns from the quarries by means of pulleys. The significance of line 1 is most obscure. It presumably refers to the schismatic Melitian church which flourished in Egypt in the reigns of Constantine and Constantius; the style of the lettering would exactly suit this date. The Melitians are known to have been favoured by the imperial government during its struggle with Athanasius and they are known to have had connections with Palestine. That they should actually have built a church in Jerusalem and have received columns from the imperial quarries for the purpose, as seems to be implied here, seems however very improbable. The inscription suggests that the quarries were not in regular use in the fourth century since the road (?) had to be repaired to carry out the apparently special order for columns for Jerusalem. —

Mr Jones's remarks confirm Delbrueck's opinion (*op*, *cit*: p. 11) that special expeditions were sent to the quarries after the works there had been abandoned, and lends support to the conjecture that the works stopped about the year 350 A. C. If we take 361 A.C. (the last year of Constantius) as an approximate upward date for this inscription, then, either the road or the winch-emplacements, or both, deteriorated very rapidly; or else they were abandonned several years before 350.

The state of the road in 1935, three years after it was repaired by the Department of Mines for the lowering of some

blocks by modern methods, indicated that deterioration during dry years is slight. The effects, in places, of the light rains of 1934, however, show that one season of heavy rains would do considerable damage. According to Schweinfurth the maximum period in these parts between cloud-bursts is ten years; but they occur often at lesser intervals in modern times, and it seems generally to be accepted that in the early centuries of the Christian era they occured still more frequently. If we take 361 as the latest date for this inscription (though it may well be a few years later), there would be ample time for the road to have become much ruined even if the quarries were abandonned so late as 350.

Mr Jones suggests that it was the road which was repaired; but I have added as a possible alternative or, perhaps, an addition, that it was the winches. These, it is true, would have to be replaced rather than repaired; for, judging by the condition today, (except in the many examples which were totally or partially destroyed in order to furnish material for the reconstruction of the road in 1932), of the winch-emplacements, or butts as I have called them, on which the machines stood, they would have needed little or nothing in way of repair during the fourth century. The winches, or whatever the machines for lowering blocks were, must have been of wood and iron, and were probably taken away with other movables when the quarries were closed. Quite new ones would, therefore, have to be brought and assembled. They were, possibly, moved down from butts above to butts below as the big blocks slowly progressed towards the wady.

It must be admitted that the setting-up of movable things would hardly seem an operation worthy of a commemorative tablet; it is almost certainly either the road or the butts which Didymus repaired — and of these the road is the more likely.

This inscription seems to make almost certain what has hitherto been supposition, namely that the method of lowering columns and large blocks of imperial porphyry was by means of a system of winches and ropes, for which the butts by the road's sides were emplacements.

NOTE ON AN INSCRIPTION RECENTLY FOUND AT GEBEL DOKHAN

[Τ]ὸ προσκύνημα (ι)
[᾿Α] ̣πολλωνίου Λονγίνου πα-
[ρὰ] τ̣οῦ Πανὸς . ἔτους $\overline{ις}$, Επὶπ $\overline{ι̣}$

The Adoration
of Apollonius son of Longinus
to (?) Pan, year 16, Epiph 10

The above inscription, (Plate I) for whose transcription and translation I am again indebted to Mr. A. H. M. Jones, of All Souls' College, Oxford, is on a flat piece of greyish black volcanic stone which was lying amongst the boulders in the torrent bed of the NW village mentioned by J. G. Wilkinson, *(Journ: R. Geogr. Soc.* vol. 2. 1830, p. 44).

The stone is 16ins long, 8½ins broad, and 3½ins thick at the lettered face. The top is fairly regular, but has not been properly smoothed; the left side has been squared off, but the angles have been broken, resulting in the loss of some letters; the right side is very irregular, but seems never to have been squared; nothing seems to be missing thence, as the ends of the letters in the second and third lines are continued onto the broken face, which has been spuared off but is not without minor irregularities. The back and the underside have been only roughly shaped. The first line of lettering is 8⅝th ins long, the second 11¼ ins long, and the third 10ins long. The letters are irregular in size. The inscribed face is weathered dark reddish brown, the same colour as the ordinary stones on the hill-sides. The left-hand squared face is a lighter colour but has a good patina; the top side is weathered light brown with no patina, as if recently exposed, while the underside is hardly weathered at all; the piece lay top side up in the gulley bed with the inscribed face exposed, but with some light *débris* on top of and around it.

Mr. Jones makes the following observations:—
This is one of a large group of Προσκυνήματα, most to Pan, found in the Wadi Hammamat (see *I. G. R. R.* 1, 1235-1253). Apollonius son of Longinus is almost certainly the same person as the Apollonius son of Longinus who made the Προσκυνήμα *I. G. R. R.*, 1,

1238; it may be noted that in that inscription as in this he mispells 'Επὶφ as 'Εφὶπ. The year in this inscription is therefore presumably of Tiberius, as in *I. G. R. R.*, 1. 1238, — it is therefore 29 A. D. July 4. The formula is usually παρὰ τῷ Πανὶ (Θεῷ Πανὶ, etc., *I. G. R. R.*, 1. 1235, 1237, 1239, 1240, 1244); Apollonius' use of the genitive is a solecism. —.

Wilkinson *(op. cit.)* thought that the NW. quarries were later than those above Wady Maʿmil, and he says that the appearance of this village confirmed the impression. In general appearance this village has much more in common with that on the hill called Lykabettus by Schweinfurth, and with the SW village, than with the fort in Wady Maʿmil; and the inscription of Pancratius, and the christian tombstone, on Lykabettus, (*vide Bull. Fac. Arts.* vol. 2 pt. 1, pp. 107, 109) put the working of those quarries almost certainly up to as late as the first part of the fourth century A. C.. But at this NW village we have this inscription belonging to 29 A. C., a date considerably earlier than that at which statues of imperial porphyry were first taken to Rome, (Pliny, *Lib.* 39, c. 7 cited by Wilkinson, *op. cit.* p. 47); and at that time, i.e. in the reign of Claudius, there is no evidence that the quarries were worked or that the romans knew of the mountain, (Wilkinson *loc. cit.*). M. Couyat - Barthoux is of opinion that the quarries were first worked under Claudius, but he gives no authorities (*Route de Myos Hormos. Bull. Inst. Fr. d'Arch. Or.* t. V11 f.1, 1909, p. 30.)

The inscribed stone is easily portable, and might have been brought to Dokhan from another place, e.g. Wady Hammamat. But Mr G. Andrew, of the Geological Department, who has kindly examined the slab, is of opinion that, almost certainly, it is of a stone not known to occur in the Wady Hammamat region, but which is typical of the Gebel Dokhan region. It would seem, therefore, that there were activities at the quarries of imperial porphyry as early as the reign of Tiberius.

Why an inscription bearing a date which, even if it had occurred in Wady Maʿmil, would be remarkably early, should be found at this village which other evidence inclines one to put in the later period of exploitation rather than the earlier, is matter for more eisured study.

NOTES, WITH PLANS, ON THE STATIONS FROM KAINOPOLIS TO MYOS HORMOS.

1. EL HEITA. *(Plan 1).*

J. G. Wilkinson has a plan of this station (*MSS:* XLV. D. 23); it is described by Schneider (*Uber den Roten Porphyr des Alten,* 1887, p. 103), who gives an unsatisfactory plan derived, as is his description, from Schweinfurth. It is mentioned by Hume and Barron (*Topography and Geology of the Eastern Desert of Egypt, Central Portion,* 1902, p. 8); an account of it, with an excellent photograph of the lower fort taken from the hill, and another of the tank, is given by Weigall (*Travels in the Upper Egyptian Deserts,* 1909, plate XVI); F.B. de la Roque gives a plan and description (*Voyage au Djebel Shaib, R. Geogr. Soc. of Egypt,* 1922, vol. XI, pp. 115, 116); and Mr G. W. Murray gives a brief description and a photograph (*Roman Roads and Stations in the Eastern Desert, Journ. of Egyptian Arch.,* Oct. 1925, vol. XI, 3-4, p. 147, and plate XIV, fig. 3).

I give a plan made in 1933, which is fuller than any of those mentioned above; also a photograph which shows the lower fort in more detail than those of Weigall and Mr Murray, another of the vaulting characteristic of this station, and one showing detail of the brickwork, which is the same at Deir el Atrash.

The station occoupies a position at the foot and on top of the first of a line of low black hills which mark the end, on its east side, of the broad, gentle slope of Wady Negateir, where it joins the expanse of Wady Kena. Mr. Murray (*op. cit.* p. 147) puts El Heita 36 miles from Kainopolis; my readings from the Frontiers post at Hager Kena, which is about four miles from Kena, are 30.6 miles going, and 30 miles coming back. From Hager Kena to the sign-post to Bir Aras is 11.2 miles; there are traces of cairns at mile intervals all along this part of the road. I marked three pairs of cairns, and three single ones, for certain, and another pair and two singletons doubtful, between the Aras sign-post and El Heita; the modern track here follows the old one.

According to Schweinfurth, (quoted by Schneider, *op. cit.* p. 104), the upper fort stands 150 feet above the level of the wady; the station is visible from a pair of cairns on a rise, at 21.9 miles from Kena, not long after one has left the tussocky slopes of the west

side of Wady Kena. A river bed, with low banks cut in the sandy gravel and dotted along its edge with small bushes, runs just under the wall of the lower fort, and winds back in two branches through the expanse of Wady Negateir in the direction of the next station, El Saq'a. In January 1935, after the good rains of November, this water-course was lined with a tall, luxuriant, cabbage-like plant with a purple flower; and even in the driest years the memory of running water clings more vividly round El Heita than else-where. Weigall's photograph shows the river bed very clearly.

Through the kindness of Mr Tregenza of the Government Secondary School, Kena, I have been able to publish a photograph of the outlet of Wady Kena in spate after the rains in March 1934. (Plate III. 2). The photograph was taken at the extreme northern end of the canal which has been dug to prevent the flood spreading over the cultivation on the Nile side of the break in the hills. It was taken on the second day of the flood, when the water had gone down a few feet, and was then a stream about forty yards wide and four or five feet deep. The size and suddeness of these spates is shewn by a statement of the ghaffir of the canal that in a very big flood which took place about eleven years ago the canal, whose banks are about nine feet high, and between thirty and forty yards apart, became quite full in half an hour, and the stream continued for eight days. After the rains of early November or late October, 1934, Mr Tregenza found a stream about a yard wide still running down Wady Kreiya into Wady Kena several days after the storm.

There would, of course, be more water in the one outlet for the drainage of the whole of Wady Kena than in any of its tributaries; nevertheless the photograph gives an idea of what the river bed by El Heita must be like after a flood.

Since the road has been made El Heita has become a favourite stopping place, and several holes have been dug in the animal lines. One of these reveals deposits of litter 16ins deep to the level of the ordinary wady-wash. This hole shows, also, some burnt bricks laid straight on the ground making a sort of low receptacle, three bricks thick, one foot high, and about 2ft 4ins across. Perhaps a feeding bin? Another hole nearby shows what

may be the foundations of an oven. It has a back of burnt brick about 32ins long, from one end of which extends at right angles a side of bricks 14ins long, while at the other end is an opposite side, of the same length, made of biggish stones, which terminates in bricks laid parallel with the back wall and flush with the inner side of the stones. The opposite side ends in similarly placed bricks, but which, this time, project 6ins beyond the inner face of the side wall. In front of these two bricks, which mark the opening to the structure, are several layers of fine wood-ash on a level with the bottom course of bricks. The whole stands about 1ft above the level of the ashes.

The use of vaulting is very noticeable at this station; not only are there several traces in the main rooms, such as that shown in the photograph (Plate II. 2) but at 6 and 5 on the plan, in what seem to have been small square corner towers of the lower fort, there are traces of vaulted passage-ways, and in the SW and SE corner enclosures of the upper fort, at X on the plan, there are traces of what seems to have been a vaulted stairway; in each case there is a section of vaulting at right angles to another section below it. Both places are so silted-up with fallen bricks, which, being unburnt, decompose into wady-silt, that no details can be determined without clearance.

At Y, Y, Y, on the plan are slot marks on the inside of the main wall of the upper fort; as the wall of the central building opposite to this place has crumbled one cannot tell if it bore corresponding slots. There are several crude beduin scratchings on the walls of the upper fort, one of a man with outspread arms, the fingers of the right hand touching the mouth of a snake; another seems to be of the phallus.

The central buildings in the upper fort occupied only the western and narrower part of the enclosure; for the most part the walls surrounded an open space. There seems to have been some kind of small building connected by a wall with what looks to have been the main entrance, to the south, and there is one more small square building in the enclosure. But all there are very much decayed. There are very few potsherds at either fort, but at the lower this may be explained by their having been washed out or

covered with silt from the walls; on the hill, however, the ground is stony. Fragments of imperial porphyry are to be found at the lower fort.

The walls were imposing; at 3 on the plan, (Plate III. 1) and again, exactly opposite this point, on the outer wall, the rubble base is about 7ft high, and there is as much again of brick standing above it. Schweinfurth (Schneider *op. cit.* p. 104) was of opinion that the bricks were cemented with a mortar made from clay and dung.

2. EL SAQ'IA. (*Plan II*)

The plan is that of Wilkinson, 1823, (*MSS.* XLV. D. 19), corrected on the spot in 1933. Schneider (*op. cit.* p. 102) gives a plan of this station, as does de la Roque (*op. cit.* p. 117) Weigall (*op. cit.* plate XVII) gives a photograph of the broken cistern seen across the main excavation from the north side.

According to Mr Murray (*loc. cit.*) this station is 13 miles from El Heita. My own milometre reading was 12.2 miles going and 12.4 miles coming back. The station lies just in front of a low dark hill in the expanse of Wady Negateir, which slopes very gently from NE to SW towards Wady Kena. A little to the east of the station begins the water-course, marked with bushes, which runs down past El Heita. There is a fine view hence of the peaks of El Shayeb, Qattar, Dokhan, Um Sidri; and, possibly, on a clear day, one might see Gharib in the far NE.

The route from El Heita is marked by cairns. For the first four miles it runs through the mazey black hills on the most westerly of which El Heita fort stands, and through this rather confusing section it is marked by cairns at regular half mile intervals. Weigall (*op. cit.* p. 95) was mistaken in thinking the cairns irregularly placed. After four miles the road emerges into the open near the remains of a small post which seems to have consisted of three or four rooms only; but it is hopelessly ruinous. One and a half miles after this the old road leaves the last hill to west, marked with a big cairn, and runs straight across the flat to El Saq'ia. At the hill the modern track separates off, and from this point until just before Bab el Mukheinig it keeps to the SE of the ancient route. I marked a series of four pairs of cairns at half mile inter-

vals, and a final pair at an interval of a mile from the last pair, between the hill and El Saq'ia.

The station has a very different character from that of El Heita. It consists of a very large enclosure encircled by a wall about ten feet thick, made of fairly large blocks of a greenish yellowish brown stone, very soft and friable, which has crumbled away to such an extent that the impression is given of an encircling earthwork instead of a wall. On the north side the enclosure is bounded by a low black hill on which stands a fortified building, with an entrance, facing the enclosure, defended by two bastions; the passage between the bastions has been half closed by a well-built wall of the same kind as the rest, leaving only a narrow entrance to one side. The rooms inside are built, some of a light grey chalky stone, (as are the buttresses and outer walls), and some of the same stone as the wall of the large enclosure.

This is entered by a main gate, defended by bastions, which lies on the high ground, level with the fort, at its NW corner; and by another smaller gate without bastions at its SW corner, on the lower level. Entering from the main upper gate, one passes along the base of a low containing wall, level with the ground on the north side, (where is a fair number of potsherds), but standing a little clear on the S side, where the ground falls away rather rapidly. This wall runs from the north bastion of the main gate to the fort. In front of the fort the ground falls away with moderate steepness to the edge of a very large excavation. On its edge in front of the fort are the remains of a small structure, apparently enclosed on only three sides, open on that nearest to the excavation and semicircular inside.

The excavation must be more than fifty feet deep and is about 130ft in diametre. On its NW and SE sides it is entered by two openings which run up to the ground level above. They are about 6ft broad at the bottom, and their sides are lined with stepped courses of undressed stone.

At the bottom of the enclosure, rather to its south side, is a well, very similar to that in the side valley at Wady Maᶜmil.

There is no well-head, only a roughly circular opening in the ground, much cut into by the runnels which have formed along

the grooves of the ancient draw-ropes Wilkinson (*MSS.* XLV. D. 19) was of opinion that the walled channels were conduits to lead rainwater down from the enclosure into the well. I made soundings with stones, which give a depth of approximately 47 metres. I am indebted to Mr. G. Andrew, of the Faculty of Science, who obtained this figure for me. The data were for eight stones dropped: — seconds, 3; 3; 3.1; 3.2; 3.3; 3.3; 3.3; 3.3;. Mr Murray (*loc. cit.*) mentions that a boring of 69 metres made here some years ago did not reach water.

On the south rim of the excavation is a cemented tank, of which the top is just below the level of the ground. The north side has fallen away, but the bottom, and the south and east sides are intact; steps lead down into it at the SW corner. A runnel from a drinking trough goes along one side of this tank, and ends abruptly in ruins at the edge of the enclosure, hanging more or less directly over the well below. The trough is of the usual kind, i.e. built of brick cemented over inside and out, about 2ft 6ins high on the outside, between 1 and 2 feet deep, often divided into one or more compartments by partition walls with a hole leading through at the bottom and sometimes a depression across the top. This trough is filled from a second tank some distance away from the edge of the excavation. It is of the same kind as the lower tank, but larger, with steps at its NW corner. There is no doubt at all that the trough was filled from this tank, as there is a neat slide down into the trough at the point where it joins the tank. Whatever was the purpose of the runnel which continues from the trough to the edge of the excavation above the well, it is certain that this tank was not filled by means of it. This suggests, what I think fits their appearance better, the idea that the entrances into the enclosure, with their sides encased in masonry, were not collecting channels by which water ran down into the excavation, but inclined passages up which water was carried in containers from the well. Possibly it was not a true well but mainly a reservoir, as Wilkinson implies, in which case as much rain water as possible would be encouraged to flow down into it. This would partly explain the excavation, and its soft sides would need casing if a clear path was to be kept through them. The opening on the SW side may have been for

the carriage of water up to the fort. There is another trough, one compartment of which has fallen away with the edge of the excavation, running parallel to its NE entry. Possibly there was a lower tank, now fallen away, in connection with this trough too.

There are traces of containing walls at the sides of the excavation on the north side low down, and there is other masonry of an indeterminate kind high on the west side. Rain has washed the powdery silt into which the stone of the main wall has crumbled more or less evenly over the surface of the enclosure, so that potsherds are not very noticeable. But there are a good many, though neither here nor at Deir el Atrash have I seen fragments of blue pottery. This may well be due to the comparatively large number of visitors who are received by these ruins nowadays. There are, however, a good many small fragments of large pots such as those found most noticeably at Bab el Mukheinig station, which I think were for carrying water.

To the west of the fort and below it is another enclosure, but whether made originally by a wall or an earthwork it is not possible to say without digging. It encircles a small excavation, in which, however, there is no sign of a well or a tank. From the south side runs a long trough which is visible for 36ft and then disappears under the enclosing mound. It runs at an angle towards the NE corner of the animal lines, (which lie about 75ft away from the smaller enclosure), whose west wall runs close along parallel to the east wall of the main enclosure. The lines here are remarkably big, measuring 181ft long, by 140ft broad at the south end and 114ft at the north end. There was a main entrance in the middle of the south wall, and, possibly, a smaller one at the NW corner.

It may be in place to remark here that in all cases, at El Heita, El Saq'ia, El Atrash, and Badi^{c} the animal lines consist only of courses of stone level with the ground. Nowhere is there any litter of fallen stones in the animal lines, which seems to shew that the partitions were of wood or matting on a low, solid base.

On the approach running up to the main gate of the principal enclosure are old-established wheel-tracks which, on the whole, I am inclined to think of ancient traffic, in comparison with the

innumerable motor-car tracks round the south side of the enclosure — the motor traffic followed the camel road before the new track was cleared. In the torrent bed beside the animal lines are a few pebbles of red granite streaked with white quartze rather like the smooth pellets which are so numerous inside the fort near some dolorite quarries in the SW spur of Gebel Dokhan.

The fort at El Saq'ia consists of no more than ten rooms. In January, 1935, I saw a big light brown snake coiling itself into a crevice of one of the walls; it is the only one I have seen in the course of five journeys, always in January or early February, through this part of the Eastern Desert. There is a moderate litter of potsherds round the little fort, amongst them amphorae ends with a ridge, such as occur at the high village at the porphyry quarries but not else-where so far as I have seen. I saw a fragment of black porphyry at El Saq'ia; and found a bronze coin of Constantinus, in beautiful preservation, uncovered by the recent rains at the top of the NE entrance to the big excavation. de la Roque says that he found pharaonic pottery here as well as graeco-roman. He gives a series of potsherds found in this district at the end of his paper. de la Roque seems to have been misled by the fresh appearance of the tanks into thinking them of modern construction. But there is no doubt of their antiquity.

For permission to make use of Wilkinson's MS plan I have to make grateful acknowledgement to the owner of the MSS, Mrs Godfrey Mosley, of Calke Abbey in Derbyshire. I have reproduced his plan of the fort as it stands; for the rest I have taken his measurements and general lay-out, adding the NW gate and the wall connecting it with the fort, and indicating the main wall, which he marks as an earth-work. I have added the well also. Wilkinson refers to the whole excavated area as a well. Presumably he overlooked the true well in its floor; — it was not until I went down into the excavation on my second visit that I noticed it. In place of Wilkinson's reference letters, I have marked the names of objects on the plan. I have corrected his sketch of the animal lines by measurements taken in 1934.

The photograph (Plate IV) shews the SE entrance to the main excavation; the white masonry above it is of the trough which

runs parallel with it; the other trough and the cistern lie at the top of the second dark spur on the spectator's right, just out of the picture. The mouth of the well is at the bottom in the centre.

3. BAB EL MUKHEINIG. (*Plan III*).

For a description of this station see the *Bulletin of the Faculty of Arts*, vol. 2.1934. pp. 113-115. The distances given there should, however, be corrected. In 1935 my milometre readings were 14.2 miles from El Saq'ia and 5.6 miles from Deir el Atrash. I think these are rather more accurate than the 12.5 and 4.3 miles given in 1934. It should be remembered that the size and position of this station make it unlikely to mark a stage. Nevertheless, the presence of animal lines and the trough shew that it was used as a watering place either for draught or riding animals, and until the likelihood of a station at Bir Aras has been turned into a certainty this little establishment must rank in the list of stations between Kainopolis and Myos Hormos.

The ancient route from El Saq'ia to Bab El Mukheinig runs from the entrance to the animal lines at El Saq'ia straight for the Bab, and is marked by pairs of cairns, set about 700 yards apart, at mile intervals. The ancient camel paths running between them are very numerous. The ground rises steadily but very evenly towards the low red granite hills through which is the Bab el Mukheinig pass. On such level ground it was possible to check the spacing of the cairns with considerable accuracy by means of numerous readings of the milometre. They lie exactly one English mile apart, as it is measured on a standard car milometre. These cairns mark the road the whole way to Myos Hormos. In the plains they are round, about 5ft high, and about 3ft in diametre, neatly built of rubble. In the narrow wadys they are generally square, especially when the wady walls are steep and the cairns are placed on some projection from the sides, often some distance above the wady bed.

4. DEIR EL ATRASH. (*Plan IV*)

The plan of this station is Wilkinson's (*MSS.* XLV. D. 10); James Burton also has a good plan, with description (*Diary* 1823. *B. M. Add. MSS.* 25623). Hume and Barron give a cursory des-

cription of it, a rather unexpressive plan, and a fanciful picture (*op. cit.* plate VIII); the description and plan are quoted by Mr Murray (*loc. cit.*). The station is mentioned by Weigall. I checked Wilkinson's plan on the spot and found it full and generally accurate. For permission to reproduce it I am indebted to the owner of the MSS. Mrs Godfrey Mosley, of Calke Abbey. I have added some information in square brackets.

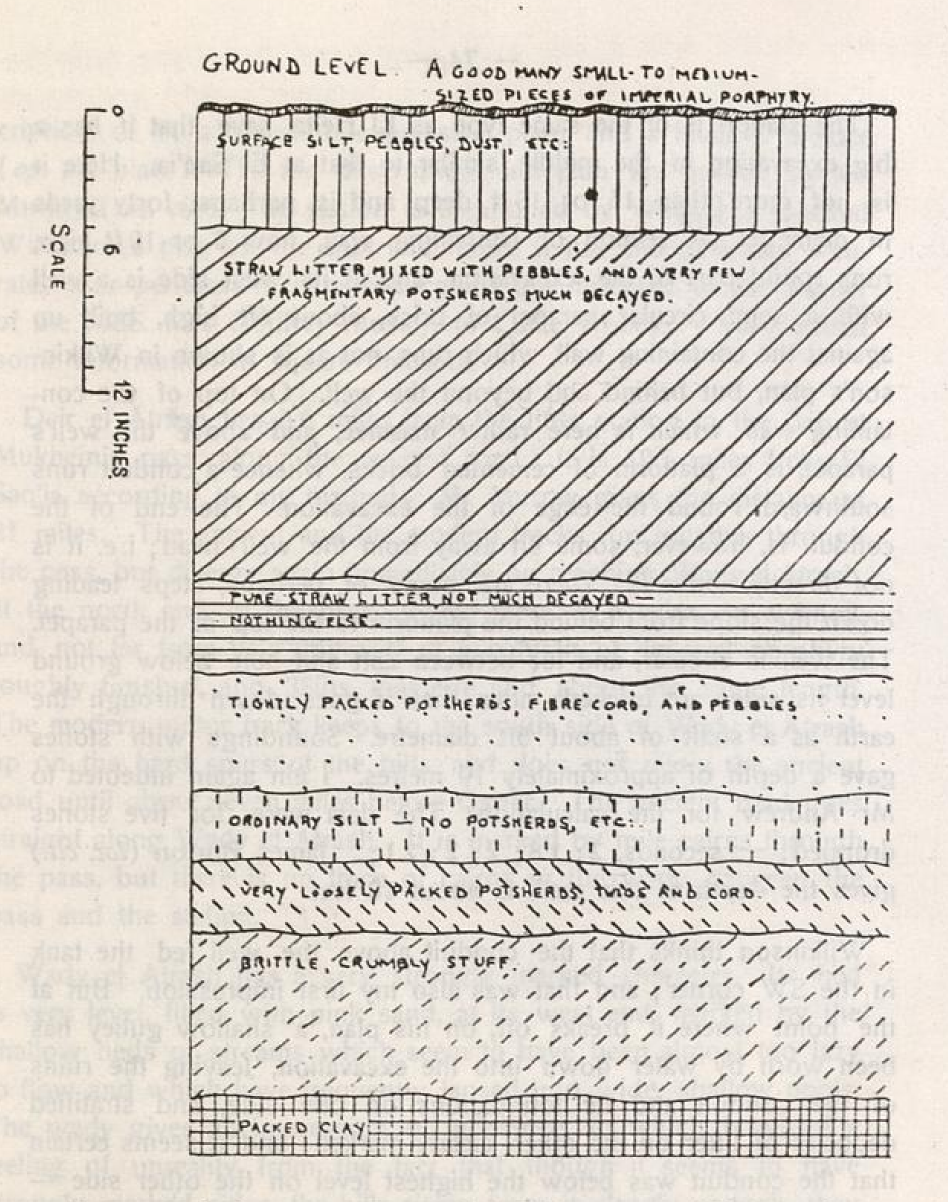
Deir el Atrash lies 5.6 miles from the little station in the Bab el Mukheinig pass, along the ancient road. It is 19.5 miles from El Saq'ia according to my readings; Mr Murray gives the distance as 21 miles. The ancient and the modern tracks run together through the pass, but diverge again immediately on reaching Wady el Atrash, at the north end of the pass, where there is a cairn on a knoll, and, not far from it, a fragment of a column of imperial porphyry roughly finished, app. 38ins diametre and about the same length. The modern motor track keeps to the south side of Wady el Atrash up on the hard spurs of the hills, and does not rejoin the ancient road until about seven miles before Qattar. The ancient road goes straight along Wady el Atrash. It is marked by mile cairns through the pass, but there is no trace of cairns in the wady between the pass and the station.

Wady el Atrash has a very strongly marked character. Its bed is very level, filled with pink sand, at its west end, marked by the shallow beds of streams which seem to have been almost too lazy to flow and which have frequently lapsed into wide, shallow pools. The wady gives an impression of indolence, to which is added a feeling of unreality from the fact that though it seems to have strongly marked sides, the hills rising from it cleanly enough, they are perpetually breaking off, melting away to east or west, beginning and ending, in such a way that the main wady never seems to be at the point at which one is, and yet, when one looks round, it is obvious that the area is strongly marked off from the surrounding country. There seems always to be a slight rosy mist hanging over this wady; and one's confusion is completed by the contrary way in which it manages to suggest that its streams run NE to Qattar, whereas one knows that they can empty themselves only through the Bab el Mukheinig towards Kena.

The station is of the same type as El Heita, save that it has a big excavation in the middle similar to that at El Saq'ia. Here it is not more than 15 or 18 ft deep and is, perhaps, forty yards in diametre. A section of containing wall, now 9 or 10 ft high, runs round part of the excavation, and at its west side is a well with a semi-circular parapet of brick, about 6ft high, built up against the containing wall, which runs, not as is shown in Wilkinson's plan, but behind and beyond the well. On top of the containing wall, which is here rather massive, and above the well's parapet, is a platform of cemented bricks, whence a conduit runs southward round the edge of the excavation. The end of the conduit is, however, some 9ft away from the well-head; i.e. it is not directly above it. There are traces of, perhaps, steps leading down the slope from behind the platform to the top of the parapet. The well is circular, and for between 25ft and 30ft below ground level its sides are bricked; after that it goes down through the earth as a shaft of about 5ft diametre. Soundings with stones gave a depth of approximately 19 metres. I am again indebted to Mr Andrew for the calculation. The data were, for five stones dropped: — seconds, 2; 1.8; 2; 2; 2.1;. James Burton (*loc. cit.*) gives the depth of this well as about 18 feet.

Wilkinson thinks that the conduit above the well fed the tank in the SW corner; and that was also my first impression. But at the point where it breaks off, on his plan, a shallow gulley has been worn by water down into the excavation, leaving the ruins of the conduit and its foundations on one side, and stratified deposits of litter on the other, clearly marked; and it seems certain that the conduit was below the highest level on the other side — nor is there any trace of its continuance across the line of the present gulley. From the gulley side opposite the conduit to M on the plan, the space between the edge of the excavation and the long room, running east and west from the tower at D, is filled with deposits of straw and other litter 3½ft deep.

At M there seems to have been a rubbish dump; but its contents are much the same as the other litter — vegetable matter, palm fibre, palm fibre rope, old camel dung, cattle litter, some kind of jointed grass or rush, with many potsherds and some bones.



The trough is not quite as it is shown on Wilkinson's plan. It is sanded over as it approaches the wall, but there is every reason to suppose that it is built against the wall, as at Bab el Mukheinig. Burton's plan, which is much less full than Wilkinson's, gives the trough more accurately as to measurement and appearance. It is divided into two sections only; from the wall to the partition is 49ft, and the partition is about 9ins wide; at this point there is the square enclosure marked on Wilkinson's plan

From the partition to the west end is 43ft; the trough terminates in a filling runnel 7ft 9ins long. This runnel leads down into the trough, which indicates that it was filled from this end and not from the cistern inside the fort. The trough has, therefore, a total length of Just about 100 feet; whereas Wilkinson makes it nearly 180 feet long. There are traces of a wall round the trough as marked by Wilkinson. What the square enclosure at the middle of the trough was for is not apparent on a superficial examination.

The animal lines here are extensive. Wilkinson remarks on "the small round huts, always found in these enclosures" which "are, perhaps, of later date". At Badi[c] there are some semi-circular walls which are obviously beduin shelters, but they are all well above ground. Those marked by Wilkinson at Deir el Atrash are level with the partition walls, and would, I suspect, prove to be square if they were cleared a little. Vegetable litter lies just under the present surface and goes down some way. Potsherds are noticable in these lines.

As at El Heita most of the rooms seem to have been vaulted. Here, however, the brick vaults seem to have sprung from rubble walls. I give a photograph (Plate V) of the end of a vault, marked H on the plan. The brickwork of the conventionalised scallop-shell ornament shows traces of fine, hard plaster smoothly grooved along the joints. The measure is a yard. At the other end of this room, where the ground slopes away rapidly, the vault has disappeared, but the walls stand about 7ft above present ground level.

In front of the gateway is a mound of rubbish and broken pottery, and beyond the end of the trough, to SE of it, in the line of the road, are three fairly large pieces of imperial porphyry, irregularly shaped, but whith chisel markings on them.

The tank is now completely filled with sand. The cemented buttress, marked B on the plan, is still there, but I did not see the channel P. All this is nearly obliterated by fallen mud-bricks from the wall, which cover everything in mounds of pressed, powdery clay. Wilkinson thought that a *shaduf* stood on the buttress. Its top is level with the trough outside, and it would seem reasonable to expect the trough to be filled from the cistern onto which it abutts. Perhaps the filling runnel at tbe other

end is to be explained by the length of the trough, which may have necessitated filling from both ends at once. I did not notice whether its partition was pierced or not. The troughs in Wady Maᶜmil, at Bab el Mukheinig and El Heita, which all have pierced partitions, were obviously filled from only one end; this trough, and that by the cisterns at El Saq'ia, may have been filled from both ends.

5. QATTAR. (*Plan V*)

The plan is Wilkinson's (*MSS.* XLV. D. 19). There is a rudimentary plan given by Schneider (*op. cit.* p. 101); Qattar is mentioned by Hume and Barron (*op. cit.* p. 87) as one of the most noticeable stations between Kena and Dokhan.

The station is 14.8 miles from Deir el Atrash by my milometre reading along the ancient route; Mr Murray gives 17 miles. The way is marked by cairns at mile intervals and runs along the SE side of the bed of Wady el Atrash. Three miles from Deir el Atrash there are the ruins of a group of rooms near a cairn, similar to those about 5 miles NE of El Heita. The camel paths have been obliterated for about 5½ miles from Deir el Atrash, but they then re-appear as the route approaches higher ground. The modern track, which keeps up on the slopes to the south east, joins the cairn-way about 9 miles from Deir el Atrash and they run together thence to Qattar, on stony ground. The station stands at the top of a pink slope which runs NW down to the grey wash of Wady Tawata. It is smaller than the other stations. It has been very much silted up indeed by the wind which blows viciously from the NE, and by water running down from the slopes near the Qattar pass. The outer North wall has disappeared and silt has covered its traces, while the station appears even more ruinous than it is because it is built of rounded pink granite boulders which look shapeless even in the walls. Pebbles of pink granite have been used here as wall-filling, but they are not rounded into pellets like those in the dolorite quarry fort.

Mr Murray speaks of the well as being dry (*loc. cit.*), but since his visit the government has repaired it and made a concrete well-head. Looking down through the opening one can see the original mouth, widening up in a circle to ground level with draw-

grooves round the circumference, and a little way below is the circular shaft. It is exactly like the well in the side valley at Wady Macmil, save that there the shaft is square, cut through rock, and here it is round, dug, apparently, through looser material. The water is brackish but not bad; much inferior to that of the dripping well four or five miles to SE, up in the hills, which is now brought down in pipes to the mines about three miles from the station.

Wilkinson notices walls of crude brick; but the room at A on his plan has been covered with *débris* from the clearance of the well. I saw no trace of his very peculiarly shaped trough, or of the animal lines, which he puts some distance south of the fort. A few shells and potsherds are visible.

In the wall running north from the west bastion of the gate is a semi circular embrasure, 45ins wide and 25ins deep, which is not shown on Wilkinson's plan.

So obscured is the fort now by sand that very little of what is shown by Wilkinson appears. For permission to reproduce his plan, (which is on the same sheet as that of El Saq'ia) I am indebted to the owner of the MSS, Mrs Godfrey Mosley, of Calke Abbey. Wilkinson visited Qattar in 1823.

6. BADI^c. (*Plan VI*).

The plan of the fort and animal lines is Wilkinson's (*MSS.* XLV. D. 21); he gives the fortified rock on his plan, but I have inset a more accurate representation made in 1930. Burton gives a rough sketch-plan of the rock and animal lines (*Diary*, vol. 2. p. 136). Badi^c is mentioned by Weigall and by Mr Murray, who gives a photograph of the fort taken from the rock (*op. cit.* plate XIII. 3).

This station lies 1.8 miles north of the main road to Myos Hormos, and is 12.2 miles from the station at Qattar. From this last station the route continues to be marked by cairns at mile intervals. Just over the Qattar pass, which is about 3 miles NE of Qattar station and marks the watershed between the Nile and the Red Sea, are traces of the original cleared road-way, and again, about a mile before the road to Badi^c leaves the main route, which it does just opposite the conical hill called Selah Bilih, is a stretch of the original road, like that shown in the photograph

(Plate VII. 1), which runs for about 0.4 miles and is about 150 feet broad. The road in the photograph, which is that up to the fort near the dolorite quarries in the SW spur of Gebel Dokhan, is about 50ft wide; that which leads up to Badi^c is about 90ft wide.

This road is the beginning of the way to the porphyry quarries in Wady Ma^{c}mil, and it continues, marked by cairns, past Badi^c fort round the eastern spurs of Gebel Dokhan to Wady Um Sidri. Caravans going to and from Myos Hormos must have turned aside and gone up to the fort for the night.

Schneider (*op. cit.*) basing his statement on reports from Schweinfurth, omits Badi^c. He counts Deir Um Sidri, in the wady of that name, as the first station from the porphyry quarries to Kena, and Qattar as the second. This is strange, for Schweinfurth marks Badi^c station on his map, though it is true he puts it too far west. Weigall speaks of it as "the usual small enclosure" and says that it contains a well; but it is, in fact, quite large, and there is no well inside the fort — the water lies in a cavity under the base of a hill some two or three hundred yards north of the fort. Mr Murray (*loc. cit.*) mentions simply "a well with poor water, a station, and a fortified strong point on a rock".

This fortified rock seems to me one of the most curious things in this part of the desert. A massive wall, about 14ft high, 10ft 10in broad, surrounds an outcrop of rock about 50 yards west of the animal lines. Its entrance was defended by large bastions, now ruinous, and big blocks of dressed grey granite which fill the entrance suggest that there was a massive gateway. The rock rises about 50 feet, in a series of platforms to the north, but precipitously to the south. On the highest platform is a single boulder, weahered into a shape which is common in these parts. The ground slopes up to the west and the wall follows the slope. At the highest part crags from without dominate it. Nowhere is there more than a few feet between the wall and the rock which it surrounds.

For what purpose the labour in building up such a wall was expended is, to me, quite obscure. It has been suggested that at all times of the day some part of the rock would be in shade and that it would, therefore, be a good shelter; but the shade would

be enough for only very few men or beasts, who would be exposed to a constant rain of missiles from besiegers outside, which, if merely lobbed over the wall, would be almost certain to register on beings conveniently gathered in conspicuous patches of shadow. Weigall (*op. cit.* p. 105) suggests that the rock may have been considered sacred; and one is tempted to find some significance in the remarkable likeness of the topmost boulder to the conventionalised imperial eagle — it would be hardly less reasonable to suppose that the wall was constructed in its honour than to think that it was put up for fun, even with unlimited forced labour. This resource has more than once created, and made possible the realisation of phantasies even more extraordinary. (Plate VI. The photograph was taken in 1932 by Mr. G. Andrew, of the Faculty of Science, by whose kindness I am able to reproduce it).

The ground outside the wall and between it and the fort is littered with potsherds and shells, and there are potsherds inside as well.

The fort is well preserved. Its entrance, between two bastions, was covered by a low semicircular wall leaving an opening only on the west side. There seems to have been no tank at the fort. Near the well under the hill are traces of cemented brick-work, and perhaps there was a tank there. In the middle of the fort enclosure is a mound of cemented burnt bricks, which seems to be the ruin of a circular building of indeterminate nature — kiln, furnace or bath. It seems hardly big enough for the last. I think that, almost certainly, it was not a well or a tank. In the circular room marked on the plan against the main east wall is a large flat milling stone broken into two pieces; it is between four and five feet in diametre and about one foot thick. It was probably used to crush brick for cement. There is a large clinker lying near. Just beyond this room, to the south, is a flight of steps leading, presumably, up to the patrol step which ran round the main wall on the inside; similar steps are in an exactly corresponding position diagonally opposite against the west wall. On the east side of the central passage-way is a sunken earthenware container filled with fine ash, like those in the fort at Wady Maᶜmill.

The owner of Wilkinson's MSS, Mrs Godfrey Mosley, of Calke Abbey, has kindly given permission to publish a reproduction of

Wilkinson's plan, which gives a good idea of the general lay-out; he does not show steps, except some which lead up to the top of the west bastion, where there are some big fragments of dressed grey granite similar to those in the entrance-way to the walled rock. Neither does he show the ash-filled container; and he makes the entrance curtain rectangular instead of a semicircle.

7. MYOS HORMOS. (*Plan VII*).

The plan is Wilkinson's (*MSS.* XLV. D. 13); he gives also (leaf 14) a sketch of the inlet, but I reproduce one made in 1930. Burton has two plans (*Diary* vol. 1 pp. 102, 103); the station is dealt with by M: Couyat-Barthoux (*op. cit.* p. 23); Mr Murray refers to it (*op. cit.* p. 141) and gives references to Wellsted (*Travels in Arabia*, Lond. 1838, 2. 123-125), and to Barron (*op. cit.* p. 74-75).

Mr Murray puts Myos Hormos at 26 miles from the turning up to Badiᶜ, i. e. at 27.8 miles from Badiᶜ station. M: Couyat-Barthoux (*op. cit.* p. 22) gives 46 kilometres, i. e. 28.75 miles. He describes the ancient road (*op. cit.* pp. 21, 24, plate 1) as following the line of Wady Bilih where it cuts through to the sea between the Abu Shaar plateau and the Gebel Esh. But from the modern track to Ghardaga I saw three pairs of cairns on the south side of the plateau, in continuation of the line of Wady Bilih where it runs past Dohkan, which show that the ancient road went straight on to the sea, as stated by Mr Murray (*op. cit.* p. 147). It passes, therefore, south of the well of Abu Shaar el Gibli, which has been identified with the Fons Tadnos of Pliny (Murray *op. cit.* p. 141), placed by M: Couyat-Barthoux (*op. cit.* p. 24) at just over three miles from Myos Hormos. I have visited the fort only once, in 1932, from Ghardaga, so that I have not been over that part of the ancient route between its departure from the modern track, in the plain E of Dokhan, and the sea.

Mr Murray gives a photograph of Fons Tadnos (*op. cit.* plate XIV, 2); M: Couyat-Barthoux says that he saw no traces of ancient inhabitation there, though he thought that probably a halt was made at the little oasis for the night, as it would be too long a stage for a loaded caravan to make Myos Hormos from Badiᶜ

in one day (*op. cit.* p. 22). Wilkinson, however, found traces of a small enclosure with a cistern and rooms, very much sanded up, and he gives a small sketch plan (*MSS.* XLV. D. 27), which shows an enclosure about 38ft by 34ft, with double walls, about 2ft apart, (probably a platform running round the inner side as at a small station of similar dimensions not far from Badiᶜ.).

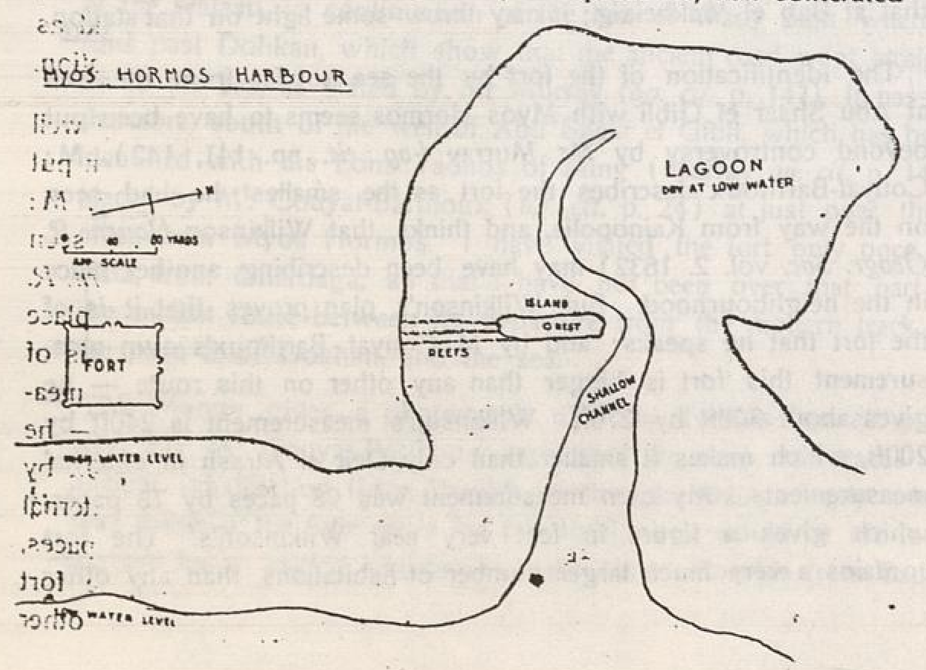
A gate is marked in one of the short sides, and the cistern, which is about 9ft square, lies in the right hand angle of the opposite wall. In the middle of this wall, by a corner of the cistern, an opening is marked, queried "gate ?". Possibly it leads to a trough as in the deep well enclosure at Wady Maᶜmil, but against this supposition is the fact that some rising ground is marked close against the wall on this side. Two apartments are indicated against the long wall in the angle of the short wall against the hill, and a bigger, oblong room stands alone almost in the middle of the enclosure. About 20ft away in a diagonal line from the outside angle of the main walls, by the two rooms, lies a group of four or five little rooms, making a block about ten feet square, standing on a knoll. There is no orientation, and the remains shown are so scanty as to make reproduction of the sketch not worth while.

This seems to have been an establishment of the same kind as that at Bab el Mukheinig; it may throw some light on that station.

The identification of the fort by the sea not far from the well at Abu Shaar el Gibli with Myos Hormos seems to have been put beyond controversy by Mr Murray (*op. cit.* pp. 141, 142). M: Couyat-Barthoux describes the fort as the smallest he had seen on the way from Kainopolis, and thinks that Wilkinson (*Journ. R. Geogr. Soc.* vol. 2. 1832) may have been describing another place in the neighbourhood. But Wilkinson's plan proves that it is of the fort that he speaks; and by M: Couyat-Barthoux's own measurement this fort is bigger than any other on this route — he gives about 300ft by 270ft. Wilkinson's measurement is 240ft by 200ft, which makes it smaller than only Deir el Atrash in external measurements. My own measurement was 98 paces by 78 paces, which gives a figure in feet very near Wilkinson's. The fort contains a very much larger number of habitations than any other

station on this route, and is built more on the lines of the usual roman fort. M: Couyat-Barthoux considers the fort in Wady Maᶜmil as the largest he had seen on his expedition but it measures only 276ft by 132ft, and contains far fewer dwellings. There are at Myos Hormos 54 regular rooms, well preserved, about 15ft by 12ft, in the central space, and in addition traces of between 30 and 40 others of the same kind along the inside of the main walls. There is, also, an extensive series of bigger apartments; three 39ft by 12ft, two 54ft by 12ft. *etcætera.* The enclosure is articulated by two streets, one leading from the west gate (the landward), 39ft wide and running half way across the enclosure to meet tother at right angles, which runs to the north gate, which is 15ft wide and faces the inlet. In the fort at Wady Maᶜmil there are traces of no more than 25 small rooms, and at Deir el Atrash of no more than about 17; while in neither of these are the larger apartments so numerous as at Myos Hormos. Both Qattar and el Saq'ia are manifestly on a smaller scale than the others, while at El Heita, though the enclosure is large, there seem to have been comparitively few rooms — certainly not more than at El Atrash.

Myos Hormos is not, in my view, unimpressive; half obliterated



by sand even as it is. At one corner someone has cleared away the debris and laid bare the big squared blocks of gypsum of which the main walls are built. At high tide the sea comes to within about 30 yards of the east wall, and the shore of the inlet is about 200 yards from the north gate.

The inlet is left dry at low tide. A shallow channel, about 18ins deep, curves round the north end of a small raised coral island which is joined to the mainland at its southern end by reefs that are submerged at high tide. The water outside the shore reef beyond low-water level must be fairly good anchorage, between the spit of sand-hills south of Gemsa Bay (about a mile north of the inlet) and the headland north of the Abu Shaar oil well, (some distance south of the fort). Perhaps the inlet has silted up and the shallow channel is the remains of one which was deeper in former times. There may have been enough draught at high water to bring in galleys, which could be grounded, as the bottom is sandy. On the island is a fish-hawk's nest built on a rock; it had an egg in it in February 1932. It is interesting to find that a pair of birds were building in the same spot when Burton and Wilkinson visited Myos Hormos over a hundred years earlier — a nest is marked on Wilkinson's sketch of the inlet.

Mr Murray and Mr Engelbach, who visited Myos Hormos together, had the impression that it could never have been an important trading harbour; and M: Couyat-Barthoux was much disapointed not to find a big town. Nevertheless he accepts the evidence of the ancient accounts, which made Myos Hormos a starting point for the trade with the Far East as well as for Sabæa and Petra, and also the point of departure for naval expeditions, under the Ptolemies and the Romans. The evidence of the *Periplus Maris Erythræi*, and that of Pliny, quoted by E. H. Warmington (*The Commerce between the Roman Empire and India* Camb. 1928, p. 53), shews that Myos Hormos was a normal point of departure for merchants bound for India. It could not, therefore, be a mere factitious port established by Hadrian, to feed his town of Antinoopolis by way of the Via Hadriana, if it was already a customary terminal of the India voyage during the first century A.C. The discrepency between the undoubted importance

of Myos Hormos and the modesty of the remains at Abu Shaar el Gibli again raises the question of whether this really is the site of the ancient port. Distances for the voyage to India given by Warmington (*op. cit.* p. 73) cast again into obscurity the subject which his quotation from the *periplus* seemed to have illumined so pleasantly. He gives:

Arsinoe to Barygaza (in India)	3000 miles
Myos Hormos to Barygaza	2820 miles
Berenice to Barygaza	2780 miles

According to these measurements Berenice was only 240 miles south of Arsinoe, while Myos Hormos was 180 miles south of it and only 60 miles north of Berenice.

Arsinoe was at the top of the gulf of Suez, and from Suez to Ras Benas, (Berenice), is just about 500 miles. If Myos Hormos were 180 miles south of Arsinoe, it was in the neighbourhood of Abu Shaar el Gibli; but if it were 60 miles north of Berenice, it would have been somewhere near the ancient Veneris Insular, south of Nakari, (*vide* Murray *op. cit.* plate XI). That latitude is wildly at variance with the latitude given for Myos Hormos by Ptolemy, there is no harbour in that part of the coast which fits the description by Agatharcides, and Coptos could not possibly be reached thence in seven stages, which is the number given by Strabo.

Is it not possible that Myos Hormos, being in the neighbourhood of the convict settlements at Dokhan and Fatiri (*Mons Claudianus*), gained more of a military character, while being still primarily a trade port, than Berenice which was not in an area where other than commercial interests were very important? It is true that the emerald mines of *Smaragda Mons* were, perhaps, administered on lines similar to the Dokhan and Fiteri quarries, but my impression is that the soldiers in the southern part of 'the peninsular' were there primarily to protect the trade-route, whereas in the nothern part they had as much, and more, to do supervising large numbers of convict and forced labourers.

James Burton's maps of Myos Hormos are not quite so clear and full as is that of Wilkinson, which I give by kind permission

of the owner of the MSS, Mrs Godfrey Mosley, of Calke Abbey. Burton marks a "bath done round with burnt bricks and stuccoed" at the middle of the north wall of the west block of rooms marked C by Wilkinson. He also marks an apse-like recess in the partition in the east part of the building marked B by Wilkinson, which gives colour to Wilkinson's suggestion that here was a temple; and Burton completes the walls of rooms all the way round on the inside of the main wall instead of merely indicating them. Comparison between the plan which I made hurriedly in 1932 and those made by Burton, in 1822, and by Wilkinson, in 1823, shews that very little more was visible a century ago than is to be seen today. Wilkinson describes the main walls as of limestone, and those in other parts as of various stones cemented. He says also, that the houses were built of crude brick raised on a substructure of some kind. He remarks on the situation as being extremely unhealthy. My impression was that the outer walls are of gypsum, and that those of other buildings were of rubble, usually about 2ft thick, but in the building which Wilkinson marks B just over 3ft thick.

FORT AND DOLORITE QUARRIES AT THE HEAD OF WADY BILIH. *(Plan VIII)*

These quarries and the buildings connected with them are described in general by Hume and Barron (*op: cit:* p. 26, and plate X.) who give a drawing of the tank in the fort and the entrance to its enclosure.

The fort lies in one of the early tributaries of wady Bilih, running into it on its northern side from the SW spur of the Dokhan massif. After one has crossed the low pass under the Qattar hills which marks the watershed between the Nile and the Red Sea, the confluence of small wadys which becomes wady Bilih generally trends north and south, but after about three and a half miles, soon after the wady Bilih has become defined, it bends and runs thereafter eastward towards the sea. The wady in which the dolorite quarries and their fort lie enters wady Bilih at this bend. The quarries lie about two miles above this tributary's mouth; but about one mile below them it divides into a main stream and a lesser stream which run out into wady Bilih round some high ground, which crops out as a steep little hill at the side of wady Bilih, but which slopes up smoothly northwards to where the crenellated southwestern spur of Dokhan begins to go up precipitously. The lesser branch is the eastern branch, and has not cut itself a very deep bed. Not above two or three hundred yards from the modern motor track in wady Bilih, which is there coincident with the ancient route, a broad, cleared road runs up from the lesser branch of the side-wady over the even slope of high ground. It is a typical example of the ancient roads in this part of the Eastern Desert, as they are to be seen at Badiᶜ, in wady Bilih, at the porphyry quarries, and elsewhere. The road is about fifty feet broad, (Plate VII. I), and continues for about three quarters of a mile, when it reaches the fort.

This is one of the best preserved stations that I have seen; although a vicious draught comes down from the gulley above, the position is sheltered from prevalent winds which, perhaps, accounts for the comparitively good preservation of the masonry. To the south, as one approaches the fort, about 340 feet before one reaches it, are two apartments with substantial walls built side by side against a knoll, which has been quarried to yield oblong

stones for the neat building. One of the rooms, about 20ft: by 15ft:, is bigger than the other, and has a seat built up all along one side and along part of another. The seat is 1ft: 9ins: high and 3ft: broad; the wall stands 7ft: 4ins: above the seat, with a total height of 9ft: 1ins; it is 3ft: 6ins: thick. The door-way, which is in the the wall opposite that formed by the knoll, is 3ft: 2ins: wide, and has door-jambs built up instead of being made from single slabs of stone. No potsherds were visible in the larger room, but there were one or two in the smaller room next to it. At first sight these apartments, which seem to have been for public use, gave the impression of being unfinished; the back wall of the smaller room seems not to have been completed, and the absence of potsherds would indicate lack of use. There are traces of what may have been cement in the walls.

On the north side, but on a level with the fort, a little over 180ft: away from it, is another room, also built against a knoll, on the top of which, about 36ft: away, is a sentry-hut of the usual kind. The room below is rather smaller than that with seats to the south just described, and has quite a different character; it has not such high nor so neatly built walls; it has a window; there are many potsherd in it, and still more outside it round the entrance; in it are some bricks, and some blocks of pink granite, dressed, one of which has been half worked into a *tazza.* There are potsherds on the floor of the sentry hut, and a considerable litter of them on the knoll between it and the room below. The slope in front of the fort consists, in large part, of a low but extensive rubbish-dump. In various places excavation with a knife an inch below the surface brought to light shells, blue pottery, bones, charcoal, white glass, fragments of mudstone, and ends of *amphorae* (without traces of resin on them).

The fort (Plan VIII) is a rectangular enclosure 159ft: long by 114ft: broad. It lies roughly east and west, the long sides to north and south. In the middle of the eastern wall is the entrance, with round bastions, and a semi-circular curtain wall 3ft: 3ins: high, which seems to be the original height. The main walls, which are about 6ft: thick, are very solidly built of cemented rubble; no potsherds have been built into them; there are traces which indi-

cate that they were plastered over on the outside. They are imposing, especially at the SW corner, where they stand, now, some 20ft: high; and, from the little fallen material thereabouts, this would seem to be their original height.

The interior is divided into two parts by a central street (Plate VII. 2:) nearly 15ft: wide, which leads to an enclosure at the western end in which is a tank of the usual kind. The entrance to the tank enclosure had pink granite posts which supported a granite beam as lintel. These are now fallen, but Hume *(loc. cit.)* found the doorway intact in 1898, as it is shown in his drawing.

The two divisions of the fort's interior differ in character. That on the north side contains two series of single rooms, one series opening onto the main street, and the other, which is back-to-back with the first, opening onto a passage-way out of which, on its other side, open a series of double rooms, which back onto the main north wall. The other division, on the south side of the main street, contains, first, a number of irregularly shaped rooms, seemingly for public use, some of which open onto the main street and some, back-to-back with these, onto a passage, from whose other side opens a series of double apartments, less ruined than those on the north side, with greater variety of arrangement, and with door posts, made of flat slabs of dark stone, still standing, their lintels, made of similar slabs, often lying near.

In the northern division the regular series of apartments continue up to the tank-enclosure, but in the southern division they do not go so far, giving place, about three quarters of the distance up, to a self-contained suite of four inter-communicating rooms, with the character of living apartments. In the doorway of one of these rooms the lintel is still in place. (Plate VIII. 1.) It stands 4ft: 7½ ins: above the ground; and, as there are no signs to indicate that the ground level has risen, this was probably the original height.

This is very much lower than the doorway of the house at Hetan Shenshef, near Berenice, shown in a photograph given by Mr Murray *(Journ: Eg: Arch:* vol: XII. parts III and IV, Oct. 1926. plate *XXXIII.* 2.), though the style of building is much the same. On the other hand it corresponds with the heights of other intact

doorways elsewhere in the Dokhan region, notably at the small village situated below the quarries higher up in this wady, where there is a doorway with lintel in place 5ft: above the ground, (certainly the original level, since it is there solid rock); and at the north west village of the porphyry quarries, where there is a lintel in place only 4ft: 6ins: above what appears to be the original level of the ground. In one of the rooms of this suite at the dolorite quarry fort there is about a foot of plaster in place at floor-level.

The space between the tank enclosure and the main walls on the south side contains some rather characterless apartments, somewhat bigger than the rooms just described. But that on the north contains two large apartments, backing onto the tank-enclosure wall, the westernmost opening out of the other; a passageway; several small rooms; and a flight of steps leading up onto the main wall.

Originally the easternmost of the two apartments abutting on the north wall of the tank-enclosure, which is considerably bigger than that which opens out of it, communicated with the tank-room by two doorways, a good deal wider than usual; these have been filled up, but the easternmost doorway still has the lintel in place, which is here 6ft: 6ins: above the ground. The space has been filled up with stones much smaller than those out of which the walls are made, very neatly laid. On the tank side they are laid flush with the wall; (Plate VIII. 2.); on the other side they form a semi-circular recess, very neat and smooth, for three feet above the ground; above that they have fallen away, and it is not clear whether the aperture was filled up to the lintel or left partly open. There are no traces of plaster, so far as I could see, in the recess itself, but there are numerous traces in the tank-room and elsewhere and, almost certainly, the recess was plastered over.

The second doorway has no lintel, but is of the same height. It has been filled in with stones similar to those in the wall and to the same thickness as the wall. On the western side of the partition wall between the two apartments is a niche, about 18ins: square, standing knee-high above the ground; such niches are common in these buildings, and were used, presumably, as shelves and cupboards.

The walls of the tank-enclosure are well preserved and show excellent workmanship. The stones were set in mortar made of yellow mud, now very powdery and mostly blown away. The walls were plastered over. The enclosure contains a cistern of the usual kind made of cemented rubble plastered over. It is about 18ft: long by 16ft: broad on the outside, and about 2ft: less on the inside. It is 7ft: 11ins: deep and is divided at the bottom into two equal compartments by a plastered partition 3ft: 6ins: high and 1ft: broad. The tank has a raised parapet, about 1ft: above the ground and about 8ins: broad, into which some burnt bricks have been built, and on the inside the tank-wall projects about 8ins: forming a rim at the base of the parapet. Parapet and rim were plastered over with the wall, (Plate VIII.2.).

At the south east corner of the tank is a hole connected by a pottery pipe with a square, plastered container built against the wall of the enclosure on the outside, (Plate IX 1). The pipe runs out at the back, low down on the right hand side. The container is 1ft: 10ins: broad; it is much broken and it is difficult to determine its other dimensions. It seems to have been more or less square. On a level with what is now the remaining side is a hole in the plaster of the back, matched by a similar hole on the other side, which suggest very strongly the bedding of beam-ends; the plaster continues for several inches above these holes. If they do mark the position of short beams they must have had some use other than that of strengthening the sides of the container, since the holes are on the inside of the side walls and the beams must, therefore, have been exposed. Possibly they supported a cover. Burnt bricks were used in building the container.

By the side of the tank are several oblong pieces of pink granite, some with wedge-marks. They vary from 3ft: to 5ft: in length, and are about 18ins: broad and 8ins: thick. Some would seem to be fragments of blocks which were originally longer; but they are roughly dressed only and I have not been able to decide which are broken pieces and which entire. One, apparently entire, has fallen into the tank. It is about 4ft: long, 18ins: broad and 8ins: thick, and at one end there is plaster at the top and on one side. Judging by its position and by those of the others

these beams must, I think, have been connected with the roofing of the apartment at its sides; it is unlikely that they served as pillars; I am inclined to think that they were laid along the top of the walls. There are no steps down into this tank.

In the back wall of the tank-enclosure, which is the main west wall of the fort, are four square embrasures in the thickness of the wall. Their bottoms are about three feet above ground level; and they are 3ft: 6ins: broad. Their tops, however, are ruinous, and it is not possible to say how high they originally were. They seem certainly to have been built as embrasures and are not openings later filled in; they seem to me, probably, to have been designed for decoration. On the south side the tank-enclosure runs out in an extension, on the east side of which is what may have been a raised platform; but it is very ruinous.

The whole of the tank-enclosure has been carefully built, with some attention paid to its architectural lay-out. The entrance is just over 5ft: wide; the main supports of its horizontal member, which have now fallen, were set into the wall flush with its stones. The threshold is an oblong block of pink granite, with a step up to it, since the floor-level of the tank lies a little higher than that of the main street.

On the south side of the gateway to the fort are several rooms of different size and indeterminate use. On the north nearly all the space enclosed on one side by the main wall is a long apartment in one corner of which is lying a granite trough or basin, not very deep, 16ins: square on the inside. Another similar basin, 15ins: by 12ins:, inside measurement, lies in the southern bye-street. To the west of this apartment is a series of small rooms; in the largest, which is also the central room, are traces of burnt-brick work, and a low projection runs out from the wall whieh divides these rooms from the long apartment east of them. These rooms open onto a passage-way, which separates them from the end wall of the series of rooms occupying the middle portion of the northernmost of the two main divisions into which the buildings in the fort are separated.

In the space between the northern wall of the long room mentioned above and the north east angle of the main wall is a flight of

seven steps, well preserved, running up agains the end wall of the room onto the main wall. The topmost step is 9ft: 6ins: above the ground, from which height the main wall has fallen away. Unless the steps went on into the thickness of the wall, 9ft: 6ins: was their original height, and since the main walls were certainly at least 20ft: high, the steps must have led to some sort of patrol-step running round them. Unfortunately the main wall is even more ruinous at the similar flight of steps to the north of the tank-enclosure; and on the south side, where the walls are best preserved, there is no sign of a patrol-step. There was, possibly, another flight of steps up onto the main wall by the side of the room immediately behind the southern bastion' of the gate; but the wall is here so ruinous that one cannot be certain without clearing away a good deal of stone.

Near the steps at the north east angle of the walls is a small apartment in which is a raised seat or platform, 2ft: high, running along its whole length against the main wall. Another apartment, that which comes last in the line of various-shaped rooms along the south side of the main street, has similar raised seats or platforms. The character of this apartment is singular. It is square, and rather bigger than the others near it. One door-jamb is still in position, and the other has fallen forward into the main street. Running through the middle of the room from the door to the back wall is a gangway about 4ft: wide. Either side of this the space to the side walls is occupied by the raised platforms spoken of above. They are 2ft: 3ins: high and about 4ft: 10ins: broad -- very considerably broader than the seats which are not uncommon in rooms at these villages and forts.

At the back of this room there is a good deal of fallen stone, amongst which is a large slab, very roughly circular, which cannot have been built into a wall, and would seem most useful for covering a space. Such another slab is still in place across the angle of two walls of a small room at the west end of the series of single apartments on the north side of the main street Its top surface is, there, level with what seems the original height of the walls; it is not more than two inches thick; its under surface is only 3ft: 2ins: above the floor, which would suggest either

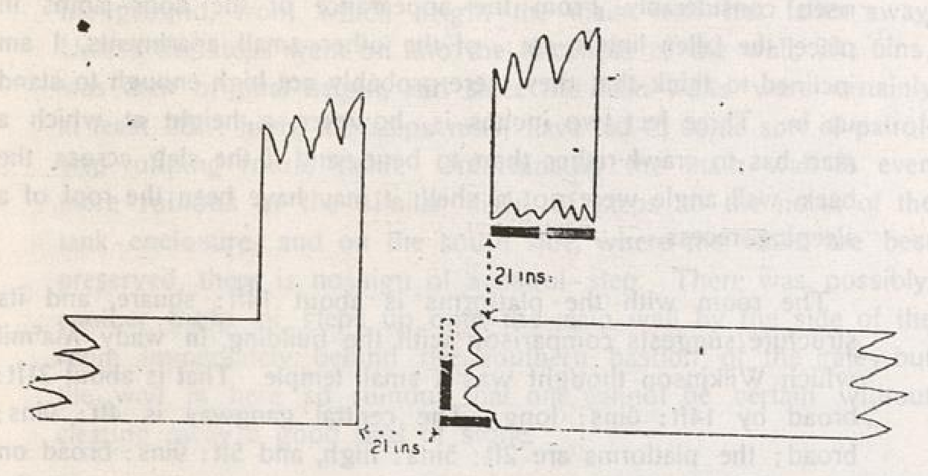
that it was a shelf rather than roofing, or that the floor-level has risen considerably. From the appearance of the door-jambs in place, the fallen lintels, etc:, of the other small apartments, I am inclined to think that they were probably not high enough to stand up in. Three feet two inches is, however, a height at which a man has to crawl rather than to bend, and if the slab across the back-wall angle were not a shelf, it may have been the roof of a sleeping recess.

The room with the platforms is about 14ft: square, and its structure suggests comparison with the building in wady Maᶜmil which Wilkinson thought was a small temple. That is about 21ft: broad by 14ft: 6ins: long. The central gangway is 4ft: 9ins: broad; the platforms are 2ft: 5ins: high, and 5ft: 9ins: broad on either side of it. Between the gangway and the back wall the platform is only 3ft: 7ins: broad. In this building a seat runs all the way round the gangway, with its back against the edge of the platform. The seat is 1ft: 10ins: high, and 10ins: broad; its back is 7ins: high. Here also are flat slabs fallen in as if from the roof; but here are two pairs of granite *imposta*, which supported horizontal members.

There is another building with similar features near a very small quarry in wady Um Tawat, on the west side of the south west spur of Dokhan. This is 12ft: broad by 11ft: long; the platform is about 1ft: 6ins: high; 4ft: broad, on either side of the gangway, which is 4ft: broad, but about 4ft: 6ins: broad between the gangway and the back wall. Here there are no traces of roofing fallen in. There is only one other building at this quarry, about 100ft: away, which, perhaps, reduces the likelihood of these apartments with platforms having been for a religious purpose,

The size of the double rooms in the southern division of the fort varies between 6ft: by 9ft:, and 6ft: by 6ft:. Little passages, barely 2ft: wide, open into the street, and out of these passages open the rooms. The doorways in some cases, have their stone door-jambs still standing. These are formed of oblong slabs of stone, not quite square in section; about 1ft: broad on the outer face, which corresponds with the thickness of the partition walls,

and are placed against the wall ends, leaving a space for entrance 1ft: 9ins: wide.



In two cases the passage leads past a room with such an entrance immediately to the right, and opens out into a similar room behind but without a constructed doorway. In one case a tiny apartment 6ft: long by 4ft: broad, with an entrance into it flanked by door-jambs, is built in this second room; one would think it something like a box-bed.

In another case the inner enclosure is divided into two by a wall running at right angles to the passage and ending in a doorway between it and the main partition wall, thus making a little suite of two small rooms each 5ft: by 6ft: with doorways, and a small enclosure 10ft: by 5ft:.

The corresponding rooms against the main north wall of the fort have the same little passage-way leading out of the street, which gives them the character of privacy lacking in the rooms in the main block on the north side of the central street, but none of them has a second room with a door built in the small enclosure into which the passage opens out. These rooms are mostly 7ft: by 7ft:, and their inner enclosures 5ft: by 10ft: or, sometimes, 12ft:.

The rooms in the main block, which open out of the side street opposite these apartments with passage-ways, are uniform in pattern though not in size. There are seven of them, the biggest; 13ft: by 10ft:, the smallest 6ft: by 10ft:. Their doorways are al

at the north east corner. The rooms which back onto these and open onto the central street vary a little in plan as well as in size, their doorways being sometimes in the middle of the front wall, sometimes at the south east sometimes at the south west corner. There are seven of them, the longest 13ft: by 9ft:, and the smallest 7ft: by 8ft:.

There is a fair number of potsherds scattered about in the main street, and a noticeable litter among the fallen stones which fill the apartment next to that with the raised platforms. Otherwise there are not very many potsherds in the rooms.

In the open space before the entrance to the tank-room, a little to the north side, is a remarkable litter of smooth, rounded pellets of pink granite, about twice the size of a golf-ball. Such pellets occur in quantities in the wady-wash at the station in wady Qattar, but when they are in the wady-bed they are not so smooth, nor so evenly rounded as are these. Perhaps they were used for polishing blocks of stone. There are several bits of burnt brick at this place as well, but I think these probably come from the broken container by the entrance to the tank-room.

In the northern bye-street is lying a piece of flat, dark stone, similar to the pieces used for lintels and door-jambs, smoothed on one side with a circular hole chiselled through it, tapering towards one end. It was, perhaps, the socket of a doorpost; such holes occur now and then in the horizontal beams over doorways in wady Maᶜmil.

At two places, other than the entrances from the tank-room into the room to the north of it, there are doorways which have been filled in at a later date than that of their construction. Such signs of adaptation of the original plan are particularly noticeable at one of the villages at the porphyry quarries.

On two out of the three nights which I have spent in this fort, in different years, the wind has led me to think M: Couyat-Barthoux's suggestion, that the rooms of the workmen in these villages may have been left roofless, not acceptable. The existance of doorways with lintels makes it almost certain that there was some kind of roofing; but even without this evidence, I cannot conceive of beings sophisticated enough to build walls for defence against

man who would not protect themselves from the intolerable persecution of the Dokhan wind.

THE QUARRIES. *(Plan IX)*

The quarries lie about a mile above the fort, on the west side of the wady. There are traces of a cleared road here and there between the fort and the quarries, about 18ft: wide in places where it runs on higher ground above the torrent-bed. At first the wady is bounded on the west by high mounds of detritus, through which the torrent has eaten its way, leaving a striking example, in section, of terracing. These give place to the main rocks of the south west spur of Dokhan, the wady turns a little westard, and its character becomes more that of a ravine. The bed is strewn with enormous boulders, which, here and there, have held up masses of wady-wash and formed islands with precipitous crumbling sides, as high again as a man. The wady-bed slopes fairly rapidly; below the quarries the boulders are not huge, and the bed is narrower but more even. The hills go up very steeply on either side, but on the east a platform of rock juts out from the hill's base, sloping gently up at its lower end from the torrent bed but standing sheer above it not very much further up.

On this platform stands a series of rooms in which, evidently, the quarrymen and, perhaps, their guards lived while at the quarry-face. Starting from the lower end there is first, a single room, 11ft: by 7ft:. This stands by itself; about fifteen feet further on begins a series of nine apartments, varying in size and details of design. Next, after a gap of about nine feet, come two rooms set back to back; then another gap of nine feet and, finally, a series of five rooms built against the side of the hill. There is nothing very remarkable about these buildings; they are well preserved and their very simplicity, and the fact that they stand on a rock platform, enable one to form a clearer idea of their original condition than of that of more elaborate buildings elsewhere. There are not many potsherds on their floors, though a few are built into the walls. The most striking object is the lintel still in place in the room at the upper end of the series of nine rooms. The wall on either side of the doorway is entire, and the threshold is the native

rock, so that 5ft:, the present height of the lintel above the threshold, must be the original height. The original height of the ceiling must have been about 6 feet.

In the sixth room of the same series, where the platform bends to follow the torrent-bed, there is a niche in the back wall, of the type which occurs often in these villages; but this specimen is more neatly built than most. It stands at a convenient height above the ground, and occupies the whole thickness of the wall. Its top, sides and back are formed of single slabs of stone; its bottom of the stones of the wall. It is 3½ins: deep, 17½ins: wide, and 16¾ins: high.

After this series of nine rooms the platform begins to narrow, and the two rooms standing together which come next have their front walls standing almost sheer some 12ft: above the wady-bed; stepping places are hewn in the rock here and there along the craggy bank for communication from one end of the village to the other without having to descend into the torrent-bed.

The last group, that of five rooms, has very little space in which to stand, and the hill goes up steeply enough from the back of the platform to serve for back walls to the rooms. The first apartment of this series has a raised seat built all along one of its sides. Its front wall is ruinous and it is difficult to decide its original extent. The last apartment of this group is long and narrow, crushed into the last remaining space on the platform before it ends in a gulley which runs down into the wady from the hill-face above. This room has three neatly built steps in front of its doorway.

The rooms in the series of nine are rather smaller than the rest. It is difficult to determine the uses of any of them. The fewness of the potsherds would indicate that the buildings were not used for a very long time; on the other hand, in such a position, litter would tend to be thrown, washed and blown into the torrent-bed and so to be carried away. Nevertheless, the evidence at the fort and at the quarry-face is in favour of a comparitively short period of exploitation here.

The quarried face is about a third of the way up the hill on

the west side of the wady. It is led up to by a zigzag path which starts a little above the south end of the village. The hill is terraced along the quarried faces, which do not extend above 100 yards, if so far. The path leads up onto the south end of the terrace, and runs along it. Not far on is an enclosure with walls originally about 6ft: high built out from the rock face; it is about 27ft: by 15ft: in extent. Evidently blocks of stone were worked here, for there are chips about, and a piece of a roughed-out *tazza* is lying on the ground. There are no signs of a tempering furnace, such as there are at various dressing stations at the porphyry quarries, nor are there any potsherds inside the enclosure, though a few are to be seen on the path outside. Built into one or the walls is a piece of the dark stone which is used for lintels and door-jambs down in the fort. It abounds in this district, but whether it was quarried for building purposes, or whether boulders were taken from the wady-beds, I cannot determine. This piece was singular at the quarry.

A little further on still the terrace broadens somewhat and one arrives at the first quarried face. The dolorite seems to occur in the form of dykes, for the workings run up diagonally into the hill-side. Opposite this first quarried face a slide goes down very steeply to the wady. On the terrace, to the north of the slide, is a small circular butt for a lowering winch; there are two more butts below the terrace wall, one below tother, by the north edge of the slide, and about 20ft: below the lower butt is another on the opposite side of the slide. Near the bottom is still another. These butts are round in shape, about 3ft: in diametre, and stand about half a man's height; this is much smaller than the butts at the main porphyry quarries at Dokhan.

Near the beginning of the slide on the terrace are several neatly dressed blocks, mostly square or oblong; typical approximate dimensions are:-

a) 3ft: by 3ft: by 2ft:; b) 3ft: by 2ft: by 1ft: 6ins:;
c) 3ft: 6ins: by 2ft: by 1ft:. Two or three blocks were undercut on one side making them "L" shaped. They have been stipple-chiselled, though some of them show striation here and there. There is a great number of rough blocks lying about, both on the terrace

and at the quarry-face. Many of them show wedgemarks. A typical mark was, approximately, 3⅛ ins: long at its base, 4⅜ ins: at its top, and 2½ ins: deep. I found no quarrymen's signs on any of the blocks.

Not a great deal of stone seems to have been taken from these quarries, nor do the blocks cut out seem to have been very big. Some of the biggest which I saw were those mentioned above, and three others, which were lying not far from the fort, on the road from the quarries. These were:- a) a broken drum of stone, neatly dressed, c: 39 ins: in diametre and 20ins thick; b) a dressed block, broken, 3ft: 5ins: by 2ft: by 2ft:; c) a similar block, intact, 2ft: 5ins: by 1ft: 10ins: by 1ft: 8ins:.

On a big boulder outcropping from the hill-side a little below the first hut of the quarry village are chipped some crude drawings, of a type which abound in the desert. They are chipped in the weathering of the stone, and seem to represent horned animals. Such drawings were made by pre-historic man and are still made by the beduin today.

A SMALL FORTIFIED ENCLOSURE IN WADY BILIH BETWEEN SELAH BILIH AND AREIG EL AHMAR. *(Plan X)*

There is a small station, with a strong wall and an entrance of peculiar shape, situated about half a mile south of the ancient road from the fort at bir ʿBadiᶜ to the porphyry quarries by way of wady Um Sidri, at a point a little before the third mile-cairn along that road. It lies about three miles north of the ancient main route to Myos Hormos just over a mile from where the road branches off to bir Badiᶜ.

The main wall encloses a space about 81ft; broad by 87ft: long. (Plate IX, 2). On each side are five apartments joined at the north end by a series of three apartments. The outer walls, especially on the west side, have become very ruinous, and much sand has drifted over them and the interior walls. There is a space between the back walls of the rooms and the main outer walls, and this space seems to have had originally a higher floor level than the rooms. It has now become filled with sand up to the present level of the room-walls, which at one place, where they are best preserved, stand 4ft: 4ins: high. The rooms are mostly about 9ft: by 12ft:. There are no apparent traces of a cistern in the central quadrangle, which measures about 39ft: by 60ft:. A rough semi-circle of stones in front of one room is probably of beduin construction.

Just below the level of the floor of the second apartment, on the right at entering, are deposits of decayed vegetable matter, such as those one sees in the animal lines at El Heita, which leads one to suppose that the place was used for stabling animals.

The most remarkable feature of the building is the shape of its doorway. One goes in by a passage about 27ft: long and about 6ft: wide, at whose entrance the flanking walls are built out in a kind of terminal buttresses, 2ft: thick on the passage side and 5ft: 8ins: broad on the outside. The wall of the passage stands now about 6ft: high.

The main outer wall is about 3ft: 4ins: thick; outside of it, to the east, are traces of masonry at about the original level of the ground, which may be remains of bastions, or of an exterior terrace wall.

At one or two places in the interior are lumps of ironstone, of which one big one seems to have fallen from the wall into which it had been built.

The partition walls of the rooms are about 1ft: 8ins: thick. There are only a very few potsherds to be seen; but everything is much sanded-up.

Almost exactly half way to the Myos Hormos road there is a heap of masonry, very ruinous, but which seems to be more like a loading-ramp than a house. It is composed of three massive walls, about 4ft: thick and about 5ft: high, two of them set at right angles to the other, leaving an opening to the south. Casual inspection reveals no other survivals of masonry near it. It stands by a low bank in the open wady.

This little station stands in front of the last line of the eastern foothills of Dokhan, where wady Bilih begins to widen out before it passes Araig el Ahmar and becomes a featureless expanse between the Areig and the Abu Shaar plateau. For what it was used is not clear. Possibly a comparison between it and the small establishment in the Bab el Mukheinig pass and that at bir Abu Shaar el Qibli, (Fons Tadnos), might explain its estabiishment. There may, of course, be remains of a trough or cistern under the drifted sand, but as it is there is nothing to indicate a supply of water.

A VERY SMALL QUARRY AT THE HEAD OF WADY UM TAWAT.

In a small wady on the north side of the main road, not far beyond the first pair of cairns after the pass of Qattar, which marks the Nile-Red Sea watershed, there is a cleared road such as those at Badiᶜ, the dolorite quarry station, and elsewhere.

It runs up the little wady, which rises rapidly to a saddle, and then goes down into a tributary of wady Um Tawat. Wady Um Tawat rises on the west side of the massif of gebel Dokhan under the peak which Schweinfurth, (*loc: cit:*), calls Rammiusberg, and drains into wady El Atrash. The tributary wady runs for about two miles up to another saddle, over which one goes into wady Um Tawat. For a large part of this distance the road is in almost perfect preservation, 47ft: wide.

Wady Um Tawat curls in a pleasing manner, giving varied views of the foothills and peaks of Dokhan. The bed is rough, and for some way after the road comes in it is littered with boulders of *breccia verde*, washed down from a place a quarter of a mile further up, where the sides of the wady are of this rock. The road here has been washed away. A little further up still is a single block of *breccia verde* which may have been quarried; but there are no signs of workings, and it is strange that there should be only one cut piece.

Soon after this the wady broadens, and a few *yessar* trees in the foreground set off the peak of the Rammiusberg, which stands up finely at the head of the valley. About one and a half miles from the widening the wady divides round a craggy hill, and in the left, i.e. the west branch the road re-appears, very clear. There are no signs of cairns anywhere. Another three quarters of a mile and the wady unites again; the main torrent goes round to east of the island hill, which accounts for the road's survival in the western branch. Where the branches unite the wady narrows to cut through a spur of hill, and at its west side, at the end of the road, is a hut built against the hill, with another, larger, hut about 100ft: away. A little above the first hut the steep side of the hill just above the wady-bed has been quarried at one place, where

a terrace for working has been built up out of the wady-bed. The stone is black porphyry, with large crystals; there are wedge-marks on the rock face; one of the cut blocks shows signs of chiselling, but the others are all rough-hewn. There is one little hut at the working, which is a very small one.

The first hut has been mentioned already on page 94; it is 12ft: broad by 11ft: long; there is a gangway some distance down the middle from the door, 4ft: broad, on either side of which the remainder of the floor-space is raised as a platform about 1ft 6ins: above the ground, 4ft: broad on either side of the gangway, but about 6ins: more between its end and the back wall. There are a few potsherds both inside and outside of this hut, and one or two fragments of pink granite, which are singular at this place.

The other hut is much larger, and its walls at one corner are about 7ft: high. It is a rectangular enclosure, 18ft: square, with a doorway at the corner. There are no potsherds visible near it.

It was hard to believe that the impressive road which one had followed for about six miles was designed for such a very small establishment as this, but though I went up the wady another mile to its head I could find no other buildings or quarries. The amount of stone worked must have been very small; if the quarry were soon abandonned on account of some undesirable quality in the rock, it seems strange to have made such an elaborate road until the quality of the quarry had been proved. On the other hand the motives for action in these undertakings were not economic; the work was put in hand either to supply imperial buildings, at any cost, or to punish malefactors with hard labour. Clearing a road over six miles of rocky wady would achieve the latter purpose effectively enough.

It is, of course, possible that this quarry had been opened, with a view to full exploitation, only a short time before the whole system of works at gebel Dokhan was abandonned.

MÉLANGES D'ARCHÉOLOGIE.

par

PAUL GRAINDOR

ETHIOPIENS SUR VASES ATTIQUES.

Dans un article récent intitulé *The Panoply of the Ethiopian Warrior*, A. D. Fraser, étudie à nouveau une serie de vase attiques à fond blanc, la plupart des alabastres, ornés d'une figure de nègre armé.[1]

A ce propos, M. Fraser exhume, c'est le cas de l'écrire, une hypothèse que j'avais émise autrefois[2] à propos de ces vases: elle avait élé complétement oubliée même par l'auteur du premier fascicule du *Corpus* des Vases du Musée du Cinquantenaire à Bruxelles[3], auquel appartient l'alabastre au nègre, point de départ de ma publication et de mon hypothèse. (Fig. 1).



Fig. 1

M. Fraser reconnaît comme moi, qu'il semble raisonnable de retrouver un écho des guerres médiques dans ces vases qui ne peuvent guère être antérieurs à 500 environ ni postérieurs, en tout cas, à 480: des fragments d'un vase de ce genre ont été retrouvés dans les débris des monuments de l'Acropole saccagée, cette année-là, par les Perses[4].

Mais si M. Fraser me fait

(1) *AJA*, 39, 1935, pp. 35 sqq.

(2) *Musée Belge*, 1908, pp. 25 sqq.

(3) *CVA, Musée du Cinquantenaire*, I, III Ib, pl. 1, 4 *a. b.*

(4) P. 42. Observons que ces vases ne sont pas au nombre de 32 mais seulement de 31, l'exemplaire du Cinquantenaire étant le même que celui que nous avons publié.

l'honneur de se rallier à ma manière de voir, il s'en écarte sur un point essentiel : pour lui, il ne s'agirait pas, comme je me l'étais figuré, d'Ethiopiens qui auraient participé à la bataille de Marathon, mais bien de ceux de leurs congénères qui accompagnaient l'armée de Xerxès, dans la seconde guerre médique.

A dire le vrai, et je n'avais pas manqué de l'écrire, Hérodote ne fait nulle mention d'Ethiopiens dans sa description de la bataille de Marathon. Mais il y a bien d'autres détails, autrement importants, dont il ne parle point, en cette occasion, et c'est même une des raisons pour lesquelles il nous est si difficile de nous faire une idée exacte de la façon dont s'est livrée la fameuse bataille. Qu'il suffise de renvoyer au "Schlachtenatlas" de Kromayer-Veith[1] pour montrer à quel point nous sommes mal renseignés sur des faits essentiels, notamment sur l'endroit *précis* où se livra le célèbre combat.

Mais un point sur lequel on est d'accord c'est que, si les Athéniens, pour la première fois dans les annales de la Grèce, au dire d'Hérodote,[2] s'élancèrent au pas de course sur les Barbares, c'est pour éviter d'être décimés par les archers de l'armée perse. Or précisément, les nègres de nos vases sont armés d'arcs. Même, on a trouvé à Marathon[3], des pointes de flèches en silex, et Hérodote affirme que les flèches des Ethiopiens étaient garnies de pointes de pierre[4]. Mais, comme nous l'avons fait observer, les pointes de Marathon pourraient provenir d'armes préhistoriques, encore qu'on attendrait, dans ce cas, des pointes en obsidienne comme celles qui ont été découvertes tout récemment à Athènes[5].

Mais, même si nous nous trompons sur ce point, l'hypothèse de M. Fraser est inadmissible.

Pendant la seconde guerre médique, les Athéniens n'ont pas eu, avant Platées, l'occasion de se mesurer avec l'armée de terre des

(1) *Griech Abth.*, Bl. 1.

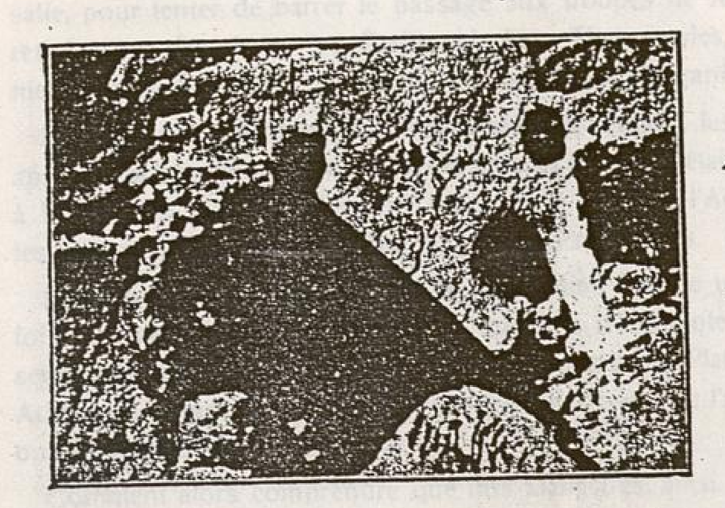
(2) HEROD., VI 112.

(3) FRAZER, *Pausanias's description of Greece*, II, p. 434 (bibliogr. p. 443).

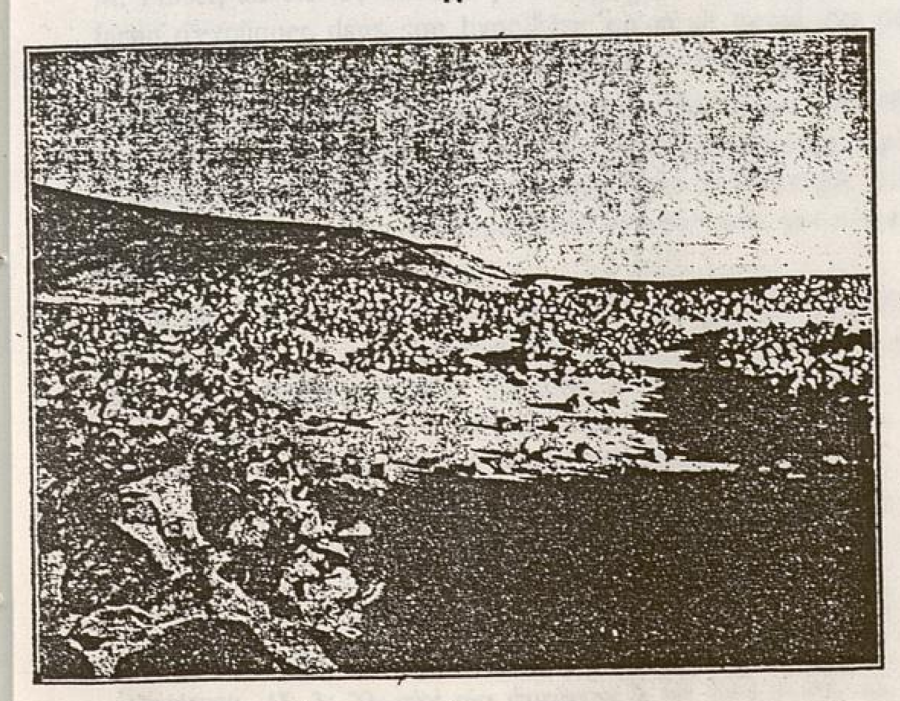
(4) HEROD., VII, 69.

(5) *Hesperia*, IV, 1935, p. 115, fig. 5.

Plate IX. (ref: pp. 91, 101).



1.



2.

1. DOLORITE QUARRY FORT OFF WADY BILIH. Cistern for filling tank.
2. Interior of small fortified enclosure in wady Bilih.

Perses. Le corps expéditionnaire conduit par Thémistocle en Thessalie, pour tenter de barrer le passage aux troupes de Xerxès, s'est retiré avant d'avoir vu les Barbares[1]. Aux Thermopyles, les Athéniens ne figurent point parmi les Grecs chargés de garder le défilé.

Lors du sac d'Athènes par les armées de Xerxès, les Athéniens après avoir mis leurs femmes et leurs enfants à l'abri, s'étaient réfugiés à bord de la flotte et n'avaient laissé pour défendre l'Acropole que les prêtres et les vieillards qui furent tous massacrés.

Lorsque, dans l'hiver de 480/79, Mardonios occupe une seconde fois Athènes, il la trouve déserte, au dire d'Hérodote[2], texte que semble ignorer M. Fraser. Ce n'est donc pas avant Platées que les Athéniens eurent l'occasion de voir les Ethiopiens de l'armée perse ou, en tout cas, de les combattre.

Comment alors comprendre que nos alabastres, ainsi que le veut M. Fraser, ait été façonnés et peints dans l'hiver de 480/79, seule façon d'expliquer, dans son hypothèse, qu'on ait trouvé des débris de l'un de ces vases dans les remblais de l'Acropole?

Hypothèse d'autant plus inadmissible que M. Fraser considère à juste titre les vases au nègre comme des vases à parfums[4], et explique leur style lâché, tout à fait exceptionnel dans la ceramique attique, par la nécesité de pourvoir rapidement et à bas prix, aux nécessités d'une exportation étendue[5].

On ne voit pas les potiers athéniens, dans l'hiver de 480/79, fabriquant des vases à *parfum*, qui pénétrèrent jusqu'en Espagne, dans une Athènes *déserte* et qui lutte, à cet instant critique, pour une existence dont elle n'est plus sûre, sous la menace de Mardonios qui hiverne, avec une armée intacte, en Thessalie!

Supposons, au contraire, que ces vases sont nés au lendemain de Marathon, au moment où le prestige d'Athènes est, d'un coup,

---

(1) HEROD., VII, 172 sqq.

(2) HEROD., IX, 3: Ὃς οὐδὲ τότε ἀπικόμενος ἐς τὴν Ἀττικὴν εὗρε τοὺς Ἀθηναίους, αἱρέει τε ἔρημον τὴν πόλιν.

(3) P. 42.

(4) En quoi il se rallie à BUSCHOR, *Münch. Jb. bild. K.*, XI, 1919, p. 38.

(5) Pp. 41 sq.

porté au zénith par une victoire inattendue. Ce glorieux exploit, qui oblige les Perses à regagner, pour dix ans, l'Asie, laisse, aux Athéniens, le répit suffisant qui explique la large diffusion des "Vases au nègre" et rend raison du caractère exceptionnel, dans la céramique attique, de ce genre de vase, nouveau, pour qui les potiers, manquant de modèles, firent dessiner tant bien que mal et plutôt mal, un type de nègre, dont la rudesse s'explique par le fait que le grand art, d'où dépendent les peintres de vases, n'avait pas encore eu le temps ou l'occasion de créer le prototype.

Il n'est pas jusqu'au palmier, qui figure sur nombre de ces vases et dont M. Fraser renonce à justifier la présence[1], qui ne s'explique dans l'hypothèse que nos Ethiopiens sont en relatión avec les guerres médiques. Moi-même, je m'étais contenté de l'explication qui voit dans ces arbres une preuve du rapport des nègres avec l'Egypte. Mieux informé, aujourd'hui, j'estime que ce palmier à une toute autre signification. C'est une indication de paysage, certes, mais qui cache une valeur symbolique: il personnifie l'Orient vaincu par la Grèce. C'est pourquoi, après la victoire de l'Eurymédon, les Athéniens consacrèrent une statue d'Athèna, ayant pour base un palmier[2], un de ces palmiers que le vase à reliefs bien connu de Kertch, signé de Xenophantos, emploie pour situer une chasse de Darius[3].

Dans notre article, déjà cité, nous observions[4] qu'une tête de nègre avait remplacé la chouette sur une monnaie unique d'Athènes que possède le Musée de Berlin[5]. On la plaçait alors vers 480 et on attribuait à une cause politique ou autre, l'apparition soudaine de ce type nouveau dans la numismatique athénienne[6]. Cette cause,

---

(1) P. 45.

(2) Paus., X, 15, 4. Cf. aussi notre *Athènes de Tibère à Trajan*, p. 186, à propos de la base en forme de palmier, aujourd'hui republiée *IG*, II, 3, p. 250, n. 4312.

(3) Cf. en dernier lieu, K. Shefold, *Untersuchungen zu den Kertscher Vasen*, p. 140, fig. 67.

(4) Pp. 31 sq.

(5) Seltman, *Athens its history and coinage*, p. 97, pl. XXII.

(6) Pottier, *Mon. piot*, IX, p. 144, n. 3.

nous avions proposé de l'identifier avec celle qui avait donné naissance à la série des vases au nègre.

Mais la rareté de ce type a, plus récemment, porté Seltman[1] à le rapprocher des autres monnaies à tête de nègre que nous connaissons, c'est à dire de menues pièces d'argent de Delphes qu'il date comme celle d'Athènes, de l'époque de Clisthènes, de l'époque où les Alcméonides venaient d'achever le temple de Delphes. L'Alcméonide Clisthènes, nouveau fondateur de ce temple, aurait placé sur la monnaie d'Athènes la tête du premier fondateur de Delphes, Delphos. C'est en effet avec ce personnage légendaire que Babelon, après Panofka[2], identifie le nègre des monnaies de Delphes. Il était fils de Mélaina, qui serait, d'après son nom "la négresse". A supposer que cette hypothèse soit exacte et qu'il ne faille pas traduire "la noiraude", il ne s'ensuivrait pas nécessairement que le fils de Mélaina fût un nègre: on donne ordinairement pour père, à Delphos, Poseidôn qui lui, est un dieu bien hellénique, premier occupant de l'oracle selon Strabon (VII, p. 574) et Pausanias (X, 24, 4).

D'ailleurs, le nom de Mélas est porté par plusieurs personnages dont rien ne permet d'affirmer qu'ils furent nègres[3]. Et qui songerait à tirer de certain noms propres grecs modernes, formés de l'adjectif "noir", comme Mavromichalis ou Mavrocordato, la preuve que du sang noir coule dans le veines de ces familles?

De plus μέλας ne signifie jamais nègre, que nous sachions, en grec ancien, où l'on emploi, dans ce sens Αἰθίοψ.

Enfin, comme l'a noté Seltman[4], la mère de Delphos ne porte pas seulement le nom de Mélaina mais aussi cinq autres noms Melaino, Thyia, Mélainis, Mélantheia, Melantho, tous, sauf Thyia, se rattachant, il est vrai à une racine qui signifie "noir". Mais nous

---

(1) *O. l.*, p. 97.

(2) BABELON *Traité des mon. gr.*, II, p. 1000; PANOFKA, *Delphos und Melaine*, *Berl. Winckelmanns progr.*, 1849.

(3) Par ex., *Il.*, 14, 117; APOLL. RHOD., *Argon.*, 2, 1156, etc.

(4) P. 97, n. 4.

ferons observer que Mélantheia évoque l'Apollon Mélanthios[1] qui lui, n'avait sûrement rien d'un nègre.

On s'étonnerait d'ailleurs de la rareté des monnaies d'Athènes à la tête de nègre s'il fallait bien en rapporter l'origine à Clisthènes : s'il avait voulu rappeler, dans une émission monétaire, un événement qui intéressait à la fois sa famille, Athènes et Delphes, il est probable qu'il aurait donné à ces monnaies au nègre une diffusion qui aurait permis d'en retrouver plus d'un exemplaire. Au contraire, la rareté de ce type monétaire invite plutôt à croire qu'il fut destiné, comme nous l'avions supposé après von Schneider[2] et Pottier, à commémorer un épisode de l'histoire d'Athènes, en relation, comme les vases au nègre, avec les guerre médiques.

M. Fraser[3], dans son très intéressant article, s'est aussi demandé quel genre d'Ethiopiens le peintre de vases attiques avait voulu représenter. Hérodote distingue, en effet, avec Homère[4], les Ethiopiens orientaux, qui auraient habité le Belouchistan actuel[5], et les Ethiopiens occidentaux, qu'Hérodote situe au-dessus de l'Egypte, autrement dit, dans le Soudan. M. Fraser conclut qu'il s'agit de ceux de Perse. On hésitera d'autant plus à le suivre, sur ce point, qu'il n'y a aucune concordance, il le reconnaît lui-même, entre la description donnée par Hérodote des Ethiopiens de Perse et ceux de nos vases[5]. Jusqu'à plus ample informé, il n'est pas interdit de penser que nous pouvons avoir affaire à des Ethiopiens du Soudan, l'Egypte étant, à l'époque des guerres médiques, sous la domination perse.

---

(1) *IG.*, XII, 5, 1101. Cf. Gruppe, *Gr. Myth.*, p. 1228, n. 4.

(2) *Jahrb. d. Kunsthist. Samml.*, III, 1885, pp. 4 et 9.

(3) Pp. 43 sq.

(4) Beardsley, *The negro in Greek and Roman civilisation*, Baltimore, 1931, ch. I, a réuni les textes relatifs à ce sujet.

(5) P. 43.

POINTES DE FLÈCHES PERSES A ATHÈNES

Dans les fouilles exécutées par l'Ecole américaine d'Athènes sur le versant nord de l'Acropole, ont été trouvées de nombreuses pointes de flèches en bronze, quelques-unes de fer, qui peuvent être datées du début du Ve siècle avant notre ère, d'après les tessons de vases les plus récents qui ont été découverts au même endroit[1].

La trouvaille est d'autant plus intéressante que nous connaissons rarement la provenance et la date des flèches antiques[2].

L'éditeur, O. Broneer, a donné de bonnes raisons de supposer que les pointes qu'il a exhumées dans ses intéressantes fouilles, sont contemporaines du siège de l'Acropole par les Perses et proviennent des flèches lancées par eux sur les défenseurs de la citadelle. Ajoutons que, d'après Hérodote (VIII, 52), les Perses envoyèrent aussi des flèches garnies d'étoupe enflammée, pour tâcher d'incendier le rempart de fortune en bois, élevé par les Athéniens[3], et que c'est par le Nord qu'ils réussirent à pénétrer sur l'Acropole[4].

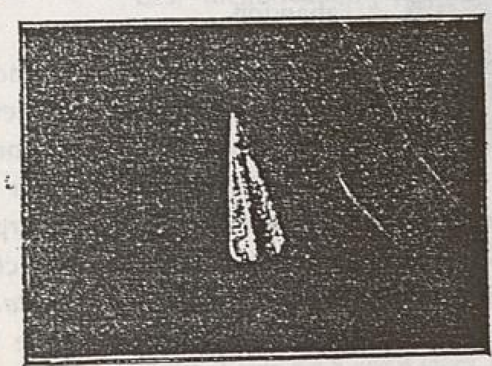


Fig. 2

Et nous croirions bien que le squelette exhumé dans les mêmes fouilles[5] n'est pas celui d'un guerrier perse mais celui d'un des Athéniens qui se précipitèrent du haut des remparts quand ils

(1) *Hesperia*, II, 1933, p. 341, fig. 13; IV, 1935, pp. 113 sqq.

(2) Sur les flèches, cf. AD. REINACH, *Sagitta* dans DAREMBERG-SAGLIO, *Dict. des ant.*; FLINDERS-PETRIE, *Tools and Weapons*, ch. VII; GIS. BICHTER, *Greek Etr. and Roman Bronzes*, pp. 403 et 408; H. SCHMIDT, *ap.* PUMPELLY *Explorations in Turkestan*, pp. 183 sqq.; K. SCHUMAKER, *Sammlung antik. Bronzen*, p. 144, n. 748 pl. 14; *Brit. Mus.*, *Greek a. Roman life*, p. 101, fig. 103.

(3) Ὅκως στυππεῖον περὶ τοὺς ὀϊστοὺς περιθέντες ἅψειαν, ἐτόξευον ἐς τὸ φράγμα.

(4) *Ibid.*, VIII, 53.

(5) *Hesperia*, IV, p. 117.

virent que les Perses montaient à l'assaut de ce côté et que la partie était perdue[1]).

Le versant nord de l'Acropole, il est vrai, n'a jamais servi de lieu de sépulture pour les Athéniens, à l'époque classique. Mais, l'éditeur l'a remarqué, il ne peut s'agir d'un cadavre qui a été régulièrement inhumé: la position des genoux pliés et du bras gauche relevé montre qu'ils s'agit plutôt d'un soldat dont le corps a été recouvert par la terre après qu'il eût dégringolé du haut de l'Acropole. Il est peu vraisemblable que les Perses vainqueurs aient négligé d'inhumer décemment l'un des leurs et aient laissé son cadavre à l'abandon.

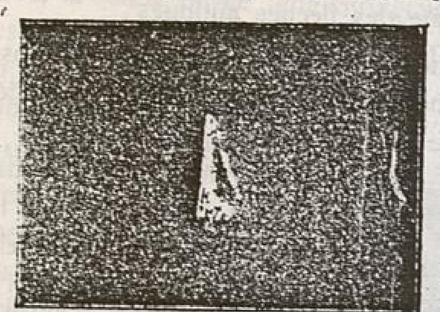


Fig. 3

Dans notre collection, nous conservons la partie supérieure d'une pointe de flèche en bronze du troisième type décrit par O. Bronner, c'est-à-dire, avec une nervure médiane et deux larges ailettes. Nous l'avons nous-même ramassée, en 1903, devant le côté est du Parthénon[2]). Est-il besoin de dire que la provenance *certaine* de cette pointe de flèche, apporte une confirmation à la thèse de M. O. Broneer? (Fig. 2).

---

(1) Her., VIII, 53.

(2) Nous avons acquis, à Athènes, vers le même temps, sept pointes de flèches en forme de cône à trois nervures, ressemblant au type 2 fig. 1, p. 111, première rangée, cinq derniers types, de Broneer, sans pouvoir obtenir le renseignement précis concernant leur provenance. (Fig. 3).

LES DEUX PORTRAITS GRECS A TURBAN
(KTÉSIAS ET BÉROSE?)

L'antiquité nous a laissé deux portraits grecs dont la tête est ceinte du turban. L'un d'eux est conservé au Musée du Capitole. D'après le style, on l'a placé vers 400 avant notre ère, environ. L'excellence du travail a même permis d'affirmer que nous avons peut-être affaire à un original grec[1].

Le second se trouve au Musée de Naples. Le personnage ici représenté, diffère du précédent. D'après le style, l'œuvre est d'un siècle environ postérieure à celle du Capitole[2].

Les identifications proposées pour ces portraits ont paru, à juste titre, si peu vraisemblables à l'auteur de la notice des pl. 153-154 des *Griechische und römische Porträts* qu'il a cru devoir adresser un appel à l'imagination des archéologues en leur demandant d'émettre de nouvelles hypothèses qui permettraient, sinon de résoudre l'énigme posée par les mystérieux personnages, tout au moins de mettre sur la voie d'une solution nouvelle du problème.

---

(1) A la bibliographie donnée par les *Griechische und römische Porträts*, 151/2, *(um die Wende des 5 und 4 Jahrh.)* ajouter BERNOULLI, *Griech. Ikon.*, II, p. 17; STUART JONES, *The Sculptures of Museo Capitolino*, Qxford, 1912, p. 251, n. 80, pl. 59; HEKLER, *Bildniskunst der Griechen und Römer*, pl. 9; MC DOWALL, *Pythagoras, Paper of the Brit. School at Rome*, III, 1906, pp. 306 sqq. STUART JONES pense, à tort, que cette tête n'est pas antérieure au milieu du Ve s., tout en la trouvant *étroitement apparentée* a la tête de Dionysos *Mus. Chiaramonti* 44, qu'il reconnait être *somewhat later*. E. PFUHL, *Die Anfänge der griechischen Bildniskunst*, p. 10 (pl. VII, 3-4), qui admet, sans la discuter, l'identification avec Pythagore, y voit une production du classicisme hellénistique, et même de la fin de la période: l'œuvre daterait du temps des commencements du néo-pythagorisme qui n'est pas antérieur à cette époque. Pfuhl s'est laissé égarer par une thèse, contestable, qui retarde jusqu'à la seconde moitié du IVe siècle les débuts du véritable-portrait, en Grèce. C'est pourquoi il qualifie de classicisme ce qui est classique ou copié du classique, dans le buste du Capitole.

(2) *Griech. u. röm. Portr.*, 153/4 Cf. note précedente et ajouter RUESCH, *Guida del Mus. di Napoli*, 1908, p. 219, n. 882, qui se fait l'écho de l'hypothèse invraisemblable de SOGLIANO, *Museo italiano*, III, 1890, pp. 551 sqq., pl. V, d'après qui il s'agirait d'un athlète, Cf. à ce sujet les observation de BERNOULLI, *o. l.*, II, p. 17, n. 7, qui rejette également (I, p. 166) l'identification avec Hippocrate

A notre connaissance, une seule réponse a été donnée à cet appel. C'est celle de Mc Dowall qui a proposé de reconnaître, dans le portrait du Capitole, celui de Pythagore[1].

Mais cette solution a paru si peu satisfaisante à l'un des maîtres de l'iconographie antique, A. Hekler[2], qu'il s'est même refusé à imprimer le nom du philosophe sous la reproduction qu'il a donnée du portrait, même en faisant suivre ce nom d'un point d'interrogation, comme il s'y résoud pour des identifications moins problématiques.

Hekler ne nous a point donné les raisons de son abstention mais on peut les deviner. La démonstration de Mc Dowall, repose essentiellement sur la ressemblance que présente la tête du Capitole avec celle que les monnaies donnent à Pythagore[3] et sur le fait que le philosophe, au dire d'Elien, portait le costume oriental[4].

Bien avant que parût l'article du savant anglais, une des plus hautes autorités en matière iconographique, Bernoulli avait déjà écrit, à propos des portraits monétaires de Pythagore, qu'ils seraient sans importance, au point de vue de l'iconographie, même s'ils présentaient entre eux plus de ressemblance[5].

Certes, la longueur de la barbe de Pythagore était citée en exemple[6] mais celle de l'hermès du Capitole n'a rien d'exceptionnel, encore qu'elle présente une certaine analogie avec celle du Pythagore du contorniate de Paris[7].

Quant au costume oriental, il ne suppose pas nécessairement le port du turban. Pas un des nombreux orientaux représentés sur

---

(1) Cf. *supra*, n. 1. — Outre le nom de Pythagore et celui d'un athlète (de cet âge!) on a proposé aussi celui d'Archytas de Tarente, hypothèse qu'on cherchera d'autant moins à réfuter qu'elle ne repose sur rien.

(2) *O. l.*, pl. 9. *b*.

(3) BERNOULLI, *o. l.*, I, pp. 75 sqq., *Münztaf.*, I, 21-23, Cf. *Zeitsch. f. Num.*, IX, pp. 121 sqq. Cf HEAD, *Historia numorum*,² p. 606.

(4) AELIAN., *V. H.*, XII, 32.

(5) *O. l.*, I, p. 75; "Ikonisch sind diese Darstellungen ohne Belang, auch wenn sie besser als die Fall ist, mit einander übereinstimmen". C'est pourquoi on s'étonne que PFUHL, *l. l.*, se soit borné à entériner, sans discussion, l'identification de Mc Dowall, parce qu'elle repose sur ces monnaies.

(6) MART., IX, 47.

(7) BERNOULLI, I, *Münzt.* I, 22.

les momuments antiques contemporains du prétendu portrait de Pythagore ne le porte mais bien le " bonnet phrygien " ou la tiare couvrant le haut de la tête et la nuque, comme sur le sarcophage dit d'Alexandre, à Constantinople ou la fameuse mosaïque de Naples[1].



Fig. 4

D'ailleurs, si nous nous reportons au texte d'Elien, nous constatons qu'il n'affirme pas exactement ce qu'on lui fait dire: Πυθαγόρας ὁ Σάμιος λευκὴν ἐσθῆτα ἤσθητο καὶ ἐφόρει στέφανον χρυσοῦν καὶ ἀναξυρίδας. En d'autres termes, le philosophe portait, nous dit-on, un vêtement blanc et des anaxyrides, ainsi qu'une couronne d'or. De ce texte, il résulte à l'évidence que la seule partie du costume de Pythagore qui était orientale était les anaxyrides, sorte de pantalon dont l'usage était inconnu aux Grecs. Mais ce qui ruine surtout l'hypothèse du savant anglais c'est ce qu'Elien écrit concernent la coiffure de Pythagore. S'il avait réellement porté le turban, Elien n'aurait pas manqué de souligner ce détail original, de même qu'il précise en ce qui concerne les anaxyrides. Au contraire, il écrit que la tête du philosophe était ceinte d'une couronne d'or et non du turban. Enfin, les portraits monétaires de Pythagore ne nous montrent nullement sa tête entourée du turban.

(1) Cf. DAREMBERG-SAGLIO-POTTIER, *Dict. des ant. gr. et rom.*, s.v. *tiara*, p. 297.

Enfin, pourquoi donner le turban à Pythagore et le refuser à Hérodote, par exemple, qui avait, plus que le philosophe, séjourné en Orient?

La difficulté de résoudre le problème tient, en partie, à ce que nous sommes fort mal renseignés sur le port du turban dans l'antiquité[1]. Un des textes les plus précis, à cet égard, mais aussi des plus oubliés, est celui d'Hérodote, qui nous apprend qu'à l'époque de la bataille de Salamine, les rois de Chypre enroulaient le turban auteur de leur tête[2]. Il est regrettable que les monnaies de l'île ne nous fassent point connaître les traits des rois indigènes, sauf peut-être ceux d'Evagoras II (351-349): mais il portait la tiare des satrapes perses et non le turban, si les monnaies qu'on lui attribue sont bien de lui[3]. A supposer que les rois antérieurs suivissent bien la mode indiquée par Hérodote, on pourrait, pour l'hermès du Capitole, songer peut-être à Evagoras I, le plus connu des souverains chypriotes dont la date (411-374) est à peu près celle que l'on assigne à la création du portrait en question. Mais il est infiniment peu probable qu'Evagoras I, qui chercha par tous les moyens à se débarrasser du joug de la Perse[4], ait été représenté avec une coiffure orientale.

Quant au buste de Naples, il est plus difficile encore de l'identifier avec l'un des roitelets de Chypre: outre que vers 300, date approximative de l'œuvre, un souverain grec n'aurait plus porté ni le turban ni la barbe, on ne voit pas comment le portrait d'un obscur dynaste de la seconde moitié du III[e] siècle aurait pu intéresser un habitant d'Herculaneum, endroit d'où provient la tête de Naples. (Fig. 4).

---

(1) Cf., en dernier lieu, l'article *Mitra*, *Real-Encycl.*, XV, p. 2219. La *mitra* dionysiaque étudiée par CH. PICARD, *Mélanges Glotz*, II, pp. 707 sqq., à propos du Dionysos μιτρήφορος, n'a rien à voir avec le turban.

(2) HEROD., VII, 90.

(3) BABELON, *Traité des monnaies gr. et rom.*, II, p. 722, pl. 91; HILL, *Catal. Brit. Mus., Cyprus*, p. CIX. Cf. par contre IMHOOF, *Zur gr. u röm. Münzk.*, p. 111 et SIX, *Num. Chr.*, 1877, pp. 81 sq. qui y reconnaissent Pixodarus d'Halicarnasse; HEAD, *Hist. num*²., pp. 744 et 831, y voit un satrape perse.

(4) *Real-Enc.*, VI, pp. 820 sqq., n° 8.

Il faut donc chercher dans une autre voie. Le turban ne permet guère d'orienter les recherches que dans la direction de l'Asie antérieure, ainsi que nous y invitent les textes les plus précis qui le concernent[1].

Parmi les rares saints byzantins dont la tête soit ceinte du turban, il faut citer saint Jacques de Perse[2] et saint Jean Damascène[3]. Il y a là une indication qui ne doit, semble-t-il, pas être négligée. C'est vers la Perse et la Syrie que nous dirigerions d'autant plus volontiers nos recherches que les femmes, à Palmyre, enserrent parfois leur chevelure dans une sorte de turban[4] et que deux écrivains anciens fort connus et vivant à l'époque indiquée par nos deux portraits, ont séjourné longtemps ou même passé leur vie dans ces régions.

Le plus ancien est Ktésias de Cnide, qui vécut, comme médecin, 17 ans, selon Diodore[5], à la cour de Perse, du temps d'Artaxerxès II et fut plus d'une fois chargé de missions diplomatiques. Il était l'auteur des Περσικά, d'une histoire de l'Assyrie, des Mèdes et des Perses, dont il ne nous reste que des fragments, histoire qui devait peut-être à son caractère "romancé" un succès qui valut à son auteur d'être considéré comme l'égal d'Hérodote et même de lui être préféré[6]. Et Eusèbe put affirmer, que sous l'olympiade 95, 1 (400), *Xenophon Grylli filius et Ctesias clari habentur*[7].

---

(1) HEROD., I, 195 Babyloniens ; CLAUDIAN., *de cons. Stil.*. I, 156 Arabes : *hic mitra velatus Arabs.*

(2) *Bullet. de l'Inst. arch. bulgare.* IV, 1926/7, p. 151, pl. VII, 2 église de la Vierge à Peć. XIV^e s. .

(3) MILLET. *Monuments de l'Athos. I Peintures.* pl. 133, 2, 147, 1, 176, 2, 183, 1, etc. Le turban est aussi porté par Barlaam dans les illustrations du roman de Baarlam et Joasaph, qui est censé se passer dans l'Inde. Cf. notamment les miniatures du manuscrit d'Athènes publiées par A. DELATTE. *Les manuscrits à miniatures et ornements des bibliothèques d'Athènes.* Liège, 1926 (*Recueil de trav. de la Fac. de phil.*. XXXIV), pp. 107 sq., pl. 40.

(4) Cf. par ex. *Arch. Anz.*.48, 1933, p. 419, fig. 28.

(5) DIOD., II, 32, 2.

(6) Sur cet écrivain, cf. *Real-Enc.*. XI, 2032 sqq. ; CHRIST. *Gesch. d. griech. Litt.*. I[6], pp. 522 sqq.

(7) P. 118 (HELM). — Charon de Lampsaque avait aussi écrit au V^e s., des Περσικά mais il n'avait pas, que nous sachions, résidé en Perse. C. CHRIST, *Gesch. d. Griech. Litt.*, I[6], p: 453.

Le long séjour de Ktésias à la cour de Perse, le sujet de son ouvrage expliquerait pourquoi on le représenta coiffé du turban. sans compter que, dans un buste, on n'avait guère d'autre moyen de marquer les rapports du personnage représenté, avec l'Orient. Le style du buste du Capitole convient, on ne peut mieux, à l'époque où vécut l'auteur des Περσικά. Et le succès, quoique immérité, de son œuvre, expliquerait comment son buste s'en vint échouer en Italie.

Enfin, notre hypothèse se concilie parfaitement avec le caractère mi-oriental, par la coiffure, mi-grec, par les traits du visage, du personnage représenté.

En 398, Ktésias quitte la cour d'Artaxerxès pour Cnide d'abord, Sparte ensuite[1], vers laquelle, ses origines, ses sympathies le portaient[2].

Si nous avons eu raison de proposer le nom de l'historien pour la tête du Capitole, il faudrait en déduire que le portrait n'est probablement pas l'œuvre d'un sculpteur athénien mais bien plutôt d'un maître dorien du temps.

Rien n'y évoque encore le réalisme des œuvres d'un Silanion. La symétrie de ce visage. sévère le rattacherait plutôt à l'école de Polyclète.

***

Quant au second portrait à turban, nous l'identifierions avec celui de Bérose. Prêtre de Bel, à Babylone, il n'était pas seulement connu comme auteur d'une histoire des Babyloniens, en 3 livres (Βαβυλωνιακά) mais plus encore, peut-être, comme l'intermédiaire entre Babylone et les Grecs pour l'astrologie (Χαλδαϊκά)[3].

Nous savons qu'il vécut sous Alexandre et sous Antiochos I; notre portrait, pour le style, convient parfaitement à cette époque : nous avons dit plus haut qu'on le plaçait, approximativement, vers 300. Qui sait si la tête de Naples ne nous a pas conservé une réplique de la tête d'une statue de Bérose comme celle qu'avaient élevée les

(1) PHOT., *Bibl.*, cod. 72, p. 44 b.

(2) PLUT., *Artax.*, 13.

(3) Sur Bérose, cf. CHRIST, *o. l.*, II⁶, p. 226; *Real Enc.*, III, p. 309, 4; P. SCHNABEL, *Berossos*, 1923; I. BIDEZ, *Mélanges Capart*, pp. 48 sqq.

Athéniens, suivant un texte de Pline dont on a, peut-être à tort, contesté la valeur?[1]

Et si l'on s'intéressait, à Herculaneum, à Bérose, c'est peut-être moins à cause de ses mérites d'historien qu'en raison du rôle joué par lui dans l'astrologie; suivant Vitruve, il aurait même fondé une école d'astrologie à Cos[2]. Même si cette affirmation est erronée[3], il n'en reste pas moins que, pour les Romains du début de l'Empire, il passait pour un des représentants les plus autorisés d'une science particulièrement estimée à cette époque.

Enfin, la présence du turban s'expliquerait d'elle-même autant par la profession[4] que par la nationalité de Bérose: d'après Hérodote, les Babyloniens κομῶντες τὰς κεφαλὰς μίτρῃσι ἀναδέονται[5], et ce, depuis d'époque lointaine de Goudea, ainsi que l'atteste le portrait de ce souverain, trouvé à Tello[6].

Notre double hypothèse a l'avantage d'expliquer par une même cause, un séjour habituel ou prolongé en pays oriental, la coiffure qui donne aux deux têtes du Capitole et de Naples, leur physionomie propre, exceptionnelle dans l'iconographie antique.

Contentons-nous de cette esquisse de démonstration, avec l'espoir que d'autres archéologues, mieux armés que nous, trouverons d'autres arguments encore, en faveur de nos identifications ou nous sauront gré, tout au moins, d'avoir orienté les recherches vers une direction nouvelle.

---

(1) PLIN., VII, 123. Cf. *Real-Enc., l. l.*, p. 306.

(2) VITRUV., IX, 6, 3.

(3) *Real-Enc., l. l.*, p. 306.

(4) Les magiciens en tout cas, portent le turban; cf. pas ex., DELATTE, *Anecdota Atheniensia*, pp. 581-583 figures tirées du *cod. Bononiensis Universitatis*, 3582.

(5) HEROD., I, 195: — On pourrait, à la rigueur, songer aussi à Mégasthénès, un contemporain de Bérose, pour la tête de Naples. Mais il n'y a pas de raison suffisante de croire que cet historien ionien, auteur des Ἰνδικά, bien qu'ayant été chargé de plusieurs ambassades dans l'Inde, ait pour cela porté le turban. Sur cet écrivain, cf. CHRIST, *o. l.*, II[6], p. 227; *Real-Enc.*, XV, pp. 230 sqq.

(6) SPRINGER-WOLTERS, *Die Kunst des Altertums*[12], p. 57, fig. 139; CONTENEAU, *Man. d'arch. or.*, II, pp: 715 sqq. (statues à turban)

A PROPOS D'UNE COUPE D'AREZZO.

Une épigramme latine, relative à un vase de la fabrique d'Arezzo, est peut-être susceptible d'une interprétation différente de celle qu'on lui donne d'habitude :

Arretine calix, mensis decus ante paternis,

Ante manus medici quam bene sanus eras[1].

On traduit comme s'il s'agissait d'un vase qui avait été endommagé par un médicament[2]. Mais aurait-on employé de la vaisselle de luxe, " dont s'enorgueillissait la table paternelle " pour en faire pareil usage? Supposons même qu'on s'y soit décidé dans le désarroi causé par une maladie subite et grave, sans avoir réfléchi au dommage qui pouvait en résulter. Resterait à se demander si les anciens connaissaient des remèdes suffisamment corrosifs pour entamer la magnifique glaçure rouge des vases d'Arezzo, aussi résistante que le verre de nos flacons pharmaceutiques, ou que l'émail de nos faïences.

D'ailleurs, dans l'épigramme, il n'est pas question de médicament mais seulement de " la main du médecin ". Et si le médecin prescrit une potion, ce n'est généralement pas lui qui la verse au malade.

Je ne vois que deux explications possibles. Si l'on prend *medicus* au sens propre, il s'agirait d'un vase brisé par un médecin soit accidentellement soit à dessein : le vase, remarquons-le, est un *calix*, une coupe, et l'on pourrait s'imaginer que le docteur qui l'a brisée était un adversaire de la méthode d'Asklépiadès de Bithynie qui employait la cure par le vin[3]. Cet Asklèpiadès vivait vers 40 avant notre ère[4], à peu près vers l'époque où l'on place le début de la floraison des vases d'Arezzo[5].

---

(1) *Anthol. Lat.*. 259 ; Baehrens, *Poetae Latini minores*, IV, n. 158.

(2) Walters, *History of ancient Pottery*. II, p. 479, n. 5 ; G. A. Chase, *Catalogue of Arretine Potterry in the Museum of fine Arts*, Boston, 1916, p. 3, n. 3.

(3) Plin., *Nat. hist.*, VII, 124.

(4) *RE*, II, pp. 1632 sq, n°. 39.

(5) F. Oswald and T. Pryce, *An introduction to the study of terra sigillata treated from a chronological standpoint*. Londres, 1920, p. 243 ; (sous Auguste) Chase, *o. l.*, p. 24 (40 av. J. C.-60 après).

Mais on pourrait aussi prendre *medicus* au sens figuré et supposer qu'il s'agissait d'un vase qui avait été réparé après avoir été brisé. On le croirait d'autant plus volontiers que le propriétaire de cette coupe d'Arezzo la considérait comme un vase de valeur, " jadis l'ornement de la table de son père ".

Nous conservons nombre de vases antiques qui ont été réparés. Ces vases ne sont pas seulement des vases grecs; nous en connaissons au moins deux d'époque romaine[1]), comme la coupe d'Arezzo, qui ont subi le même " traitement " qu'elle, si on se rallie à notre hypothèse.

SCULPTURES SUR OS DU DÉBUT DU IVe SIÈCLE DE NOTRE ÈRE

Nous possédons, dans notre collection, deux sculptures sur os, de même style et à peu près contemporaines[2]. Acquises au Caire en 1931, elles proviennent toutefois sûrement de Bulgarie. Les renseignements que nous as donnés à ce sujet le marchand, qui avait fait une tournée dans les Balkans,ont reçu une confirmation inattendue. Un triptyque byzantin, aujourd'hui en notre possession, acheté au même marchand, en même temps que nos sculptures, est sûrement de provenance bulgare: a notre grande surprise, nous avons retrouvé, sous de grossiers repeints dus à une main grecque, les inscriptions le prouvaient, toute une série de saints dont les noms étaient écrits en caractères slaves, notamment les deux saintes bulgares Nedélia et Petka. Cette particularité, jointe au style, permet d'affirmer que le triptyque en question appartient à l'école bulgare occidentale de la fin du XVII ou du début du XVIII siècle[3].

Les deux sculptures sur os ont à peu près la même forme: celle d'un trapèze isocèle dont la base la plus longue occupe le haut de la

(1) *CVA*, *Univ. of Michigan*, fasc. 1, pl, 46, 11; LUDOWICI, *Rheinzabern*, II p. 169.

(2) Sans parler du style, l'érosion des figures, les restes de patine jaune qui ont résisté au nettoyage, suffisent à assurer l'authenticiié des pièces.

(3) Même style que le triptyque n° 913 du Musée de Sofia.

composition et dont les extrémités sont pourvues de têtes d'oiseaux percées chacune d'un trou. (Fig. 5)

Chez le plus long de ces deux objets (0.13 sans les têtes; avec les têtes 0.157), celle des deux bases qui borde le bas de la composition est légèrement incurvée. Elle s'interrompt, en son milieu, pour faire place à un cartouche trapézoïdal, aux angles supérieurs arrondis, portant en relief entre deux traits incisés parallètes, l'inscription:

MAXIMINVS[1]

Peu réguliers, les caractères trahissent une main lourde plus habituée à sculpter qu'à écrire.

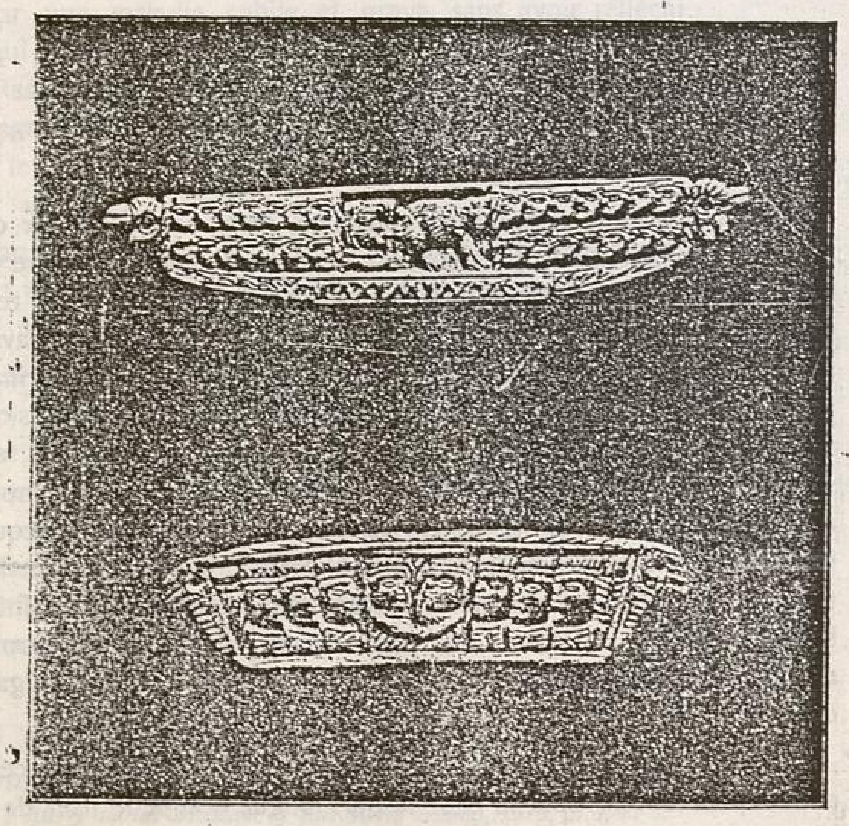


Fig. 5

De chaque côté de ce cartouche part une série de six objets rectangulaires, avec bordure en relief et intérieur orné de stries Comme le montre à l'évidence la scène représentée par-dessus, il

(1) La haste interne de l'A n'a pas été gravée.

faut reconnître ici une grossiere imitation des chancels ajourés des loges du cirque, telles qu'on les voit représentées sur l'arc de triomphe de Constantin à Rome et sur l'obélisque de Thédose, à Constantinople[1].

Comme sur cette base aussi, on constate la présence, en avant des loges, de deux colonnes qui divisent la composition en trois parties, colonnes torses, à en juger d'après les stries obliques dont elles sont incisées.

La partie centrale de cette composition nous montre un animal à fourrure épaisse, à pattes puissantes: on y reconnaît immédiatement un ours, peut-être *l'ursus Syriacus* connu en Thrace, du temps de Pausanias et d'Athénée[2].

Par ses proportions par le soin tout particulier avec lequel il est traité, on sent que c'est lui le personnage principal, au moins autant que son adversaire: nous avons sûrement affaire à un épisode d'une de ces chasses aux fauves dans le cirque. Les Romains en étaient friands et les ours y tenaient une place considérable[3].

Donc notre ours, en arrêt tourne la tête vers le bestiaire qui le suit, et semble attendre le moment favorable pour bondir sur lui.

Ce bestiaire, dont le buste seul est représenté, tient verticalement, à deux mains, devant lui, une arme qu'on prendrait volontiers pour un épieu, encore que le haut ressemble à un faisceau de flèches empennées, émergeant d'un carquois.

Ce bestiaire, détail curieux, est certainement un oriental. Le haut de la tête, la nuque, le cou et semble-t-il aussi, tout le bas du visage disparaissent sous une coiffure, exactement semblable à la tiare que portent les Perses, notamment sur les monnaies de satrapes, dans la fameuse mosaïque de Naples et dans le non moins célèbre sarcophage, dit d'Alexandre, à Constantinople.

De part et d'autre de cette scène centrale, sont représentées de

(1) Cf. en dernier lieu, L'ORANGE, *Stutien zur Geschichte des spätantiken Porträts*, Oslo, 1933, pp. 66 sqq, fig. 172-176, 180; STRONG, *La scultura romana*, II, p. 337, fig. 207.

(2) PAUS., VIII, 17, 3; ATHEN., V, 201 c. Cf. WELLMANN, *RE*, II, p. 2759.

(3) WELLMANN, *l. l.*, p. 2760: *zu Tausenden wurden die Bären in der römischen Kaiserzeit bei den Tierkämpfen verwandt.*

profil, face tournée vers le centre, les têtes imberbes de 28 spectateurs, soit 14 de chaque côté, superposées en deux séries de 7.

Les loges que sont censés occuper ces personnages de marque se terminent par des colonnes torses semblables à celles qui séparent les loges de la scène centrale. Enfin, de chaque entrémité du reiief, émerge une tête de gallinacé, sans. doute un coq, à en iuger d'après les excroissances figurées, d'une manière schématique, au-dessus et au-dessous de l'œil, percé à jour. pour former trou de suspension.

La seconde de nos deux sculptures sur os ne porte pas d'inscription. Elle est d'une longueur un peu moindre que la première (0.10 et 0.13 avec les têtes d'oiseaux) et c'est la base supérieure, la plus longue, du trapèze qui est ici incurvée.

Elle est incisée de traits formant chevrons des deux côtés d'une incision horizontale, chevrons dont l'ouverture est dirigée vers la droite, dans la moitié droite, vers la gauche de l'autre côté. Le sculpteur a, semble-t-il, voulu figurer deux palmes dont les extrémités inférieures se rejoignent au-dessus du milieu de la composition.

Celle-ci, une fois encore, est tripartite. La partie centrale, encadrée de colonnes lisses portant une sorte d'oschitrave, ne peut cependant être considérée comme une loge : il lui manque les chancels ajourés qui bordent, ici aussi, le bas des scènes latérales.

La scène centrale représente, jusqu'à mi-corps, vêtrus du chiton et de l'himation ou de la chlamyde, deux personnages se serrant la main, qui est la droite pour le personnage de gauche, la gauche pour celui de droite, par quoi le sculpteur semble avoir voulu simplifier le geste, pour éviter l'entrecroisement des bras et donner plus de symétrie à l'ensemble.

Mais se bornent-ils à se donner la main où tiennent-ils en même temps la palme placée entre eux ? C'est-ce qu'il est difficile de préciser dans une œuvre aussi sommaire. Ce qui est sûr, c'est que cette palme vient à l'appui de l'hypothèse que nous avons émise concernant l'ornement qui encadre, par en haut, la scène ici eprésentée.

Ces deux personnages centraux,ainsi que les six témoins de la scène, portent sur la tête une sorte de bourrelet d'où émergent comme

des rayons verticaux qui évoquent la couronne radiée que les monnaies donnent aux empereurs et aux Césars.

Ce que est sûr c'est que le sculpteur a visé à faire des portraits des deux personnages principaux ou tout au moins à les différencier: celui de gauche à la tête courte et allongée, celui de droite l'a massive et carrée. Mais le travail trop sommaire et l'usure encore que légère, de la surface de l'os ne permettent pas de discerner si ces personnages sont imberbes où portent une barbe court-taillée. On en peut dire autant des six spectateurs. L'absence de chancels devant la partie centrale de la composition indique qu'ici, comme dans l'objet precédemment décrit, la scène se passe dans un lieu de spectacle, cirque ou hippodrome.

Pour achever la description, la composition se termine par deux ornements, celui de gauche étant sûrement une colonne torse, s'amincissant par en bas et couronnée d'un chapiteau. Sans doute en est-il de même à droite, encore que les spires de la colonne sont interrompues, en leur milieu, par une incision verticale et que le chapiteau soit posé directement sur le fût sans interposition d'une sorte de bourrelet nettement marqué sur l'autre colonne.

Enfin, aux deux extrémités, reparaissent les têtes d'oiseaux percées d'un trou. Têtes tout à fait schématiques d'ailleurs et couvertes d'un quadrillage incisé.

Ces trous indiquent que cet objet, de même que le précédent, devait être suspendu ou attaché. Les trous et la forme même de ces sculptures excluent l'hypothèse de tessères d'entrée au théâtre ou au cirque. Comme l'os a conservé sa courbure, par derrière, horizontale dans le n° 1, à la fois horizontale et verticale dans le n° 2, on ne peut songer à des pièces autrefois appliquées ou incrustées dans un meuble.

Pièces d'armures, sans doute, ou de harnachement, du genre de celles qu'on a trouvées dans le sud de la Russie[1].

Tels les diptyques consulaires, ils ont dû être donnés en cadeau, en souvenir des événements qu'ils commémorent, peut-être pour être portés suspendus au cou.

---

(1) MINNS, *Scythians and Greeks*, pp. 74, 77, 260 et fig. 80.

Quels sont les événements auxquels il est fait ici allusion?

Le Maximinus, désigné par son seul surnom, ne peut guère être qu'un personnage très connu. Ce ne peut être le bestiaire sous l'image duquel l'inscription est gravée, ne fût-ce que parce que ce bestiaire est sûrement un oriental, probablement un Perse.

On songe immédiatement à l'un des deux empereurs de ce nom, d'autant plus que le motif principal sculpté sur le second objet paraît bien représenter la réconciliation ou l'entente de deux empereurs comme dans les groupes bien connu de Saint-Marc de Venise et de la bibliothèque du Vatican, représentant Dioclétien et ses co-régents[1].

Or, le style n'autorise pas à remonter au-delà du début du IV[e] siècle.

Ce style, où les personnages tendent, un peu comme dans le cubisme, à se résoudre en formules géométriques apparaît dans des œuvres comme le buste, bien connu, de porphyre du Caire, où son dernier éditeur a voulu reconnaitre, à tort selon nous, Licinius mais qui se place, en tout cas sûrement, vers 300[2]. Ce style est également celui des sculptures les plus récentes de l'arc de triomphe de Constantin, à Rome[3], et de la partie la plus ancienne de a base de l'obélisque de Théodose: on veut, actuellement, l'enlever à l'époque constantinienne, à laquelle on l'avait d'abord assignée[4], pour la faire descendre jusqu'au règne de Valentinien I, et même de Théodose[5].

Le combat de l'ours contre un Perse s'explique on ne peut mieux

(1) Cf. en dernier lieu R. DELBRUECK, *Ant. Porphyrwerke*, pp. 84 et 91 sqq.: L'ORANGE, *o. l.*, pp. 16-28, 100-104, fig. 32, 34, 41; pp. 16-28, 31, 100-104, fig. 33, 35.

(2) DELBRUECK, *Ant. Porphyrwerke*, pp. 92 sqq. Cf. aussi L'ORANGE, *o. l.*, pp. 22 sqq., fig. 42, 44.

(3) Notamment dans la scène représentant le congiaire et l'empereur sur les rostres. Cf. STRONG, *La scultura romana*, II, p. 337, fig. 207, 208. Pour la date de l'arc, cf. la bibliographie donnée par PIGANIOL, *L'empereur Constantin*. Paris, 1932, p. 238.

(4) WACE, *JHS*, 29, 1909, pp. 66 sqq.

(5) Cf. *infra*.

dans l'hypothèse que le Maximinus en question ne peut être que le deuxième des empereurs de ce nom.

L'année précédant son passage en Europe, Maximinus Daïa avait dû réprimer une révolte des Arméniens, qui furent vaincus[1].

C'est, probablement, quelque noble personnage fait prisonnier dans cette expédition que Maximinus obligea à combattre contre un ours, pour célébrer son triomphe. Il aurait alors imité Constantin qui, après sa victoire de 310, fit exposer aux bêtes des rois francs et alamans[2].

Quant à l'animal, il nous rappelle que le féroce Galère, dont Maximinus était le neveu, donnait à l'occasion, en pâture à ses ours ceux dont il voulait se débarrasser[3].

Et si la chasse à l'ours de l'arc de Constantin est un de ces médaillons empruntés à un monument de l'époque d'Hadrien, il atteste tout au moins, l'intérêt que l'on continuait à porter, au début du IV[e] siècle, aux chasses de ce genre[4].

N'y avait-il même pas, au cirque de Byzance, un ἀρκτοτρόφος, fonction qu'aurait plus tard exercée le propre père de la future impératrice Théodora?[5]

La scène ici figurée dut peut-être avoir pour théâtre l'hippodrome de Byzance, commencé sous Septime-Sévère déjà, mais qui ne fut achevé que sous Constantin[6].

Les chancels des loges évoqnent ceux qui sont représentés sur la partie la plus ancienne de la base de l'obélisque de Théodose, et l'on se souviendra que Byzance est la seule grande ville dont Maximinus s'empara, après un siège de onze jours, avant de venir se faire battre, le 30 Avril 313, dans le *Campus Serenus* de Thrace[7].

---

(1) SYMM., *Epist.*, I, 57. Cf. SEECK, *RE*, IV, p. 1989.

(2) EUTROP., *Brev.*, X, 3.

(3) Cf. MAURICE, *Constantin le Grand*, Paris, (s. d.), p. 5.

(4) STRONG, *o. l.*, p. 221, fig. 133.

(5) PROCOP., *Arc.*, 9 (III, p. 58, 21 Bonn).

(6) MILLER, *RE*, III, p. 1125; OBERHUMMER, *RE*, IV p. 994.

(7) *RE*, IV, p. 1990; XIII. 223 sq.

S'il en était bien ainsi, l'hippodrome de Septime-Sévère bien qu'inachevé[1], aurait cependant été susceptible d'être employé pour des combats comme ceux que représente notre sculpture.

Il n'est pas jusqu'aux têtes de coqs qui en ornent les extrémités qui ne puissent s'expliquer dans notre hypothèse.

Ces têtes ne constituent probablement pas un simple ornement. Elles ont une valeur symbolique. Le coq, on le sait, représente le soleil dont il salue le lever, le soleil auquel il était d'ailleurs consacré[2] et dont le culte, á cette époque, était si puissant que le dernier biographe de Constantin a pu émettre l'hypothèse que cet empereur, converti *in extremis*, " persistait peut-être à considérer secrètement [cet astre] comme le vrai dieu[3] ". Et s'il en était ainsi de l'empereur devenu chrétien, que dire du persécuteur Maximinus?

Mais, en même temps, ce symbole ne pouvait offusquer les chrétiens. Ils l'avaient eux-mêmes adopté, à cette époque. Qu'on se souvienne des mosaïques de l'antique église d'Aquilée, construite entre 312 et 319: deux fois l'on y assiste au combat du coq, personnification de la religion nouvelle ou de l'orthodoxie, contre la tortue, figure du paganisme ou de l'hérésie[4].

Nos sculptures, tirées d'une matière moins précieuse que l'ivoire, ont dû être fabriqués en quantité plus grande que ces diptyques consulaires dont nous les avons rapprochés; s'ils ont été comme eux, offerts en cadeaux, on peut supposer, d'après le nom et la scène que portent le premier, qu'ils avaient été donnés aux soldats par Maximinus, qui aimait, les textes nous le disent, à les combler de présents[5]. L'occasion aurait été le seul succès remporté pendant la campagne d'Europe, la prise de Byzance et les jeux qui auraient été donnés à cette occasion.

---

(1) MILLER, *RE*, III, p. 1125; OBERHUMMER, *ibid.*, IV, p. 994.

(2) CUMONT, *Textes et monum. relat. au culte de Mithra*, I, p. 210 et 212, n. 6; DELATTE, *Mus. belge*, 1914, p. 31.

(3) PIGANIOL, *L'empereur Constantin*, Paris, 1932 p. 215.

(4) Sur la lutte du coq et de la tortue et leur valeur symbolique, cf. R. EGGER, *Ein altchritliches Kampfsymbol, Fünf und zwanzig Jahre römisch-germanische Kommission*, Berlin, 1929, pp. 97 spp.

(5) LACT., *de mort, pers.*, 37, 5; EUS., *H. E.*, VIII, 14, 11.

Et si le sculpteur a orné les extrémités de l'objet d'un symbole susceptible de deux interprétations, c'est qu'à ce moment, Maximin avait de bonnes raisons de ménager les chretiens. Son armée en comptait bon nombre, tant parmi les officiers que les soldats, et Licinius son adversaire, en politique réaliste,se posait en protecteur des chrétiens pour chercher à les rallier à sa cause[1].

Ce coq fait penser à celui qui sert d'ornement aux girouettes de nos églises. De ce coq, on a proposé diverses interprétations dont la fantaisie ne mérite pas de nous arrêter[2].

Pour nous, si l'on a planté sur la girouette, bien connue des anciens[3], cet animal symbolique, c'est qu'à cette place élevée, mieux que partout ailleurs, il chantait le triomphe de l'église sur l'erreur du paganisme ou de l'hérésie.

Quant à la seconde de nos sculptures, par sa forme, par son style, elle est, à n'en pas douter, à peu près, contemporaine de la première. Nous disons : à peu près car la stylisation plus prononcée pourrait déceler une époque plus basse plutôt qu'un sculpteur moins habile.

Et c'est la raison qui nous empêche sans préjudice d'autres difficultés, de reconnaître ici dans la scène principale qui évoque, à la fois, la *Concordia militium* et la *Concordia Augustorum* des monnaies du temps[4], une scène commémorant l'entrevue de Licinius et de Maximien, en 311, lorsque leurs armées étaient en présence sur les deux rives du Bosphore, et qu'un accord, au moins provisoire, intervint[5].

Dans cette hypothèse, impossible d'expliquer les palmes qui séparent les deux personnages principaux et qui couronnent la composition, impossible aussi de rendre compte de la présence de ces six têtes couronnées qui assistent à l'entrevue.

---

(1) Cf. PIGANOL, *o. l.*, p. 131 ; H. GRÉGOIRE, *Byzantion*, V, p. 789.

(2) Cf. *Dict. d'arch. chrét. et de Lit.*, III, 2901 sqq.

(3) L'exemple le plus connu est celui du Triton - girouette de la Tour des Vents à Athènes.

(4) Cf. aussi les deux mains qui se serrent, sur les monnaies d'Alexandrie, accompagnées de la légende OMONOIA. *Cat. Brit. Mus., Alexandria*, pp. 154, 169.

(5) LACT., *de mort, pars.*, 36, 2 ; 43, 2 ; EUSEB., *H. E.* IX, 10, 2.

Je proposerais plutôt de reconnaître ici la *Concordia*, l'accord de Constantin et de Licinius, qui conduisirent, ensemble, en 315, dans la région du Danube d'où proviennent nos sculptures, des guerres contre les Sarmates, les Goths et les Carpes. A eu juger d'après les monnaies, le personnage à tête mince serait Constantin, l'empereur à la tête carrée et massive, Licinius. Peut-être avons nous ici un souvenir du 1 Mars 317 date où les deux Augustes nommèrent Césars leurs fils crispus, Constantin et Licinianus. Cette hypothèse expliquerait au moins la présence de trois des têtes couronnées dans les loges. Comme il n'y a jamais eu plus de trois Césars et de deux Augustes légitimes à la fois, les trois autres personnages couronnés ne peuvent être que des membres de la famille impériale, à qui les sculpteur par raison de symétrie aurait donné la couronne radiée. On pourrait peuser aux trois frères de Constantin, ou, tout au moins, à l'un d'entre eux, à Delmatius et à ses deux fils Delmatius et Hannibalianus, à qui l'empereur laissera par testament plusieurs provinces.

Quant aux têtes d'oiseaux où sont ici percés les troys de suspension, on peut affirmer qu'elle ne représentent pas des coqs: malgré leur forte stylisation, on y peut reconnaître des aigles, symbole à la fois solaire et impérial, devenu banal et que les chrétiens eux-mêmes adoptèrent pour représenter l'un de leurs évangélistes.

En tout cas par la composition, le cadre qui les comprime, leur division tripartite, leur style sec et conventionnel, la perspective, nos sculptures se rapprochent de la partie la plus ancienne de la base de l'obélisque de Théodose, à Constantinople, tout en évoquant aussi certaines scènes des parties les plus récentes des bas-reliefs de l'arc de Gonstantin, á Rome, et plus précisément, celle qui à pour estrade les *Rostra* entourés de chancels ajourés[1].

Or, de nos deux sculptures, l'une peut être datée avec certitude, si non de 313, du moins de 305 au plus tôt à 313 au plus tard, dates respectives de la promotion de Daïa à la dignité de César et

(1) Cf. *JHS*, 1909, 29, pp. 66 sqq., où Wace a distingué les deux parties de la base et rapproché (p. 69) la plus ancienne des reliefs de l'arc de Constantin et de celui de Galère (Salonique).

de sa mort: l'autre est sûrement contemporain et probablement de 317.

Dès lors, il nous paraît difficile de nous rallier aux conclusions récentes de L'Orange[1] et de Delbrueck[2] qui placeraient, le premier sous Théodose, le second sous Valentinien I les bas-reliefs les plus anciens de la base de l'obélisquc de l'hippodrome de Constantinople[3].

On s'explique mal comment une œuvre appartenant à une époque aussi voisine de Théodose aurait pu être remployée sous le règne de cet empereur. Et la différence de style entre la partie inférieure sûrement théodosienne de cette base et la partie supérieure est telle qu'il faut, semble-t-il, les considérer comme ayant été exécutées à deux époques assez éloignées l'une de l'autre.

Sur les reliefs contemporains de Théodose, on ne trouve point cette horreur du vide, ces personnages trop symétriques, entassés les uns sur les autres, exécutés avec cette lourdeur conventionnelle qui caractérise aussi nos sculptures[4].

Et s'il y a une différence entre les sculptures les plus récentes de l'arc de Constantin et les plus anciennes de la base de l'obélisque, c'est que ces dernières seraient de la fin et non plus du début du règne de cet empereur et qu'elles sont dues à un sculpteur différent, ressortissant à l'art oriental[5].

---

(1) *Zum Alter der Postamentreliefs des Theodosius-Obelisken in Konstantinopel. Forhandlinger Norske Videnskabers selskab.* V, 1932, pp. 57 sqq.; *Studien zur Geschichte des spätantiken Porträts*, pp. 66 sqq.

(2) *Spätantike Kaiserporträts*, Berlin, 1933, pp. 185 sqq.

(3) Von Gerkan. *ap* L'Orange, *Studien*, p. 67, n. 1, qui n'a pas vu la base, me paraît avoir montré seulement qu'elle est antérieure à l'époque où l'obélisque fut érigé et qu'il n'est pas sûr qu'elle était destinée à supporter cet obélisque à la différence de celui-ci. elle est de plan carré, encore que l'écart entre le plan de l'obélisque et le carré soit minime.

(4) Le *missorium* de Théodose, à Madrid, qu'on a rapproché des sculptures de l'obélisque (L'Orange. p. 67, cf. fig. 171) ne présente, avec elles, qu'une ressemblance superficielle, due surtout à la ressemblance du sujet traité.

(5) L'Orange, *Studien*. p. 46, place entre 312-316 les sculptures les plus récentes de l'arc de Constantin et a soin de distinguer, dans tout son ouvrage, entre l'art d'Occident et celui d'Orient.

Je n'ignore pas que de graves difficultés surgissent lorsqu'on veut mettre un nom sur les personnages impériaux dont le nombre n'est d'ailleurs pas le même dans le loges représentées sur les quatre faces de la base[1]. Mais les difficultés sont à peu près égales, qu'elle que soit la solution adoptée.

Sans vouloir traiter encore une fois au fond, une questiòn, trop débattue déjà et en attendant le mémoire que Mlle Bruns, d'après Delbrueck, consacrera, si elle ne l'a déjà fait, aux reliefs de la base, constatons seulement que trois des quatre princes figurés sur les faces ouest et sud se retrouvent, avec la même différence de taille et dans le même ordre sur un médaillon, de peu postérieur à 326, que possède le Cabinet des médailles de Paris: Constantin y trône entre les deux Césars, ici debout, Constantin et Constantius[2].

Le quatrième prince qui manque sur les monnaies parce qu'il n'était pas César au moment où elle fut frappée, serait Constant: il ne reçut ce titre que plusieurs années après ses frères, le 25 Décembre 333.

S'il en est bien ainsi, la partie, que nous persistons à croire constantinienne[3], de la base de l'obélisque serait donc antérieure à

---

(1) DELBRUECK, *l. l.*, propose les noms de Valentinien I, de Valens, Valentinien II et Valentinianus Galates.

(2) MAURICE, *Num. Const.*, II, p. 499; PIGANIOL, *L'empereur Constantin*, pl. VI et p. 240.

(3) WACE and TRAQUAIR, *JHS*, 30, 1909, pp. 60 sqq. Cf. *Preliminary report upon the excavations carried out in the hippodrome of Constantinople in 1927, on behalf of the British Academy.* Londres, 1928, pp. 14 sqq. DELBRUECK, *o.l.*, p. 192, rejette l'hypothèse de Wace qui serait exclue par *die normalen Juwelendiademe des zweiten und dritten Augustus*, diadème introduit par Constantin en 325/6 (Cf. *ibid.*, p. 58). En conséquence, Delbrueck pense que la partie la plus ancienne de la base ne peut dater que d'une époque où il y avait trois *Augusti* à la fois soit 337-340. (Constantin II, Constantius II, Constans), 367-375. (Valentinien I, Valens, Gratianus), 383-390. (Valentinien II, Theodosius I, Arcadius). Mais rien ne nous dit que, sous Constantin, les Césars n'aient pas été autorisés à porter cette couronne Au contraire, on remarque que le César Crispus, a, sous le règne de son père, la tête ceinte de la couronne radiée des empereurs (cf par exemple la monnaie reproduite par DELBRUECK, *o.l.*, pl. 5, 2). Il est inexact d'affirmer (DELBRUECK, p 189) que le prince du côté sud est le seul de la famille impériale à porter la toge et qu'il devait être consul à ce moment: la fibule, très visible sur l'épaule droite (cf. *ib.*, pl. 87, 2) atteste qu'il n'en est rien. Mais fût-ce vrai que rien ne nous empêcherait de reconnaître dans ce

l'extrême fin de 333 et postérieure au 30 avril 332, date où furent vaincus les Goths représentés faisant leur soumission dans le registre inférieur de la face ouest.

Qui sait si cette base, constantinienne n'a pas trouvé son emploi dans un monument postérieur, parce qu'elle n'avait pas été utilisée, ayant peut-être attendu vainement un de ces obélisques dont Constantin se préparait à orner sa nouvelle capitale lorsque la mort le surprit ?

Les épigrammes, grecque et latine, gravées sur le socle théodosien de l'obélisque, sont d'accord pour nous dire que cet obélisque gisait depuis *longtemps* sur le sol lorsque le préfet Proclus parvint, après 32 jours d'efforts à le dresser à la place qu'il occupe encore aujourd'hui[1].

D'autre part, nous savons par Codinus et l'Anonyme qu'il transcrit, que l'obélisque provenait d'Athènes[2]. C'est pure hypothèse de supposer comme on l'a fait jusqu'ici que le monolithe est le même que celui dont il est fait mention dans une lettre de Julien qui réclame aux Alexandrins un obélisque gisant chez eux sur le sol, et que Constans n'avait pas réussi, peut-être faute de temps, à faire transporter à Constantinople[3].

Quelle invraisemblance de conjecturer, comme on l'a fait, depuis Zoega, que le vaisseau qui l'amenait à Constantinople, avait été jeté du côté d'Athènes par la tempête[4] ! D'abord la route la plus

---

personnage Constans qui porterait ici la toge. d'ailleurs différente de celle très ornée. des consuls des diptyques. parce qu'il ne fut promu César que plus tard. le 25 décembre 333.

(1) *CIG*. 8612 ; *CIL*. III. 737 ; DESSAU. *ILS*. 821 ; KAIBEL. *Ep. Gr*. 1061 ; BUECHELER. *CEL*. 286 : κίονα τετράπλευρον. ἀεὶ χθονὶ κείμενον ἄχθος : *difficilis quondam dominis parere serenis iussus.*

(2) ANON. *de Antiq. Const.*, II. 75 (BANDURI) : ἦκε δὲ ἀπὸ Ἀθηνῶν παρὰ Πρόκλου πατρικίου CODIN.. p. 48 (BONN).

(3) JULIAN.. *Ep*. 59 (BIDEZ).

(4) L'hypothèse de ZOEGA. dans son *De obeliscis*. a été *admise* notamment par GORRINGE. *Egyptian obelisks*. Londres, 1885, p. 124 et par WRIGHT, dans son édition des lettres de Julien, (p. 152, n. 1) alor que Mommsen dans son commentaire de *CIL*, III, 737 se borne à identifier, avec doute, l'obélisque d'Athènes avec celui de Julien *(ut videatur effectum habuisse [Proclus] quod Alexandrinis praecepit Julianus).*

directe d'Alexandrie à Constantinople, route que devait suivre un vaisseau aussi lourdement chargé, passe loin du Pirée, et il ne manque pas de ports bien abrités, sur la côté d'Asie et dans les Cyclades, où peuvent, aujourd'hui encore, s'abriter les vaisseaux du plus fort tonnage, en cas de tempête ou d'avarie.

D'ailleurs, nos sources auraient-elles dit que l'obélisque venait d'Athènes s'il n'y avait trouvé qu'un asile provisoire?[1]

La présence d'un obélisque n'a rien d'inexplicable, à Athènes. Dans le troisième volume de notre histoire d'Athènes sous l'Empire[2], nous avons montré tout ce qu'avait fait pour sa cité préférée, l'empereur Hadrien, empereur qui avait visité l'Egypte et avait tenu à rappeler, dans les monuments de sa villa de Tibur, son admiration pour un pays qui avait frappé d'autant plus vivement son imigination qu'il y avait perdu son favori Antinoüs qui s'était sacrifié ou avait été sacrifié pour lui.

Hadrien avait fait d'Athènes, en y créant un Panthéon, le Panhellènion, une sorte de succursale de Rome et l'avait ornée d'une foule de monuments encore en partie debout. Dans l'Olympiceon, achevé, grâce à sa générosité, on voyait deux de ses statues "en pierre égyptienne", comme le dit Pausanias[3]. On peut, sans la moindre invraisemblance, admettre que l'empereur avait fait transporter un obélisque dans sa cité de prédilection, et que c'est cet obélisque qui trouva sa place defénitive dans l'hippodrome de Constantinople.

Constantin, on le sait, dépouilla plusieurs cités grecques de leurs œuvres d'art pour en orner sa nouvelle capitale.

Athènes ne fut pas épargnée[4]. Mais, sans doute, des difficultés d'ordre matériel empêchèrent-elles l'empereur d'ériger, sur la base déjà préparée, l'obélisque athénien: n'est-ce pas son fils Constantius seulement qui réussira à dresser, dans le *Circus Maximus*, à

---

(1) Ce qui prouve que l'anonyme et Codinus étaient bien informés, c'est qu'ils ont exactement noté que l'obélisque de Théodose est incomplet: il y manque la partie inférieure, qui se trouvait ou stratègeion, nous assurent ces sources.

(2) *Athènes sous Hadrien*, le Caire, 1934.

(3) 1, 18, 6.

(4) WACHSMUTH, *Die Stadt Athen im Altertum*, p. 714, n. 3; HERTZBERG, *Gesch. Griechenlands unter der Römer*, III, p. 260, 269.

Rome, en 357, le plus haut des obélisques romains, que son père destinait, l'épigramme le dit, à Constantinople, et avait fait déjà amener de Thèbes à Alexandrie, en attendant les moyens de réaliser ce qu'Aguste lui-même, n'avait osé entreprendre, et de le transporter à Rome[1].

C'est peut-être pour recevoir cet obélisque qu'avait été préparée la base remployée par Théodose.

Ce qui est sûr, c'est que la base, qui est exactement carrée, n'était pas destinée à supporter l'obélisque qui, lui, n'est pas de même forme[2].

De toutes façons, l'utilisation d'une base plus ancienne comme support de l'obélisque de Théodose s'explique mieux si cette base était d'époque constantinienne.

Pour l'obélisque réclamé par Julien, aux Alexandrins, vers la fin de 361[3], ou en 363[4], la brièveté du règne de cet empereur expliquerait pourquoi il n'aurait pas été donné suite à la demande impériale. Il faut peut-être l'identifter avec celui qui se dresse aujourd'hui à Londres. Cet obélisque, on le sait, est une des deux "aiguilles de Cléopâtre" qui ornaient le Césareum et plus exactement, celle qui gisait sur le sol d'Alexandrie, au moyen âge déjà[6]. On supposerait volontiers qu'il avait été renversé lors du pillage du Césareum, en 357, par les soldats de Constantius[7], qui aurait alors selon nous, comme le dit la lettre de Julien, eu l'idée de le transporter à Constantinople[8].

---

(1) AMM. MARCEL., XVII, 4, 12; *CIL*, VI, 1163; BUECHELER, *CEL*, 279.

(2) GERKAN, ap. L'ORANGE, p. 66, n. 1.

(3) *CIL*, VI, 1163.

(4) Date proposée par BIDEZ, *Ep.* 59.

(5) D'après l'édition de WRIGHT, III, p. 152.

(6) BRECCIA, *Alexandrea ad Aegyptum* [2] p. 93.

(7) BRECCIA, p. 94.

(8) GORRINGE, p. 108 suppose qu'il aurait été renversé par le tremblement de terre du 8 août 1303 Petrus Bellonius, qui visita Alexandrie au milieu du XVIe s., l'avait déjà vu dans cet état, tandis que le géographe arabe Edrizi (écrivant avant 1154) et le médecin Ab-el-Latif (1201) mentionnent les deux obélisques sans remarquer que l'un deux était tombé, comme le note le second à propos d'un des monuments similaires d'Héliopolis. Mais les descriptions de ces deux écrivains ne sont pas tellement explicites pour qu'on puisse supposer qu'ils ont toujours noté exactement tous les détails intéressants.

AMULETTES D'EGYPTE

J'ai acquis au Caire, en 1932, une amulette de plomb, rentrant dans une série connue mais apportant quelques détails nouveaux. Sa

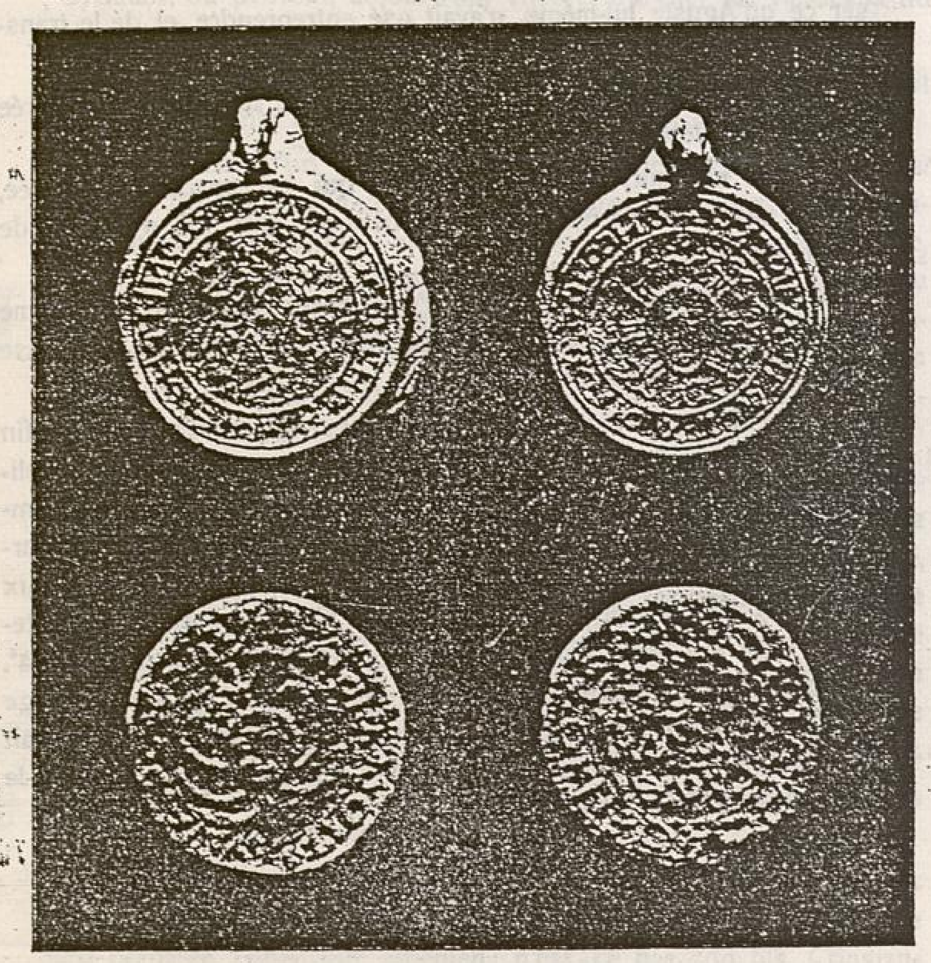


Fig. 6

conservation, à peu près parfaite, lui donne une valeur toute particulière[1]. (Fig. 6, en haut).

(¹) Pour les amulettes, cf. les articles *Abraxas*, *Amulettes*, *Anges*, du CABROL, *Dict. d'arch. chrét.*, I, 127 sqq., 1784 sqq., 2131 sqq., et la bibliographie donnée par K. PREISENDANZ, *Festschrift Poland*, 1932, pp. 102 sqq., G. KROPATSCHEK, *De Amuletorum apud antiquos usu*, Diss. Greiswald, 1907; I. GEFFCKEN, *Charisteria f. Al. Rzack*, 1930, pp. 36 sqq.; O. KERN, *Die Religion der Griechen*, II. 1935, pp. 269 sq.; CAMPBELL BONNER, *A Supplement to Preisendanz's Amuletum ineditum Byzantinisch - Neugriechische Jahrbücher*, IX, 1932, pp. 375 sqq; H. SEYRIG, *Invidiae medici*, *Berytos*, I, 1934, pp. 1 sqq.

Elle mesure 0.042 de diamètre sur 0.002 d'epaisseur. La première de ces dimensions est à peu près exactement la même que celle d'une amulette de même genre mais en bronze que Sorlin Dorigny son éditeur, qualifiait à juste titre, sans doute, d'alexandrine, bien qu'elle eût été découverte, disait-on, à Cyzique[1]. Mais, pour ses dimensions, son style, les sujets qui y sont représentés, notre amulette se rapproche plus encore d'une de celles de la collection Schlumberger, acquise à Constantinople[2].

Disons d'abord que Schlumberger à probablement qualifié à tort, de revers ce qui est probablement le droit. Dans sa médaille, comme dans la nôtre, l'anneau de suspension n'est pas placé exactement dans l'axe du disque de métal mais surplombe l'une des faces, la principale sans nul doute; ainsi on ne risquait pas d'irriter la peau ou d'élimer le vêtement lorsqu'on portait l'amulette suspendue au cou. C'est probablement une amulette de ce genre et non un simple pendentif que portent, attaché à un collier, certaines statues féminines d'Egypte byzantine[3].

Donc, le droit de notre amulette présente, au milieu, une figure grossièrement traitée, vue de face, aux yeux large ouverts et complètement chauve. Elle répond, par là, exactement aux prescriptions d'une recette magique conservée dans le *Paris. Gr.* 2419 f° 249, recette contre les maux de tête et les maux d'yeux. Elle recommande de graver sur du porphyre κρανίον ἀνθρώπου μεγάλους ὀφθαλμοὺς ἔχον καὶ φαλακρὸν τριχῶν ἤγουν ψιλόν[4]. Un dessin de cette tête accompagne sa description, dessin qui rappelle de fort près la partie centrale de notre médaille.

---

(1) *REG*, 1891, pp. 287 sqq. Cf. 1892, pp. 73 et 93 (article reproduit sans changement dans *Mélanges d'arch. byz.*, pp. 117 sqq. où Schlumberger croit ces amulettes en majeure partie "d'origine asiatique ou syrienne, plutôt qu'uniquement alexandrine".

(2) *REG*, 1892, p. 79, n° 5. les dimensions ne sont pas données mais nous supposons que la figure est à la grandeur de l'original.

(3) Breccia, *Le Musée gréco-romain*, 1925-1931, p. 100, pl. XL, 146; p. 61, pl. XXXIX, 137.

(4) A. Delatte, *Anecdota Atheniensia*, I, p. 483, 1.

Mais la tête de notre amulette diffère de celle, plus simple, de la recette magique. Il en émerge sept faisceaux de trois rayons terminés par des têtes d'animaux, chevaux ou âne. Le nombre sept est à noter : c'est celui qui revient les plus fréquemment dans la mystique symbolique des Écritures[1] et dans la magie et c'est cette fréquence même qui rend ici toute hypothèse fragile. On pourrait surtout rapprocher notre tête du passage d'un exorcisme, attribué à saint Athanase d'Alexandrie, et où l'on observe, comme, semble-t-il, sur notre amulette, des infiltration magiques et gnostiques : ὁρκίζω ὑμᾶς, δαιμόνια πονηρά, εἰς τὰ βέλη τὰ πεπυρωμένα εἰς τὸν στέφανον τοῦ Ἡλίου καὶ ἔκλαμπρον τοῦ φωτὸς καὶ εἰς τοὺς ἑπτὰ ἀγγέλους βαστάζοντας τὸ ἅρμα τοῦ Ἡλίου[2]. " Je vous adjure, esprits malfaisants, au nom des traits enflammés, au nom de la couronne du Soleil, de l'éclat de la lumière et au nom des sept anges qui portent le char du soleil. " Si j'ai fait ce rapprochement, c'est que la tête du droit de notre amulette, avec les rayons qui en émergent, évoque dès l'abord, la face radiée d'Hélios, qui apparaît de profil, en face du buste de Séléné, sur une médaille de la même série[3].

Et l'on voudra bien se souvenir ici de l'évangile de saint Jean (VIII, 12), qui qualifie le Christ de " lumière du monde " et surtout du sermon de Léon VI sur l'Annonciation[4], qui identifie le Sauveur avec le Soleil ; ὁ τῶν παρθενικῶν λαγόνων ἀνατείλας Ἥλιος Χριστὸς ὁ Θεός. Identification, ajoutons-le, qui avait facilité la substitution de la fête de la Nativité, à celle de la naissance du Soleil, le 25 décembre[5].

Quant aux têtes d'animaux qui terminent les rayons, si on les

---

(1) Ed. Kalt, *Biblisches Reallexikon*, II, pp. 1031 sq. D'autres exemples pourraient être tirés encore de l'Apocalypse. Cf. aussi F. Dölger, *Antike und Christentum*, IV, 3, pp. 176 sq., qui, à propos de la symbolique du nombre 8, montre d'après Clem. Alex., *Strom.*, VI, 16, p. 140 (Stählin) que le chiffre 7 désigne le Christ comme fils de Dieu.

(2) *Anecd. Athen.*, I, p. 233, 7.

(3) *REG*, 1891, p. 287.

(4) *P. G*, CVII, col. 12 (Migne).

(5) Cumont, *C. r. Acad.*, 1911, pp. 292 sqq. Holl, *Gesam. Aufsätze zur Chirchengeschichte*, II, pp. 145 sqq.

compare à celle du cheval figuré au revers de la même amulette, on les trouvera quelque peu différentes et on sera tenté de les identifier avec celle de l'âne.

Influence, sans doute, du culte de Seth, qui avait au IVe siècle encore, en Egypte[1], des sectateurs que l'on confondait aisément avec les chrétiens, ainsi qu'en témoigne, semble-t-il, le fameux graffite d'Alexaménos, au Palatin[2].

Nous le croirions d'autant plus volontiers que la tête de notre amulette porte, sur le sommet du crâne, un symbole qui pourrait bien tenir à la fois du christianisme et du séthianisme.

Il s'agit d'une sorte de croix dont les bras se relèvent et sont terminés ainsi que le haut par un cercle. Combinaison, semble-t-il, de la croix, de l'Y fréquent sur les documents des Séthiens et qui reparaît sur une bague magique[3], et peut-être aussi du signe "ankh", du signe de vie égyptien.

Il semble que ce soit le même signe, mal interprété, comme d'autres détails, par le dessinateur, qui reparaît sur l'amulette déjà citée de la collection Schlumberger[4]. En tout cas, nous retrouvons ici les mêmes têtes d'animaux au nombre de six seulement, terminant des espèces de bras, qui paraissent émerger de la tête.

Voici comment Schlumberger, qui a renoncé à l'interpréter, de même que l'inscription de l'exergue, la décrit: " Personnage réduit à une gigantesque tête de face posée sur un cheval passant. La tête est coiffée d'un bonnet à triple aigrette orné de deux têtes d'animaux. Sur les côtés, deux bras également terminés par des têtes d'animaux. Dans le champ un E lunaire et d'autres caractères[5]".

---

(1) *RE*, IIA, p. 1921.

(2) *Dict. d'arch. chr. et d. lit.*, III, pp. 3051 sqq.

(3) ROSCHER. *Lex. d. gr. u. röm. Myth.* s. v. *Set.* pp. 774; *RE*, IIA, pp. 1920 sq.; *REG*, 1892, p. 85.

(4) *REG*, 1892, p. 79. A moins qu'il ne s'agisse de τὸ τριχόρυφον ὄρνεον τὸ ἐπισκιάζον τὰ ἐπὶ τὴν κορυφὴν τοῦ Κυρίου ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ (*Anecd. Athen.*, I, 231, 8), dont notre amulette pourrait aussi avoir conservé un souvenir schématique.

(5) *REG*, 1892, p, 79.

En réalité, comme le dessin permet de s'en rendre compte, il s'agit d'une tête d'où émergent six bras terminés par des têtes de quadrupèdes, tête surmontée du symbole en forme de croix aux bras relevés et où les prétendues lettres et le cheval passant sont sûrement des détails mal interprétés, des têtes d'animaux.

Quant à la légende, elle n'est pas tout à fait inintelligible comme l'écrit l'éditeur. On y reconnaît, tout au moins, très clairement, la formule φῦγε, très fréquente sur les amulettes[1].

Sur la notre, la légende encadrée des deux filets circulaires, pour être d'une lecture certaine, n'est qu'en partie facile à interpréter :

ΑΓΙΟΑΓΙΟΑΓΙΟCΚCC † ΑΗCΟΡΟ ΕΑΟΥΙΟ

La première partie de cette inscription est la formule, bien connue, ἅγιο(ς), ἅγιο(ς), ἅγιος Κ(ύριο)ς Σ(αβαώθ) en partie abrégée. Elle est trop fréquente sur les monuments similaires pour y insister[2].

Dans la seconde partie, je propose, avec circonspection, de lire ἀ(εὶ) εἰσορῶ(ν) ἐαὼ υἱό(ς).

Dans l'exorcisme déjà cité, attribué à saint Athanase, il est dit : ἄγγελε Ἐαέ, Ἰεῶ, Σαβαώθ ἐγκλείσατε Κανικοταήλ et, un peu plus loin, ἄκουσον, Ἰαέ, Ἰεῶ, υἱοὶ Σαβαώθ[3]. Il semble bien que, sur notre amulette, il s'agisse aussi d'un fils de Sabaoth et que son visage doit mettre en fuite ses ennemis, ainsi qu'il est dit à propos de Dieu, au revers d'une lame de plomb qui devait avoir la même destination : καὶ διασκορπισθήτωσαν οἱ ἐχθροὶ αὐτοῦ καὶ φυγέτωσαν ἀπὸ προσώπου αὐτοῦ[4].

Il s'agirait donc bien, comme nous l'avons dit, de la face du Christ assimilé au soleil, face que l'on avait prise à tort pour celle de la Méduse.

L'erreur est d'autant plus excusable que la tête de Méduse a

(1) Au revers on lit très distinctement σε κυνη(γεῖ) précédé, semble-t-il, du nom de Salomon, équivalent de la formule, fréquente, sur ces amulettes, σε διώκει.

(2) Mieux vaut remarquer ici que le nom de la Sainte-Trinité est, lui aussi répété trois fois, au début d'un papyrus magique chrétien du IVe siècle (PREISENDANZ, *Papyri Graecae magicae*, I, Berlin, 1931, p. 205, 16, l. 1).

(3) *Anecd. Athen.*, I, p. 237, 19, 23.

(4) *Dict. d'arch. chr. et de lit.*, I, p. 1802 (bibliographie à la n. 9)

peut-être servi de point de départ pour ces figures apotropaïques de Dieu-Soleil, et qu'il existe toute une série de monuments analogues où l'identification de la Méduse est garantie par sa ressemblance avec les modèles antiques ou par des inscriptions comme celle qui fait allusion à Persée[1]. Mais il manque ici ces bras en forme de serpents rayonnant autour de la tête que l'art antique n'a point connus et qu'ignore l'art alexandrin[2].

Heureusement, le revers de notre amulette est d'une interprétation plus aisée.

Au milieu, un cavalier galopant vers la droite perce de sa lance, terminée par une croix, une diablesse étendue sur le sol et dont le corps se termine par une sorte de gaîne, ou plutôt en forme de reptile, à en juger d'après les représentations similaires de la goule. Au-dessus de la tête du cheval, une étoile à huit branches, que l'on retrouve, à la même place sur certaines représentations de saint Théodore perçant le dragon[3]. Devant la tête de l'animal, on déchiffre un C superposé à un O.

Si l'on avait le moindre doute sur l'identification des personnages, la légende qui encadre la composition, entre deux filets circulaires et parallèles, ne laisserait aucun doute sur l'interprétation, encore que cette légende est d'une orthographe fantaisiste :

† ΑΓΗΩCCΗCΗИΗCΒΩΕΙΘΗΤΗИΦΩΡΟ

autrement dit, "Saint Sisinnios secours celle qui te porte".

C'est donc une invocation au saint parthe de ce nom qui était,

---

(1) *Musée belge*, 1914, pp. 88 et 93 sqq. "Cycle de la Méduse". P. 89 : φύ[γε] ποδάγρα, [Π]ερσεὺς σε διώχι. C'est à tort d'ailleurs que Delatte écrit à ce sujet : "Le symbolisme est très clair : la Gorgone représente la maladie et Persée le dieu qui délivre le patient". C'est la tête de Méduse, symbole apotropaïque, qui fait fuir la maladie.

(2) Cf. notamment les nombreux masques de terre cuite de Méduse provenant de sarcophages, EDGAR. *Greco-Egyptian Coffins. Masks and Portraits*, pp. 51 sqq., n. 33110-33120 ; PERDRIZET, *Terres cuites de la collection Fouquet*, p. 106 (qui aurait pu rapprocher ces masques de ceux publiés par Edgar : ils ont probablement la même provenance et la même valeur d'amulettes).

(3) Cf. la plaque de terre cuite *Bull. comit.*, 1909 p. 149 ; *Arch. Anz.*, 1910, p. 268, fig. 6 (étoile à 6 branches) et la bague magique, *REG.*, 1892, p. 85, cf. p. 87.

en Egypte l'objet d'un culte particulier, grâce à l'efficience qu'on lui prêtait contre la malfaisante diablesse dont le nom principal était Gellou[1].

Elle paraît avoir été particulièrement redoutée car on retrouve son image terrassée par Salomon ou Sisinnios sur nombre d'amulettes et sur l'une des fresques de Baouît[2].

C'est ce même saint et non Salomon qui figure, Schlumberger, ne s'en est pas aperçu, au revers de l'amulette de sa collection, de laquelle nous avons, plusieurs fois déjà, rapproché la nôtre : on lit, en effet, dans le champ, sur le dessin, et très distinctement, les lettres C I C C, début du nom du saint cavalier[3], négligées par le premier éditeur.

S'il faut bien retrouver quelques vestiges de l'influence de la secte des Séthiens, sur notre amulette, elle ne serait pas postérieure au IV^e siècle, époque jusqu'à laquelle on peut suivre les destinées de cette secte.

Les caractères de l'écriture, encore très proche de l'antique, ainsi que la comparaison avec les ampoules de sarint Ménas[4] ne nous incitent guère à descendre plus bas, encore que l'orthographe, fantaisiste, ne soit guère l'indice d'une époque très haute. Mais il faudrait se garder, pour le grec d'Egypte surtout et pour des documents "populaires" comme celui-ci, de considérer comme un indice chronologique ce qui n'est que la marque d'une culture inférieure.

II. Une autre amulette de notre collection, de même provenance et

---

(1) P. PERDRIZET, *Negotium perambulans in tenebris*, Public. de la Fac. des lettres de l'Univ. de Strasbourg, 6, 1922, pp. 13 sqq.

(2) *REG*, 1891, pp. 287 ; 1892, pp. 74, 76, 77, 79, 80, 81, 82, 83, 84 ; *Mém. Inst. fr. d'arch. or.*, XII, pl. LV - LVI ; P. PERDRIZET, *o. l.*, pp. 14 et 27 ; *Berytos*, I, 1934, pp. 5 sqq.

(3) *REG*, 1892, p. 79. Il faut sûrement retrouver le nom du même saint dans les lettres C I C I négligées par l'éditeur de l'amulette *REG*, 1891, p. 287 et qu'on lit très distinctement sur le droit, le long de la bordure circulaire. Ces inscriptions ont également échappé à PERDRIZET, qui a étudié à nouveau ces amulettes, *REG*, 1903, pp. 46 sqq.

(4) Cf. K. KAUFMANN, *Die Menastadt*, Leipzig, 1910, I, p. 121, fig. 68 (ampoule du IV^e s.) ; *Zur Ikonographie des Menas - Ampullen*, Le Caire, 1910, p. 152, fig. 87 (V^e s.).

de même diamètre que la précédente mais qui a perdu son anneau de suspension, présente, également, au droit, une tête de face, moins bien conservée et quelque peu différente. (Fig. 6 en bas).

Au lieu d'être ovale, le visage est rond et la tête n'est pas chauve. Les bras du symbole qui surmonte le crâne ne sont pas terminés semble-t-il, par des cercles[1]. Les sept faisceaux de rayons sont remplacés par sept branches arrondies et recourbées. L'état de conservation, ne permet pas de distinguer si ces branches étaient pourvues de têtes à leur extrémité.

Tout autour, entre deux filets parallèles et circulaires, même légende, à peu près que dans la première de nos amulettes :

ΑΓ . . . ΑΓΙΟC . . ΙΟC . . . † ΛΗCΟΙΟΕ

Dans les amulettes similaires, déjà publiées[2] et dont le revers présente, nous l'allons dire, une certaine parenté avec celui de la nôtre, on interprête généralement ce masque comme celui de la Méduse. Interprétation qui n'a rien d'invraisemblable, étant donné le caractère apotropaïque de Méduse et le fait que les bras qui émergent des têtes figurées sur les amulettes paraissent, sur les exemplaires bien conservés, être des serpents, comme ils le sont peut-être ici.

Au revers, notre amulette, au lieu d'une scène figurée, présente au milieu, une inscription rétrograde de quatre lignes séparées par trois traits en relief :

ΙΦΑΛ
ΙΑϤЭΤϽ.Υ
ΙϤΑΜΑΗΑ
ΙΘΙΟΒΑ

Cette inscription est encadrée de deux traits circulaires et parallèles entre lesquels on lit l'invocation bien connue à la Vierge :

(1) Sur ce signe, cf. *supra*, p. 139.

(2) FROEHNER, *Kritische Analekten*, Philol., 1884, p. 42, n° 46 ; *REG*, 1892, p. 89 ; KING, *Handbook of engraved gems*, p. 112 (*REG*, *l. l.*, p. 90) ; E. DE MURALT *Chronogr. byz.*, I, p. 749 (*REG*, *ibid.*, p. 92). Ajouter la bague du British Museum portant la même tête sur le chatôn, DALTON, *Catal. of early Christian Antiqu.*, p. 24, n° 142 (Cf. *A cat. of early Christian and byz. ant.*[2], Londres, 1921, p. 135, fig. 84) et la bibliographie qui y est citée.

† ΘΕΟΤΟΚΗΒΟΗΟΗ - CΕΤΟΝΦΟ[1]

De l'inscription principale, on ne déchiffre d'une façon certaine, outre Μαρία βοίθι, que le mot ὑστέρα.

Or, précisément, ce mot reparaît dans les formules du revers d'une série d'amulettes dont le droit porte la tête considérée comme celle de Méduse. Cette formule, telle qu'on peut la reconstituer au moyen des divers exemplaires connus, dont aucun ne la donne au complet s'exprime comme suit: ὑστέρα μελάνη μελανωμένη, ὡς ὄφις εἰλύεσαι, καὶ ὡς δράκων συρίζεις, καὶ ὡς λέων βρυχᾶσαι, καὶ ὡς ἀρνίον κοιμοῦ[2].

Schlumberger s'est borné à reproduire l'opinion de Frœhner concernant ces amulettes " dont les inscriptions écrit-il, empruntent la forme d'un texte biblique, alors que leur origine même prend sa source dans les vieilles superstitions populaires du paganisme " et à adopter son interprétation, peu plausible de ὑστέρα dans le sens de " colique[3] ".

Cette hypothèse ne peut s'autoriser d'aucune texte où le vocable en question aurait le sens qu'on veut lui prêter.

On ne peut pas non plus songer à ces amulettes dites " clefs de la matrice " où le mot ὑστέρα est remplacé par son équivalent μήτρα, car ces amulettes étaient sûrement portées par des femmes[4], ce qui n'est sûrement par le cas pour la nôtre, ainsi que l'atteste l'inscription de l'exergue.

C'est dans une toute autre voie beaucoup plus intéressante, qu'il faut, je pense, diriger ses recherches.

Nous aurions affaire ici à un souvenir de l'hérésie des Caïnites mentionnée par saint Epiphane dans son *Adv. haer.*, I, p. 656 B

---

(1) Pour le σε, cf. notamment le médaillon d'or trouvé à Thernigoff, Θεότοκε βοήθει τόν σε ἔχοντα (DE MURALT, *o. l.*, p. 749; *REG*, 1892, p. 92). Cf. aussi SCHLUMBERGER, *Mél. d'arch. byz.*, p. 21. amulette avec l'inscription ΚΕ ΒΟΙΘΗ ΤΟΝ ΦΟΡΟΝΤΑ ΤΟΝ.

(2) Cf. les exemples réunis par Schlumberger, *REG*, 1892, pp. 89 sqq., n. 10-13.

(3) *Ibid.*, p. 92, Cf. aussi la bague amulette *JAI*, 44, 1929, pp. 275 sqq., qui fut, d'après son inscription, portée par une femme enceinte.

(4) Cf. *Mus. belge*, 46, 1914, pp. 76 sqq.; K. PREISENDANZ, *Amuletum ineditum*, *Festschrift Poland*, pp. 103 sq.

(Migne) et d'autres, καὶ ἄλλα τινὰ συγγράμματα ὡσαύτως πλάττονται κατὰ τῆς Ὑστέρας ἣν Ὑστέραν τὸν ποιητὴν τοῦ παντὸς τούτου τοῦ κύτους οὐρανοῦ τε καὶ γῆς καλοῦσι. "Certains autres écrits sont dirigés contre Hystéra (c'est-à-dire la matrice), cette Hystéra qu'on appelle l'auteur de toute ce monde, ciel et terre[1]".

D'après Schlumberger, les amulettes de ce genre seraient, en majeure partie d'origine asiatique ou syrienne plutôt qu'uniquement alexandrine[2].

La provenance de nos deux médailles, la présence, fréquente sur ces médailles de l'effigie ou du nom d'un saint aussi populaire en Egypte que Sisinnios, invitent plutôt à admettre, avec Renan[3], Sorlin-Dorigny[4] et Perdrizet[5], que la plupart ont été fabriquées en Egypte, lieu d'origine, semble-t-il, de ce syncrétisme bizarre dont elles sont de curieux témoignages.

UNE BAGUE DE MARIAGE BYZANTINE

J'ai pu prendre l'empreinte du chaton d'une bague d'or, dans le commerce au Caire, bague que les exigences du vendeur ne m'ont pas permis d'acquérir.

Ce chaton de forme ronde (diamètre, 0,019), représente le Christ de face, au nimbe crucigère, posant la main sur l'épaule de deux personnages. A sa gauche également de face, une femme, reconnaissable à son voile et à sa chevelure ondulée. A sa droite, c'est un jeune homme, figure de face mais le corps de profil, tourné vers le Christ. De chaque côté de la tête de celui-ci, au-dessus des deux personnages, on distingue un petit trait horizontal dont l'explication m'échappe.

---

(1) Cf. aussi Iren., *Adv. haer.*, I, 31, 1 et Hippol., V, 19 (*Séthiens*) sur cette hérésie, cf. E. de Faye, *Gnostiques et gnosticisme*, Paris, 1925, pp. 372 sqq.

(2) *Mél.*, p. 140.

(3) *Marc-Aurèle*, pp. 141 sqq.

(4) *REG*, 1891, pp. 287 sqq.

(5) *REG*, 1903, p. 59.

Sous cette scène, dans l'exergue, on lit OMONV[A], mot qui reparaît à la même place avec la même faute d'iotacisme sous la même scène où le Christ est parfois accompagné de la Vierge, dans une série de bagues où l'on reconnaît des bagues de mariage[1].

Plusieurs de ces bagues[2], à la différence de l'une de celles du British Museum[3], qui est montée sur anneau à dix pans, ou de la nôtre, qui en à sept, sont à huit pans.

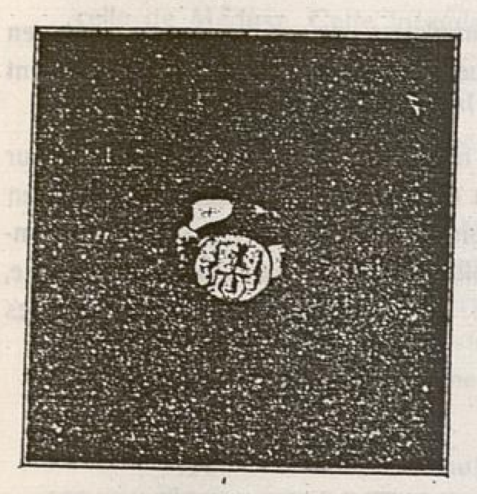


Fig. 7

Est-ce pour une raison simplement pratique, pour éviter que les angles de ces octogones ne tombent entre les doigts et à l'intérieur de la main? On ne se l'est pas demandé. Il semble qu'il y aurait plutôt là une survivance, consciente ou non, d'un usage magique.

Alexandre de Tralles, *De medicam.*, X, 1, comme remède contre la bile, conseille de porter δακτύλιον σιδηροῦν, ποίησον γίγνεσθαι τὸ κρικέλλιον αὐτοῦ ὀκτάγωνον καὶ οὕτως ἐπίγραφε εἰς τὸ ὀκτάγωνον φεῦγε, φεῦγε ἰοῦ χώλη, etc.

Schlumberger, qui a utilisé ce texte, à propos des amulettes, n'a pas songé à le rapprocher des bagues byzantines. C'est, sans doute, parce qu'il a traduit κρικέλλιον par chaton, alors que le mot, diminutif de κρίκος, ne peut, comme dans la langue actuelle encore,

---

(1) SALINAS, *Dal real Museo di Palermo*, Palerme, 1873, pl. A, 1. Cf. SCHLUMBERGER, *Mél. d'arch. byz.*. p. 69; DALTON, *Catal. of early Christian Antiqu. of the British Mus.*. 1901, p. 21, n° 129. - 2. DALTON, *o. l.*, p. 22, n° 130. - 3. *Ibid.*. p. 22, n° 131. - 4. *Ibid.*, n° 132. - 5. *Ibid.*, n° 133 (pas de faute d'iotacisme). - 6. SCHLUMBERGER, *o. l.*. p. 68. - Cf. aussi PELKA, *Altchrisliche Ehedenkmäler*, Strasbourg, 1901. pp. 105, 109.

(2) SCHLUMBERGER, *Mél.*, pp. 68, 168, nos 5, 6; *C. r., Acad. Inscr.*. 1905, p. 141; KONDAKOV, *Gesch. u. Denkmäler des byz. Emails*, p. 164.

(3) DALTON, *o. l.*, p, 21, n° 129.

signifier " qu'anneau ". C'est sur l'anneau, d'ailleurs, et sur les pans de l'octogone que sont, en général, gravées les inscriptions des bagues byzantines.

Schlumberger[1] et Dalton[2] datent du X[e] siècle environ, ces bagues de mariage byzantines.

Dalton inclinerait même à les faire remonter jusqu'au VII[e] et même au VI[e] siècle; mais l'orthographe défectueuse du mot ὁμόνοια n'est pas une raison suffisante pour leur assigner une date aussi haute[3].

Si l'on rapproche la scène ici représentée des types monétaires qu'elle évoque et dont elle s'inspire, peut-être, ce n'est pas avant le XI[e] siècle, plus exactement avant Romain IV que l'on trouve, sur les monnaies, une scène apparentée, celle du couronnement de l'empereur et de l'impératrice par le Christ[4], scène qui figure aussi sur l'ivoire bien connu du cabinet des Médailles, de Paris. Ces bagues ne seraient donc pas antérieure au III[e] tiers du XI[e] siècle.

Dans l'Egypte romaine, les hommes et les femmes portaient la bague à l'annulaire de la main gauche[5]. Il n'en était pas autrement à l'époque byzantine si l'on en juge notamment par l'une des suvantes de Théodora sur la fameuse mosaïque de Ravenne.

Comme l'anneau de la bague du Caire n'a que 0.019 de diamètre intérieur, il n'a guère pu être porté que dans l'annulaire d'une main féminine, celui de la mariée.

ADDENDUM.

P. 113, n. 1. A la bibliographie, ajouter, pour le buste de Naples, PARIBENI, *Il ritratto nell'arte antica*, Milan, 1934, pl. 67, qui ne propose pas d'identification.

---

(1) *Mél.*, p. 67.

(2) *O. L.*, nos 129 - 132.

(3) *Byz. Art. a. Arch.*, Londres, 1911 p. 544, fig. 329.

(4) WROTH, *Cat. of the imp. byz. coins in the Brit. Mus.*, II, pp. 523 sq., pl. LXI, 11, 12. Sous Romain III et Michel V, le type s'ébauche avec le couronnement de l'empereur par la Vierge (*ibid.*, p. 494, pl. LVII, 13, p. 498, pl. LVIII, 5).

(5) Cf. BRECCIA, *Alexandrea ad Aegyptum*[2], p. 219, nos 56 et 58; EDGAR, *Greek sculpture (Catal. du Mus. du Caire)*. p, 22, pl. XII (fillette). Cf. par contre la momie d'Isidora, qui, si les constatations ont été bien faites, portait la bague à l'annulaire de la main gauche. Cf. *Bullet. inst. franç. d'arch. orient.*, XXXII, 1932, p. 101.

LE CHEVALIER AU CYGNE
ET
GODEFROID DE BOUILLON

PAR

HERMAN DOPP

L'un des premiers qui mentionne la légende du Chevalier au Cygne en rapport avec les origines de Godefroid de Bouillon est l'illustre historien Guillaume, évêque de Tyr au XIIème siècle, dans sa célèbre histoire latine des croisades. Parlant des ancêtres de Godefroid: "Nous passons sous silence, écrit-il, la fable du Cygne, bien qu'un grand nombre y croient; mais elle nous semble manquer par trop de vraisemblance... Praeterimus denique studiose, licet id verum fuisse plurimorum astruat narratio, Cygni fabulam, unde vulgo dicitur sementivam eis (Godefroid de Bouillon et ses frères, Baudouin et Eustache) fuisse originem, eo quod a vèro videatur deficere talis assertio[1]."

Il s'agit de la légende, originaire de Lorraine, restée célèbre sous le nom de Lohengrin[2]. Le héros en est un chevalier mystérieux, arrivé dans une barque traînée par un cygne; il vient combattre pour une noble femme injustement accusée, et l'épouse; après quelques années, le cygne reparaît avec la barque et emmène le chevalier pour toujours. Cette légende a eu, on le sait, une grande fortune dans les pays rhénans. Le premier qui ait raconté en allemand l'histoire de Loherangrîn, est Wolfram d'Eschenbach, vers 1205, à la fin de son poème de *Parzival*, qu'il dit avoir imité d'une source française[3]. Après lui, Conrad de Wurzbourg la racontait dans le *Schwanritter*, et un poète inconnu dans *Lohengrin*, tous

---

(1) *Recueil des historiens des croisades.* Paris, Imprimerie royale, 1844, in-fol., tome 1, p. 371.

(2) On sait que le nom de Lohengrin, dans sa forme ancienne Loherangrîn, est une contraction de Loherenc Garin, c'est à dire de Garin le Lorrain.

(3) Il se trompe certainement sur la nationalité de l'auteur qui lui sert de modèle, en l'appelant "Kyot den Provenzâl"; mais ce nom, inconnu par ailleurs, représente peut-être Guiot de Provins. (Voir la discussion et la bibliographie de cette question dans Voretzsch (Karl), *Einführung in das Studium der*

deux au XIIIème siècle. Dans ces récits, elle est restée entièrement étrangère à Godefroid de Bouillon. En revanche Lohengrin, chevalier au cygne et fils de Parsifal, la rattache à la légende celto-chrétienne du Saint-Graal.

Mais la légende du chevalier au cygne n'a pas eu moins de faveur en pays roman, dès le XIIème siècle, ainsi qu'en témoigne le grand nombre de versions françaises de ce temps qui nous l'ont conservée. C'était l'époque vivante de la production épique, l'âge des jongleurs. On ne se contentait pas encore, comme on le fit dans la suite, de renouveler ou de mettre en prose des chansons antérieures sur les héros carolingiens: mais on faisait des créations nouvelles. Le cycle de Guillaume d'Orange, par exemple, ce défenseur du Midi contre les Sarrasins d'Espagne sous Charlemagne, s'enrichissait de chansons épiques sur son père, Aimeri de Narbonne; sur son grand père, Ernaud de Beaulande; sur son grand oncle, Girard de Vienne; sur son aïeul, Garin de Montglane; sur sa femme, la fameuse Guibourc, ex-princesse sarrasine; sur son neveu Vivien; tous personnages fabuleux sortis de l'imagination des trouvères; sans oublier les exploits de jeunesse du héros lui-même. Or ce travail poétique, qui consistait à donner un lignage aux héros connus et à leur inventer des "enfances", fut fait aussi pour Godefroid de Bouillon. Tout pleins du grand sujet de la croisade, qu'ils allaient célébrant dans les chansons d'Antioche et de Jérusalem, les chanteurs de geste se mirent à raconter aussi les origines légendaires du grand héros de ces expéditions. Mais ici, il faut le dire, l'invention fut moins riche, parce qu'on utilisa une légende constituée: celle du Chevalier au cygne; et moins épique, puisque cette légende est plutôt romanesque que guerrière. On fit du Chevalier au cygne le grand-père de Godefroid de Bouillon.

Cette filiation eut bientôt cours dans la littérature des jongleurs, et même, semble-t-il, des historiens, en dépit de la défiance de Guillaume de Tyr. Dans sa célèbre *Chanson d'Antioche*, Graindor de Douai justifie la primauté de Godefroid sur les autres seigneurs de la croisade en rappelant l'origine illustre du héros et son extrac-

---

Altfranzösischen Literatur, Halle, Max Niemeyer, 3ème éd., 1925, in-8º, pp. 320-321). En tout cas, la source invoquée par Wolfram d'Eschenbach est perdue.

tion du Chevalier au cygne[1]. Et Philippe Mousket, dans sa grande *Chronique rimée*, résume également la même légende[2].

D'autre part les trouvères surent donner des "enfances" au Chevalier au cygne lui-même. On ne les lui inventa pas de toutes pièces, comme on le fit, à peu près dans le même temps, pour Godefroid de Bouillon, mais on les lui trouva dans un conte de fées originairement indépendant, qui racontait l'histoire de sept enfants changés en cygnes. C'est de ce conte que nous parlerons d'abord, puisqu'il précède logiquement les autres. Les trois fictions réunies: les Enfants-Cygnes, le Chevalier au cygne, les Enfances Godefroid, mises en vers de chanson de geste, formèrent en quelque sorte le prologue du cycle de Godefroid de Bouillon.

***

La première version connue des Enfants-Cygnes se trouve dans un roman intitulé *Dolopathos*, composé dans les dernières années du XIIème siècle par un moine de l'abbaye de Haute-Seille dans le diocèse de Toul: Johannes de Alta Silva[3]. Son manuscrit, qui avait fait partie de la bibliothèque de l'abbaye d'Orval, avait disparu lors de la destruction de cette abbaye sous la révolution française; mais comme on savait que les moines avaient sauvé par un souterrain les plus précieux de leurs livres, on ne désespérait pas de le retrouver, et on l'a retrouvé, en effet, en 1872, dans la bibliothèque de l'Atheneum, à Luxembourg.

Dolopathos est ce qu'on appelle un roman à tiroirs, comme le livre de Sindibâd. dont il s'inspire. Le nom de Dolopathos, formé d'un mot latin et d'un mot grec, signifie "celui qui eut à souffrir

---

(1) *La Chanson d'Antioche, composée au commencement du XIIème siècle par le pèlerin Richard, renouvelée sous le règne de Philippe-Auguste par Graindor de Douai. Publiée pour la première fois par Paulin Paris.* Paris, Techener, 1848, 2 vol. in-12; tome 1, ch. VII, vers 750-774.

(2) *Philippe Mouskès. Chronique rimée, publiée par le baron de Reiffenberg.* Bruxelles, Hayez (*Collection des chroniques belges publiées par ordre du gouvernement.* Publications de l'Académie royale de Belgique), 1836-1838, 2 vol. in-4º; tome 2, vers 16024-16045.

(3) *Johannis de Alta Silva Dolopathos, sive de Rege et septem Sapientibus,* herausgegeben von Hermann Oesterley, Strasbourg, Trübner, 1873, in-8º.

de la ruse (des envieux)": *dolum, vel dolorem patiens.* C'est un roi de Sicile, légendaire naturellement, qui vivait sous Auguste; il lui arrive la même mésaventure qu'à l'empereur Vespasien dans un autre roman de la fin du XIIème siècle, français celui-ci, le *Roman des Sept Sages.* Dolopathos a d'une première femme un fils, Lucinius, dont la mère meurt. S'étant remarié avec une méchante femme, il confie l'éducation de son fils à Virgile, à Rome. Au bout de sept ans la marâtre, qui veut faire périr Lucinius, demande au roi de le rappeler à la cour. Mais Virgile et sept autres sages de Rome lisent dans les étoiles que la mort attend le jeune prince s'il prononce seulement un mot pendant les sept premiers jours qu'il sera chez son père. Il arrive et, dûment averti, il ne répond rien aux avances criminelles que lui fait sa marâtre. Rebutée, celle-ci l'accuse alors d'avoir voulu l'outrager, et comme Lucinius ne répond rien, son père le condamne à mort. Alors interviennent les sept Sages, qui ont accompagné leur élève: tour à tour ils montrent au roi, par de beaux contes, le danger des actions inconsidérées, et ils réussissent de jour en jour à faire différer l'exécution de Lucinius. L'un d'eux raconte l'histoire du créancier réclamant une livre de chair, que Shakespeare a immortalisée dans le *Marchand de Venise*, mais qui apparaît pour la première fois ici. Un autre raconte l'histoire des enfants changés en cygnes à la suite d'une machination de leur grand'mère[1]. Inutile de dire qu'au septième jour l'innocence du jeune homme éclate et que c'est sa méchante marâtre qui subit le dernier supplice à sa place.

Ce roman de Jean de Haute-Seille a été mis en vers français, toujours vers la fin du XIIème siècle, par un trouvère parisien, Herbert, dans la forme des romans, c'est à dire en petits vers de huit syllabes, à rimes plates (forme qui était destinée à la lecture ou à la récitation, non au chant). Herbert, en racontant à son tour la légende des Enfants-Cygnes, en altère quelques détails. Voici, en substance, sa version[2]:

---

(1) Jean de Haute-Seille nous dit tenir ce conte de la tradition orale du pays où il écrit, c'est à dire de Lorraine.

(2) D'après le texte reproduit par le baron de Reiffenberg, en appendice au tome I du *Chevalier au Cygne*, Bruxelles, Hayez, 1846, in-4°, pp. 151-181.

La version du *Dolopathos* a été analysée par Gaston Paris en deux pages qui en disent tout l'essentiel, dans *Romania*, XIX, 316-317.

Un jeune prince égaré à la chasse rencontre dans la forêt, près d'une fontaine, une fée ravissante (une *nympha* dans le récit latin) qui se baignait. Ayant ramassé la chaîne d'or que la jeune fille avait déposée au bord de la fontaine, il devient son maître et l'épouse, de son plein gré d'ailleurs, mais malgré les avis de sa mère à lui, qui est une méchante femme. Celle-ci se prend de haine pour la jeune épouse et se promet de se débarrasser d'elle.

Or, la première nuit de son mariage, la jeune fée a conçu sept enfants jumeaux, six garçons et une fille, qui naîtront tous avec une chaîne d'or au cou. Quand viennent les douleurs de l'enfantement, le père étant absent, et tandis que la jeune mère est inconsciente, la méchant belle-mère remplace les enfants par sept petits chiens nés la même semaine; et elle livre les sept enfants à un sergent avec mission d'aller les tuer dans la forêt. Le sergent parti seul avec les enfants dans son manteau, les trouve si beaux qu'il ne peut se résoudre à leur ôter la vie: il les abandonne sous un arbre et rentre au palais, pensant que les bêtes les dévoreraient. Mais ils sont recueillis par un ermite, et nourris pendant sept ans du lait d'une biche.

Au palais, la mère du prince lui montre la prétendue portée monstrueuse de sa femme: "Tu m'avais bien dit qu'elle était fée, on le voit à ce qu'elle a engendré." Le prince, crédule et barbare comme on ne l'est que dans les vieux contes, dit Gaston Paris, n'attend même pas les explications de sa femme, qui d'ailleurs croit elle-même à son déshonneur. Il la fait jeter dans une fosse où elle mangera le pain des chiens, et où écuyers, garçons et sergents auront la permission, après le travail, de s'essuyer les mains à ses cheveux d'or[1].

Un jour, au bout de sept ans, le père courait seul un cerf dans le bois, quand, dans un vieux sentier, il aperçoit sept enfants qui

---

(1) Dans le texte latin, la fosse se trouve dans la grande salle même du château. Tous ceux qui viennent prendre leurs repas au château se lavent les mains au-dessus de la tête de la malheureuse femme et s'essuyent à ses cheveux. Elle reste ainsi sept ans; ses vêtements tombent en lambeaux, elle devient livide, ridée, desséchée; elle n'a plus que la peau sur les os, et, détail bizarre et bien médiéval, ses cheveux noircissent. (Les cheveux noirs passaient au moyen âge pour quelque chose de très laid et presque contre nature). (G. Paris)

jouaient, chacun une chaîne d'or au cou. Émerveillé, il s'approche, mais les enfants s'enfuient et il perd leur trace. Rentré chez lui, il raconte l'aventure à sa mère, qui reconnaît le signalement des enfants qu'elle croyait morts. Elle mande en privé le sergent, lui ordonne de retrouver les enfants, s'il veut la vie sauve, de ne plus les épargner cette fois, et de rapporter pour preuve les chaînes d'or de leurs cous. L'homme part; après quatre jours de recherches dans la forêt, il découvre une petite fille qui surveillait les ébats de six cygnes blancs au bord d'une rivière. Or la petite fille était la sœur des cygnes, qui s'étaient transformés ainsi momentanément en ôtant leurs chaînes d'or; et elle gardait à la main les six chaînes, qui leur rendraient tout à l'heure la forme humaine. Le sergent arrivé à pas de loup, pense s'approprier les chaînes sans commettre de meurtre, et il les arrache à l'enfant, sans se douter qu'il tient le talisman des cygnes, auxquels il ne fait pas attention; mais il ne réussit pas à détacher du cou de l'enfant la septième chaîne, et la petite lui échappe par la forêt. Il rapporte les six chaînes à la vieille.

Celle-ci, sans remarquer qu'il en manque une (ce qui est bizarre[2]) les donne à un orfèvre pour qu'il les fonde et en fasse une coupe. Mais, ô prodige, elles ne fondent pas au feu ni ne se brisent sur l'enclume; tous les efforts de l'orfèvre ne réussissent qu'à briser un maillon de l'une d'elles. Il serre alors secrètement chez lui les six chaînes, et fournit à la vieille une coupe faite avec de l'autre or.

Cependant les six frères et leur sœur changée elle aussi en cygne (il lui a suffi pour cela d'ôter la chaîne de son cou) ont pris leur vol, et délaissant la rivière et le bois, viennent s'établir dans le vivier du château. Le prince les voit de sa fenêtre, se prend de sympathie pour eux et les fait nourrir par ses gens de

---

(2) Dans une autre version, celle qui forme la première partie du *Chevalier au cygne* publié par Reiffenberg, sept sergents envoyés pour tuer les enfants en ont surpris six sous leur forme humaine. Le septième, un garçon, était allé aux provisions avec l'ermite. Ils leur ont arraché leurs chaînes d'or, sur quoi les six enfants se sont instantanément mués en cygnes. Effrayés, les sergents ont fui et ont déclaré à la vieille qu'ils avaient perdu l'une des chaines en cours de route. La vieille, irritée, accepte cependant l'explication, et les sergents n'osent parler des cygnes.

service. D'ailleurs la sœur elle-même reprend de temps en temps sa forme de fillette pour venir au château mendier de la nourriture pour ses frères. De ce qu'elle reçoit, elle donne toujours la meilleure part à la pauvre femme qui languit dans la fosse, sans savoir que cette femme est sa mère. Et tous les soirs elle disparaît mystérieusement: elle va reprendre son apparence de cygne et dormir dans les fossés du château avec ses frères. Les façons de la belle jeune fille, à qui les cygnes faisaient fête, intriguaient les gens du château, et le prince, un jour, la fit appeler. Elle parut devant lui. En voyant sa chaîne d'or, le prince se souvint de sa femme et de la chaîne semblable qu'elle avait portée jadis. " Où es-tu née? lui demanda-t-il, quels sont ton père et ta mère?" Je n'ai, répondit-elle, ni père ni mère; mais les cygnes qui viennent manger dans ma main sont mes frères. Et elle raconta leur histoire: comment ils avaient été élevés par l'ermite de la forêt, comment, un jour, pendant que ses frères se baignaient, on avait volé leurs chaînes d'or.

Or la méchante mère du prince, et le sergent, son complice étaient dans la grande salle du château, présents à ce récit fait par l'enfant sans méfiance. Tous deux se troublent, ils se concertent à la dérobée: le sergent tuera la jeune fille à la première occasion. Un jour qu'elle descendait du château, il la rejoint l'épée nue. Par bonheur, le prince arrivait justement, il arrache l'épée des mains du spadassin et le bat comme plâtre avec le plat de l'arme. L'autre terrorisé, fait sa confession entière: il raconte la naissance des enfants, le crime de la vieille qui les a remplacés par des chiens, leur abandon dans la forêt, puis le vol de leurs chaînes d'or qu'il a remises à la vieille. Le prince rentre au château, et, sous la menace de son épée, force également sa mère à avouer. L'orfèvre est mandé, et il est en mesure de produire les chaînes d'or. Avec elles la jeune fille court à l'étang et rend la forme humaine à cinq de ses frères; mais le sixième, celui dont la chaîne a perdu un maillon, restera cygne: il accompagnera l'un de ses frères, qui deviendra célèbre sous le nom de Chevalier au cygne. La princesse innocente est rendue à l'amour de son mari et de ses enfants; et la vieille va prendre sa place dans la fosse.

Là s'arrête le conte d'Herbert de Paris, simple histoire de malice

féminine, destinée à mettre en garde Dolopathos. Mais le sort du sixième frère appelle une suite, et elle est même annoncée expressément par une allusion à la gloire future du chevalier au cygne, son compagnon. C'est, disait déjà Jean de Haute-Seille, le cygne éternellement fameux qui traîne par une chaîne d'or un chevalier dans une barque. Et Herbert de Paris ajoute ce détail, pour nous de toute importance:

"Ce fu li chevaliers au Cygne
Et cil fut li cignes por voir
Qui la chaainne d'or avoit
Au col, de qui la nef traioit
Ou li chevaliers armez iere
Qui tant fu de bone maniere
Puis tint de Buillon la duché."

Voilà Bouillon nommé. C'est le premier nom propre de cette histoire où les personnages n'en ont pas encore. Il est introduit incidemment, tout à la fin, par Herbert de Paris qui savait, ce que sans doute beaucoup d'autres savaient à la fin du XIIème siècle, que l'histoire du Chevalier au cygne continuait celle des enfants cygnes, et qu'elle racontait les origines de Godefroid de Bouillon.

Après lui d'autres poètes ont chanté les Enfants-Cygnes, en essayant de rattacher plus logiquement cette légende à celle du Chevalier au cygne. Ils empruntent tous au même fonds (qui n'est d'ailleurs pas propre aux pays romans: M. Ferdinand Lot a trouvé en Irlande un mythe semblable et apparemment très ancien: des enfants, changés en cygnes par un enchantement, ne recouvrent la forme humaine que neuf cents ans plus tard, lors de l'évangélisation de l'Irlande; ce sont alors des vieillards tout cassés, qu'on baptise et qui meurent aussitôt[1]). Les trouvères, donnent des noms divers aux personnages, modifient certains détails et certaines circonstances, et l'on peut suivre dans leurs versions successives la marche de la légende.

Trois de ces versions, outre celle du *Dolopathos*, ont été analy-

(1) *Romania*, XXI, 62-67.

sées par Gaston Paris qui les appelle *Elioxe, Isomberte* et *Béatrix*[1], d'après les noms différents qu'y porte la mère des enfants-cygnes. Ces trois textes sont eux-mêmes les versions-mères dont dépendent toutes les autres au moyen âge. *Elioxe*[2] et *Béatrix*[3] sont de la fin du XIIème siècle. *Isomberte*, qui remonte peut-être à la même époque, ne se retrouve pas dans sa forme française, mais seulement en espagnol, dans la *Gran conquista de Ultramar* (Livre I, chap. 47 à 68). C'est, on le sait, la traduction d'une grande compilation française perdue sur les croisades, faite au XIIIème siècle pour le roi de Castille Alphonse X le Sage. Gaston Paris en dégage les données essentielles du poème perdu d'Isomberte.

La chanson *d'Elioxe*, quoique contemporaine du *Dolopathos*, et écrite dans la même région, en diffère notablement et remonte sans doute à une source moins ancienne. Le roi ici s'appelle Lotaire (ou Lotier), et la méchante vieille, Matrosilie. Elioxe sait d'avance qu'elle mourra en donnant le jour à ses enfants. Le poète a oublié ou néglige le trait ancien que les enfants peuvent facultativement se changer en cygnes: la transformation n'a lieu qu'une fois dans chaque sens. Une des chaînes d'or, au lieu de ne perdre qu'un maillon, est entièrement fondue par l'orfèvre, et par un prodige, l'or de cette seule chaîne foisonne assez pour en faire un grand hanap. Enfin, bizarre divergence, le roi, après avoir forcé sa mère à avouer son crime, lui pardonne "parce qu'elle est sa mère"; et, ce qui est plus bizarre encore, Matrosilie tient ensuite auprès de ses petits-enfants le rôle d'une bonne et généreuse grand'mère. Toutefois *Elioxe* offre avec le conte du *Dolopathos* un même trait primitif: c'est la fille qui reste pour délivrer ses frères. Au contraire les versions postérieures donneront ce rôle à l'un des garçons, le futur chevalier au cygne.

---

(1) *Romania*, XIX, 318-322.

(2) Poème publié par H.A. Todd, sous le titre de *La Naissance du Chevalier au cygne, ou les Enfants changés en cygnes, French poem of the XIIth century, published for the first time together with an unedited prose version from the Mss. of the National and the Arsenal libraries in Paris, with introduction, notes and vocabulary*. Baltimore, Publications of the Modern Language Association, 1889, in-8°. (La version en prose est un résumé, fait au XIIIème siècle, de *Béatrix*).

(3) Poème publié par C. Hippeau sous le titre de *La Chanson du Chevalier au Cygne et de Godefroid de Bouillon*. Paris, 1874 et 1877, 2 vol. in-8°.

Un détail localise le poème *d'Elioxe*: saint Remacle guérit le serf à qui Matrosilie a fait crever les yeux pour sa désobéissance, parce qu'il a épargné les enfants. Or saint Remacle, évêque de Tongres au VIIème siècle, était vénéré dans ce diocèse et particulièrement à l'abbaye bénédictine de Stavelot où il s'était retiré et où il était mort vers 670. La guérison miraculeuse opérée à son intercession situe à coup sûr le récit en pays wallon, vraie patrie de tout le cycle du Chevalier au cygne rattaché à Godefroid de Bouillon.

La versions d'*Isomberte* offre ceci de particulier que le personnage de la fille y est supprimé: les sept enfants sont tous des garçons; l'un d'eux, resté homme, délivre sa mère condamnée au bûcher en venant, sur l'avertissement d'un ange, combattre pour elle en duel judiciaire (situation prise, de toute évidence, au *Chevalier au cygne*). D'autre part ce récit met en jeu un échange de lettres faussées qui ne se retrouve dans aucune autre version des Enfants-Cygnes. Peu avant la naissance de ses enfants, le comte Eustache de Portemise (c'est le nom du père) est appelé à la cour du roi son seigneur, et comme il tarde à s'y rendre, le roi mécontent le retient pendant seize ans[1]. Les enfants étant nés, le fidèle sénéchal du comte, Bandoval, en est très attristé car il pense qu'une femme ne peut avoir plusieurs enfants à la fois sans être adultère (préjugé généralement répandu au moyen âge, et qui fera, au retour du comte, condamner l'innocente Isomberte). Bandoval envoie une lettre à son maître pour l'aviser de l'événement; mais la lettre est détournée par la vieille Ginesa, mère du comte, qui lui en substitue une autre disant qu'Isomberte a donné le jour à sept petits chiens. Le comte répond qu'on les garde et qu'on ne fasse pas de mal à la mère; mais sa lettre est également interceptée par Ginesa qui en forge une autre ordonnant de mettre à mort la mère et sa portée. Bandoval chargé d'exécuter cet ordre, ne peut s'y résoudre et épargne la mère et les enfants. Cette donnée assez

---

(1) Notons en passant que cette longue absence du comte n'est pas aussi absurde qu'elle en a l'air. Elle explique pourquoi Isomberte n'est jugée qu'au bout de seize ans: le comte doit en effet, selon le droit du moyen âge, présider, la cour de justice qui instruira son procès. Mais alors ses enfants auront grandi, et l'un d'eux revenu à point, pourra combattre en champion, de sa mère. D'autres versions n'expliquent pas pourquoi l'épreuve a été retardée si longtemps.

gauche des fausses lettres se retrouve dans la *Manekine*, roman rédigé au XIIIème siècle par Philippe de Beaumanoir, avec lequel l'histoire d'Isomberte offre d'ailleurs des analogies: là aussi une jeune femme, la Manekine, mariée à un prince étranger qui l'a rencontrée dans des conditions mystérieuses, est persécutée par sa belle-mère dont les machinations la séparent pour un temps de son mari.

La légende du Chevalier au cygne, dont nous attendons la liaison définitive avec celle des Enfants-Cygnes a, on le voit, poussé dans la version d'*Isomberte* de solides racines: le futur chevalier au cygne y a supplanté entièrement sa sœur et commencé ses exploits. La version de *Béatrix* garde ce point acquis, tout en conservant le personnage de la jeune fille, mais celle-ci devient cygne avec cinq de ses frères. Le préjugé contre les jumeaux est mis dans la bouche même de Béatrix, un jour qu'elle voit passer sous les fenêtres de son palais une mendiante accompagnée de deux enfants: Béatrix est en cela plus dramatique qu'Isomberte. Les chaînes des enfants leur sont données à leur naissance par une fée (dans *Isomberte* c'était un ange), et elles sont d'argent, ce qui semble convenir mieux à la blancheur des cygnes. Le roi Oriant, mari de Béatrix, la fait mettre en prison, mais il ne la juge que quinze ans plus tard, quand il ne peut plus résister aux instances méchantes de sa mère. Alors, comme dans Isomberte, un ange apparaît à l'ermite, lui révèle la naissance de l'enfant qu'il a élevé, et lui ordonne de l'envoyer à la ville où il combattra pour sa mère après s'être fait baptiser sous le nom d'Hélias. Ici, pas plusque dans *Isomberte*, l'ermite ne sait, avant la visite de l'ange, que les six frères et sœur d'Hélias sont devenus des cygnes.

C'est cette version de *Béatrix* qui a été définitivement incorporée dans le cycle de Godefroid de Bouillon. Elle forme, en effet, la première partie du poème du XIIème siècle publié par Hippeau sous le titre de *Chanson du Chevalier au cygne et de Godefroid de Bouillon*. Cette composition réunit pour la première fois dans un même texte les deux légendes du Chevalier au cygne et des Enfants-Cygnes, en les donnant pour introduction aux " Enfances Godefroid ". Dès lors l'ordonnance des récits successifs est constituée et ne variera plus. Ils recevront, au XIVème siècle, un dernier rajeunissement en vers dans un long poème publié par Reiffenberg.

dont nous allons parler; lequel, mis en prose et livré à l'imprimerie au XVème siècle, sera la source où puiseront dans la suite tous les auteurs de livres populaires français, néerlandais, allemands et anglais, sur le chevalier au cygne.

L'auteur du remaniement du XIVème siècle, immense chanson de geste de plus de 35.000 vers[1], était un Belge; certaines de ses graphies révèlent un Flamand, c'est tout ce qu'on sait de lui. Pour l'histoire des Enfants-Cygnes il suit, en l'altérant à peine, la version de *Béatrix*, dont il conserve les noms. Le roi s'appelle Oriant, sa femme Béatrix, sa méchante mère Matabrune. Oriant tient le royaume de Lillefort (L'Isle-Fort dans *Béatrix*) qui, dit le trouvère confine à la Saxe: entendez la Basse-Saxe, c'est à dire la Hollande, car ce qu'on appelait alors la Saxe, c'était la Saxe inférieure, le pays en deçà de Nimègue compris entre les bras de la Meuse et du Rhin d'une part, et l'Escaut de l'autre. L'action est donc en Flandre, dans le pays de Lille (elle se transportera à Nimègue pour l'histoire du Chevalier au cygne). Le serf qui dans son récit, est chargé d'aller tuer les enfants dans la forêt, s'appelle Marc de Saint-Trond; de Saint-Trond également est l'abbé Gérard qui jouera un grand rôle dans les "Enfances Godefroid". Hélias (ou Elyas) est pour toujours le nom du héros qui délivrera sa mère, du Chevalier au cygne: il tient ce nom de l'ermite qui s'appelait lui-même ainsi et qui, plus logique ici que dans *Béatrix* avait depuis longtemps baptisé son filleul avant l'ordre de l'ange. Notons aussi que l'orfè-

(1) Le baron de Reiffenberg en avait commencé la publication en 1846 sous le titre du *Chevalier au Cygne et Godefroid de Bouillon. poëme historique publié pour la première fois avec de nouvelles recherches sur les légendes qui ont rapport à la Belgique, un travail et des documents sur les croisades*. Publications de l'Académie royale de Belgique. Bruxelles, Hayez. 1846, in-4°. (Collection des chroniques belges inédites publiées par ordre du gouvernement). Le tome 2, par le même. a paru en 1848. Le tome 3 a été publié par Borgniet en 1854.

La première rédaction en prose est due à Pierre Desrey, de Troyes. qui l'a rédigée en 1499. Elle a été imprimée à Paris sous le titre de *La Généalogie avecques les gestes et nobles faicts d'armes du très preux et renommé Godeffroy de Boulion et de ses chevaléureux frères Bauduin et Eustace. yssus et descendus de la très noble et illustre lignée du vertueux Chevalier au Cygne*... Jehan Petit, achevé d'imprimer le 10 octobre 1504, in-fol. gothique à 2 col., avec gravure sur bois.

vre, en fondant une des chaînes, en a fait deux coupes d'argent lesquelles trouveront leur emploi plus tard. Lorsque tout le monde est retrouvé et que Matabrune a été brûlée, le jeune Hélias prend solennellement congé des siens pour aller "aventurer" et le cygne l'emmène sur la rivière vers une destination inconnue. Ici le poète place une laisse à la gloire future de la maison de Bouillon, et c'est sa transition à l'histoire du Chevalier au cygne. Voici cette histoire.

Dans une ville carolingienne, Nimègue dans presque toutes les versions, mais plutôt Mayence à l'origine, comme dans le poème allemand de *Lohengrin*, l'empereur d'Allemagne tient sa cour. De lui relevaient alors ceux d'Ardenne, de Liége et de Namur. Un duc de Saxe, Renier, accuse faussement la duchesse de Bouillon, Clarisse, en lui contestant ses droits à son duché, et il s'offre à soutenir son accusation en combat judiciaire. Le duc de Saxe est puissant, personne n'ose se mesurer avec lui; et malgré son bon droit, la duchesse ne trouve pas de champion. Le jour du jugement arrive, et elle va perdre son procès, quand on voit arriver sur le Rhin un chevalier dans une barque conduite par un cygne. Il débarque, vient à l'empereur à qui il dit s'appeler Elias, se pose en champion de la duchesse, et tue Renier. Il accepte ensuite d'épouser la fille de la duchesse de Bouillon, que plusieurs versions appellent Béatrix, à la condition expresse que personne ne lui demandera jamais d'où il vient ni quelle est son origine. La duchesse-mère se retire au couvent pour laisser son duché au chevalier au cygne. Il vit heureux avec Béatrix pendant sept ans, et ils ont une fille, nommée Ida. Une nuit, la duchesse ne peut plus contenir sa curiosité, elle demande à son mari qui il est, quels étaient son père et sa mère. Nous le savons, nous, grâce à tant de textes; nous savons qu'il est le fils de cette reine Béatrix-Isomberte-Elioxe, qui a donné le jour aux enfants-cygnes; mais, sans qu'on nous explique pourquoi, il ne

(2) Comme le dit explicitement le titre du livre populaire imprimé à Amsterdam en 1763: *Eene schoone historie en miraculeuse geschiedenis van den Ridder met de Zwaen, die te Nymegen in Gelderland te scheep kwam, by het geleide van eene Zwaen, uit den landen Lilefoort, hetwelk men zegt te wesen Ryssel* (Lille), *Douway* (Douai) *en Orchie, gelegen in Vlaanderen.*

peut répondre à la question de sa femme, et dès qu'elle a eu la fatale indiscrétion de la lui poser, il doit la quitter pour toujours. Le lendemain, le cygne arrive avec la barque et, après des adieux douloureux, il emmène le chevalier qu'on ne reverra jamais plus.

Cependant sa fille Ida, mariée plus tard par l'empereur au comte Eustache de Boulogne, procréera une lignée illustre: elle sera la mère de Godefroid de Bouillon, de Baudouin et d'Eustache, les trois frères qui délivreront le Saint-Sépulcre. Les deux premiers, dit notre poète, seront rois de Jérusalem: mais le troisième, Eustache, ne portera pas la couronne parce que, contrairement à ses deux frères qui ont été nourris exclusivement du lait de leur mère, un jour qu'étant bébé il criait, il avait pris le sein d'une nourrice.

Résumons-nous. Il y a eu d'abord deux légendes indépendantes entre elles. L'une est l'histoire du chevalier mystérieux amené un jour dans une barque par un cygne, et emmené de même quelque temps après, sans qu'on sache qui il était. L'autre est le conte des enfants d'une fée, qui peuvent, grâce à un talisman — mais ils perdent pour un temps ce talisman — être tantôt hommes, tantôt cygnes. Le trouvère qui, un jour, a rattaché ces deux légendes l'une à l'autre, ne s'est pas aperçu que, si le conte des enfants changés en cygnes explique assez bien le compagnonnage ultérieur du cygne et du chevalier, il n'explique pas du tout pourquoi celui-ci doit cacher son origine. "Mais, dit Gaston Paris, l'imagination des enfants — et le public d'alors avait la naïveté des enfants — n'en demande pas si long. Du moment qu'on lui fournissait un cygne doué d'intelligence et ayant un lien mystérieux avec le chevalier dont il traînait le bateau, elle était satisfaite."

Mais le bon poète belge qui, au XIVème siècle, consacrait encore 3.500 vers de sa chanson de geste à célébrer ces choses, n'a pu se résoudre à laisser le beau chevalier au cygne disparaître pour toujours. Il donne une fin heureuse à l'histoire, d'abord en ce qui concerne le dernier enfant resté cygne. D'autres auteurs avaient déjà eu l'idée de lui rendre sa forme humaine, mais sa chaîne avait perdu un maillon, et on avait bien vu qu'il ne pouvait redevenir homme tout à fait: force était bien de lui laisser par exemple une aile de cygne. Pour notre poète, la chaîne tout entière a été fondue; il faut donc, pour délivrer le jeune homme, un grand miracle. Ce miracle

a lieu pendant une double messe célébrée sur les instructions d'Hélias: le cygne est couché sur un lit entre deux autels, et deux prêtre officient avec deux calices provenant des deux coupes fondues jadis par l'orfèvre. Redevenu homme, il reçoit le nom d'Esmerés. (Et c'est un autre cygne qui emmène Hélias dans la barque.)

Quant à Hélias, après sa disparition, il s'est retiré au fond de la forêt, à l'emplacement de l'ermitage de son enfance. L'ermite était mort. Là, plein du souvenir de son bonheur passé, il fait construire un château tout semblable à celui de Bouillon, où sa femme et les siens le pleurent; et la forêt tout autour, il l'appelle comme l'autre: Ardenne. Il n'oublie pas Dieu, et fait également construire une abbaye où il se rend moine. C'est là que sa femme et sa fille Ida finissent par le retrouver, le dernier jour de sa vie, et il meurt entre leurs bras.

***

Nous viendrons ailleurs à l'histoire de Godefroid de Bouillon (plus de 30.000 vers dans notre texte). Mais il reste la question de savoir pourquoi on a rattaché sa naissance à la légende du Chevalier au cygne. Quel motif a pu inspirer à un trouvère du XIIème siècle, vraisemblablement un Belge, ce rapprochement? On ne sait. Encore si la maison de Bouillon, ou celle de Boulogne, avaient un cygne dans leurs armoiries; mais elles n'en ont pas. Lors du siège de Jérusalem, dans notre chanson du XIVème siècle, c'est encore un cygne qui, après avoir tournoyé un moment au-dessus de la tête de Godefroid, va se poser sur une des tours de la ville, indiquant par là l'endroit qu'il faut attaquer. Mais le thème du cygne, ainsi renouvelé, n'est évidemment qu'une sorte de corollaire à la légende du Chevalier, laquelle semble avoir été rattachée à Godefroid sans autre raison que le désir de lui attribuer une ascendance poétique. On sait que d'autres maisons, notamment celle de Clèves, ont prétendu également, et sans plus de fondement, descendre du Chevalier au cygne. Pour Godefroid de Bouillon, s'il ne suffit pas de dire que la légende du chevalier au cygne est originaire de Basse-Lorraine, dont il était duc, le problème est encore sans réponse. Il reste proposé à la perspicacité des chercheurs.

HERMAN DOPP

SCIENCE AND SENTIMENT

AN EXPOSITION AND CRITICISM OF THE WRITINGS OF PARETO

by

E. E. EVANS-PRITCHARD

This paper is a section of an *Histoire des Doctrines* of Primitive Mentality. It aims at showing what in Pareto's work is directly relevant to the methods and observations of Social Anthropology. It is further the chronicle of an attempt by Pareto to apply to documents about civilized peoples the same comparative analysis as was applied to documents about savages in the great classics of social anthropology, *Primitive Culture*, *The Golden Bough*, *Les Fonctions Mentales*, etc. When we realise that Pareto reached the same conclusions about 'civilized' behaviour as Levy-Bruhl reached about 'savage' behaviour it will readily be granted that his writings are of concern to anthropologists and that if the rigid division of social studies into those that deal with civilized peoples and those that deal with primitive peoples is to be maintained it can only be as a temporary convenience.

In Vilfredo Pareto's vast *Trattato di Sociologia Generale*[1] over a million words are devoted to an analysis of feelings and ideas. The treatise is always amusing and is born of wide reading and bitter irony. But Pareto must be classed as political philosopher rather than sociologist. His were the brilliance and shallowness of the polemicist and the popularizer of scientific method. Like so many Italian students Pareto was a quarter of a century behind the rest of the scientific world so that his constant jibes and jeers at phantom enemies become tedious. It is surely unnecessary to

---

(1) *Trattato di Sociologia Generale*. 1st ed. 2 vols., Florence, 1916. A French translation under the title "*Traité de Sociologie générale*", was published in two volumes in Paris in 1917 and an English translation under the title of "*The Mind and Society*" was published in four volumes in London in 1935. I have only second-hand acquaintance with Pareto's other three important works: *Cours d'économie politique professé à l'Université de Lausanne*, Lausanne, 1896-7; *Les systèmes socialistes*. Paris, 1902-3; and *Manuel d'économie politique* Paris, 1909.

spend two thousand pages in contraverting the opinions of philosophers, priests and politicians. Moreover, Pareto was a plagiarist, and a very foolish one. One might think that he was unaware of contemporaneous sociological literature and such may indeed have been the case. He does not mention the works of Durkheim, Freud, and Lévy-Bruhl, to cite only three savants, though they had dealt with the same problems of sentiments, rationalizations, and non-logical thought, that he was enquiring into. Even if he were ignorant of these works he certainly took many of his ideas, without due recognition, from earlier writers whom he often repaid with abuse. Of these I will mention only Bentham, Marx, Nietzsche, Le Bon, James, Sorel, Comte, and Frazer. Many authors are held up to derision because they use metaphysical terms, for Pareto throughout his prolix and ill-arranged arguments makes much ado about remaining in the scientific (logico-experimental) field. Nevertheless, he is often as open to criticism on this score as those whom he ridicules[1].

It may be asked why we trouble to digest a book whick is so bad. Pareto tried to solve a number of genuine problems and we can learn as much from his failure as from his success about the nature of the problems themselves and the termino-logical and methodological difficulties involved in an enquiry into them. The data he cites and his treatment of it also provide an illuminating commentary on the theories of a number of writers, especially on Lévy-Bruhl's theory of primitive mentality because both men were

(1) This is well noted by Dr. Franz Borkenau (*Pareto*, London 1936). He is easily the best critical comentator on the *Trattato*. A good critical account is Sorokin's section on Pareto in his *Contemporary Sociological Theories* (New York and London, 1928). A useful precis and exposition is contained in G.C. Homans and C.P. Curtis, *An Introduction to Pareto. His Sociology*. New York, 1934, and G.H. Bousquet's *Précis de Sociologie d'après Vilfredò Pareto* (Paris, 1925) and his *Vilfredo Pareto, Sa Vie et son Oeuvre* (Paris 1928). L. J. Henderson's *Pareto's General Sociology. A Physiologist's Interpretation* (Cambridge, U.S.A., 1935) has little merit. Some of the comments made by Arthur Livingston, editor and part translator of the English edition, *The Mind and Society*, will be found useful even though he speaks as if he were the exponent of a new religion. A fuller bibliography will be found in Sorokin's book and in Bousquet's biography.

trying to classify types of thought and to discover their interrelations.

The treatise contains five major propositions.

1. There are sentiments ('residues') making for social stability ('group persistences') and sentiments making for social change ('instinct for combinations'). The study of these sentiments, of their persistence, distribution, and inter-relations, in individuals and groups, is the whole subject-matter of sociology.

2. Sentiments are expressed not only in behaviour but also in ideologies ('derivations'). These are of very little social importance compared with sentiments and the only point in studying them is to discover the sentiments they both express and conceal.

3. Individuals are biologically heterogeneous. In any society a few are superior ('élites') to the rest and are the natural leaders of a community.

4. The form and durability of a society depends on (a) the distribution and mobility of these superior persons in the social hierarchy, and (b) the proportion of individuals in each class who are mainly motivated by sentiments that make for stability ('rentier' type) or by sentiments that make for change ('speculator' type).

5. There are alternating periods of change and stability due to variation in the number of biologically superior persons in the classes ('circulation of élites') and to the proportion of rentier and speculator types in the governing class ('distribution of residues'). The first two propositions are more directly relevant to a study of primitive mentality than the others.

There are six classes of residues: (1) Instinct for combinations (2) Group-persistences (persistence of aggregates) (3) Need of expressing sentiments by external acts (activity, self-expression) (4) Residues connected with sociality (5) Integrity of the individual and his appurtenances (6) The sex residue.

Most actions that are expressions of these residues are non-logical in character and are rigidly distinguished by Pareto from logical actions which derive from, and are controlled by, experience. Pareto includes thought (speech-reactions) as well as behaviour in his concept of 'actions'. Logico-experimental thought depends on

facts and not the facts on it and its principles are rejected as soon as it is found that they do not square with the facts. They assert experimental · uniformities. Non - logico - experimental theories are accepted *a priori* and dictate to experience. They do not depend on the facts but the facts depend on them. If they clash with experience, in which term Pareto includes both observation and experiment, arguments are evoked to re - establish the accord· Logical actions derive mainly from processes of reasoning while non - logical actions derive mainly from sentiments. Logical actions are found connected with arts, sciences, economics, and in military, legal and political operations. In other social processes non - logical actions predominate.

The test between logical and non - logical actions is whether their subjective purpose accords with their objective results, i.e. whether means are adapted to ends. A logical proposition is demonstrable by observation and experiment. The sole judge of the logico - experimental value of a notion or action is modern science.

Pareto quotes Hesiod "Do not make water at the mouth of a river emptying into the sea, nor into a spring. You must avoid that. Do not lighten your bowels there, for it is not good to do so."[1] Both of these injunctions are non - logical actions. The precept not to befoul drinking water has an objective result, probably unknown to Hesiod, but no subjective purpose. The precept not to befoul rivers at their mouths has neither objective rusult nor subjective purpose. The precepts belong to Class II Genus 3 and Class II Genus I in Pareto's synoptic scheme of classification[2].

GENERA AND SPECIES,	HAVE THE ACTIONS LOGICAL ENDS ANS PURPOSES.	
	Objectively?	Subjectively?
Class 1. Logical Actions. (The objective and the subjective purpose are identical)	Yes	Yes

(1) *The Miud and Society*, p. 79.

(2) *Idem*, p. 78.

Class 2. Non-Logical Actions.

(The objective end differs from the subjective Purpose).

Genus 1	No	No
Genus 2	No	Yes
Genus 3	Yes	No
Genus 4	Yes	Yes

SPECIES OF THE GENERA 3 AND 4

3 a, 4 a, The objective end would be accepted by the subject if he knew it.

3 b, 4 b, The objective end would be rejected by the subject if he knew it.

"The ends and purposes in question are immediate ends and purposes. We choose to disregard the indirect. The objective end is a real one, located within the field of observation and experience, and not an imaginary end, located outside that field. An imaginary end may, on the other hand, constitute a subjective purpose[1]".

If there is no real end then an action or proposition cannot very well be judged by reference to scientific values because it lies outside the logico-experimental field where alone science can operate, e.g. "When St. Thomas (Aquinas) asserts that angel speaks to angel, he sets up a relation between things about which the person keeping strictly to experience can say nothing. The case is the same when the argument is elaborated logically and one or more inferences are drawn. St. Thomas is not content with his mere assertion; he is eager to prove it, and says: 'Since one angel can express to another angel the concept in his mind, and since the person who has a concept in his mind can express is to another at will, it follows that one angel may speak to another'. Experimental science can find no fault with the argument. It lies altogether outside its province[2]".

---

(1) *Idem*, p. 78.

(2) *Idem*, p. 289.

Pareto is aware of the fact that from the standpoint of formal ogic the validity of premises is irrelevant, all that is required being sound reasoning from the premises. However, he chooses to speak of thought and action as logical when they are in accord with reality and are adapted to the end at which they aim and as non-logical when they are not, from the point of view of science, in such accord nor so adapted.

"Every social phenomenon may be considered under two aspects: as it is in reality, and as it presents itself to the mind of this or that human being. The first aspect we shall call *objective*, the second *subjective*. Such a division is necessary for we cannot put in one same class the operations performed by a chemist in his laboratory and the operations performed by a person practising magic; the conduct of Greek sailors in plying their oars to drive their ship over the water and the sacrifices they offered to Poseidon to make sure of a safe and rapid voyage. In Rome the Laws of the XII Tables punished anyone casting a spell on a harvest. We choose to distinguish such an act from the act of burning a field of grain.

"We must not be misled by the names we give to the two classes. In reality both are subjective, for all human knowledge is subjective. They are to be distinguished not so much by any difference in nature as in view of the greater or lesser fund of factual knowledge that we ourselves have. We know, or think we know, that sacrifices to Poseidon have no effect whatsoever upon a voyage. We therefore distinguish them from other acts which (to our best knowledge, at least) are capable of having such an effect. If at some future time we were to discover that we have been mistaken, that sacrifices to Poseidon are very influential in securing a favourable voyage, we should have to reclassify them with actions capable of such influence. All that of course is pleonastic. It amounts to saying that when a person makes a classification, he does so according to the knowledge he has. One cannot imagine how things could be otherwise.

"There are actions that are means appriopriate to ends and which logically link means with ends. There are other actions in which those traits are missing. The two sorts of conduct are very diffe-

rent according as they are considered under their objective or their subjective aspect. From the subjective point of view nearly all human actions belong to the logical class. In the eyes of the Greek mariners sacrifices to Poseidon and rowing with oars were equally logical means of navigation. To avoid verbosities which could only prove annoying, we had better give names to these types of conduct. Suppose we apply the term *logical actions* to actions that logically conjoin means to ends not only from the standpoint of the subject performing them, but from the standpoint of other persons who have a more extensive knowledge - in other words, to actions that are logical both subjectively and objectively in the sense just explained. Other actions we shall call *non-logical* (by no means the same as 'illogical')[1]."

Besides asking (1) whether a belief is scientifically valid ('objective aspect') we may also ask (2) why do certain individuals assert the belief and others accept it ('subjective aspect') and (3) what advantage or disadvantage has the belief for the person who states it, for the person who accepts it, and for society as a whole ('aspect of utility'.) Like many other writers (Mill, James, Vaihinger, Sorel, etc.). Pareto emphasizes that an objectively valid belief may not be socially useful or have utility for the individual who holds it. A doctrine which is absurd from the logico-experimental standpoint may be socially beneficial and a scientifically established doctrine may be detrimental to society. Indeed Pareto states it as his aim to demonstrate "experimentally the individual and social utility of of non-logical conduct.[2]"

How does non-logical behaviour gain acceptance among people capable of logical behaviour? Why do people believe in foolish doctrines? Tylor and Frazer say it is because they reason erroneously from correct observations. Lévy-Bruhl says it is because they passively accept collective patterns of thought in the society into which they are born. According to Pareto the answer is found in their psychic states expressed in residues, the six classes of

(1) *Idem*, pp. 76-77.

(2) *Idem*, p. 35. See also Pareto's *Le mythe vertuïste et la littérature immorale*, Paris, 1911.

which have been ennumerated. As Pareto does not pay great attention to the last four classes of residues we will transcribe the sub-divisions of the first two classes only.

CLASS I.

INSTINCT FOR COMBINATIONS.

I a. Generic combinations.

I b. Combinations of similars or opposites.

I b (1) Generic likeness or oppositeness.

I b (2) Unusual things and exceptional occurrences.

I b (3) Objects and occurrences inspiring awe or terror.

I b (4) Felicitous state associated with good things; infelicitous state, with bad.

I b (5) Assimilation: physical consumption of substances to get effects of associable, and more rarely of opposite, character.

I c Mysterious workings of certain things; mysterious effects of certain acts.

I c (1) Mysterious operations in general.

I c (2) Mysterious linkings of names and things.

I d Need for combining residues.

I e Need for logical developments.

I f Faith in the efficacy of combinations.

CLASS II.

GROUP-PERSISTENCES (PERSISTENCE OF AGGREGATES)

II a Persistence of relations between a person and other persons and places.

II a (1) Relationships of family and kindred groups.

II a (2) Relations with places.

II a (3) Relationships of social class.

II b Persistence of relations between the living and the dead.

II c Persistence of relations between a dead person and the things that belonged to him in life.

II d Persistence of abstractions.

II e Persistence of uniformities.

II f Sentiments transformed into objective realities.

II g Personifications.

II h Need of new abstractions[1].

This classification will strike the reader as being a number of arbitrary, haphazard, categories, but it is only fair to an author to try to discover the meaning behind his words so we will give one illustration of each sub-division of Class I and seek in these for an interpretation of 'residues'.

I (a).

Generic Combinations. Example: Pliny gives as remedies for epilepsy "bears' testicles, wild boars' testicles, wild boars' urine (which is more effective when allowed to evaporate in the animals' bladder); hog's testicles dried, triturated, and beaten in sow's milk; hares' lungs taken with frankincense and white wine[2]". (This residue comprises those magical associations of which Tylor says that they either never had rational sense or if they once had rational sense it has been forgotten, i.e. we can perceive no ideal link between the diseases and the drugs intended to cure them).

I b (1).

Combinations of similars or opposites; Generic likeness or oppositeness. These are the principles of *similia similibus curantur* and *contraria contrariis.* Example: The witch in Theocritus says "Delphis (her lover) has tormented me. A laurel-branch I burn upon Delphis. Even as this crackles aloud when it is kindled, and burns in a flash so that not even its ashes do we see, so may the flesh of Delphis be consumed by the fire.......... Even as I melt the wax with the help of a God, so may Delphis the Myndian be

---

(1) *Idem,* pp. 516-517.

(2) *Idem,* p. 522.

likewise melted with love; and as I turn this rhomb of bronze, so may he (Delphis) be turned by Aphrodite towards my threshold[1]".

(This residue comprises associations of ideas in magic of which Tylor wrote and which are analysed at length by Frazer and classed by him as ('Homoephathic magic').

I b (2).

Unusual things and exceptional occurrences. Example: Suetonicus records that, "Once upon a time a thunderbolt fell on the walls of Velitrae (Vellitri), and that incident was taken as a presage that a citizen of that city was to hold supreme power. Strong in that faith the Velitrians made war on the Romans, but with little success. 'Not till years later did it become manifest that the presage had foretold the advent of Augustus,' who came of a family of Velitrae[2]". (This residue includes omens and portents).

I b (3).

Objects and occurrences inspiring awe and terror. Example: "This residue appears almost always by itself in certain situations of which the following is typical. Speaking of the Cataline affair, Sallust relates, *Bellum Catilinae*, XXII: 'There were those at the time who said that after Catiline had finished his address he pressed his comrades in crime to take an oath, and passed around bowls of human blood mixed with wine, whereof after they all had tasted, with imprecations upon traitors, as is the custom in solemn sacrifices, he made known his design to them, saying that he had done as he had to the end that each having such a great crime to the charge of the other, they would be the less likely to betray one another. Some hold that these and many other stories were invented by certain individuals who thought to mitigate the unpopularity that later arose against Cicero by stressing the enormity of the crime of the men who had been punished'.

Whether this story be true or a fabrication, the fact of the association of two terrible things remains: a drinking of human blood and a conspiracy to destroy the Roman Republic'".

---

(1) *Idem*, p. 533.

(2) *Idem*, p. 541.

(3) *Idem*, pp. 552-553.

I b (4).

Felicitous state associated with good things, infelicitous state, with bad. Example: "The ancient Romans credited the gods with the successes of their republic. Modern peoples attribute their economic betterment to corrupt, ignorant, altogether contemptible parliaments. Under the old monarchy in France the king partook of the divine. When something bad occurred, people said: 'if the King only knew'. Now the republic and universal suffrage are the divinities, 'Universal suffrage, the master of us all'. Such the slogan of our Deputies and Senators who are elected by the votes of people who believe in the dogma, "Ni Dieu, ni Maître!'"[1].

I b (5).

Assimilation. Physical consumption of substances to get effects of associable, and more rarely of opposite, character. Example: "In view of and considering the strength, courage, and fleetness of foot of Achilles, some were pleased to assume that in his childhood he had been fed on marrow from the bones of lions and other specified bear's marrow and the viscera of lions and of wild boars[2]". (This residue corresponds to Frazer's category of "Contagious magic").

I c.

Mysterious workings of certain things: mysterious effects of certain acts. This residue figures in amulets, oaths, ordeals, and taboos.

I c (1).

Mysterious operations in general. Example: According to Tertullian "Among the heathen there is a dreadful thing called the *fascinum*", 'the spell', which comes as the unfortunate result of excessive praise and glory. This we sometimes believe to be the work of the Devil, because he hates whatever is good, sometimes the work of God, for of Him comes judgment on pride in an exalting of the lowly and a humbling of the haughty[3]".

---

(1) *Idem*, p. 558.

(2) *Idem*, p. 561.

(3) *Idem*, pp. 572-573.

I c (2)

Mysterious linkings of names and things. Example: St. Augustine says "In a perfect number of days, to wit, in six, did God finish his handiwork[1]".

I d.

Need for combining residues. Example: "The human being is loth to dissever faith from experience; he wants a completed whole free from discordant notes. For long centuries Christians believed that their scriptures contained nothing at variance with historical or scientific experiences. Some of them have now abandoned that opinion as regards the natural sciences but cling to it as regards history. Others are willing to drop the Bible as science and history, but insist on keeping at least its morality. Still others will have a much-desired accord, if not literally, at least allegorically, by dint of ingenious interpretations. The Moslems are convinced that all mankind can know is contained in the Koran. The authority of Homer was sovereign for the ancient Greeks. For certain Socialists the authority of Marx is, or at least was, just as supreme. No end of felicitous sentiments are harmonised in a melodious whole in the Holy Progress and the Holy Democracy of modern peoples[2]".

I e.

Need for logical developments. "The demand for logic is satisfied by pseudo-logic as well as by rigorous logic. At bottom what people want is to think - it matters little whether the thinking be sound or fallacious...... We should not forget that if this insistence on having causes at all costs, be they real or imaginary, has been responsible for many imaginary causes, it has also led to the discovery of real ones. As regards residues, experimental science, theology, metaphysics, fatuous speculations as to the origins and the purposes of things, have a common point of departure: a resolve, namely, *not* to stop with the last known cause of the known fact, but to go beyond it, argue from it, find or imagine something beyond that limit. Savage peoples have no use for the metaphysical speculations of civilized countries, but they are also

(1) *Idem*, p. 586.

(2) *Idem*, pp. 588-589.

strangers to civilized scientific activity; and if one were to assert that but for theology, and metaphysics experimental science would not even exist, one could not easily be confuted. Those three kinds of activity are probably manifestations of one same psychic state, on the extinction of which they would vanish simultaneously[1]" Example: None is specially cited but the entire collection of derivations afterwards ennumerated by Pareto exemplify this residue.

I f.

Faith in the efficacy of combinations. Example: "Speaking in general, the ignorant man is guided by faith in the efficacy of combinations, a faith wich is kept alive by the fact that many combinations are really effective, but which none the less arises spontaneously within him, as may be seen in the child that amuses itself by trying the strangest combinations. The ignorant person distinguishes little if at all between effective and ineffective combinations. He bets on lottery numbers according to his dreams just as confidently as he goes to the railroad station at the time designated in the time-table. He thinks it quite as natural to consult the faith-curer or the quack as to consult the most expert physician. Cato the Elder hands out magical remedies and directions for farming with the same assurance[2]".

Pareto does not consider that logical actions are to be distinguished from non-logical actions on psychological grounds. "If a person is convinced that to be sure of a good voyage he must sacrifice to Poseidon and sail in a ship that does not leak, he will perform the sacrifice and caulk his seams in exactly the same spirit[3]".

It is not entirely clear what Pareto means by residues. Evidently he knew very little psychology and preferred to be as vague as possible at this and of his study. His critics end disciples do not enlighten us about residues. Borkenau says that the concept has

(1) *Idem.* pp. 590 - 591.

(2) *Idem.* pp. 593 - 594.

(3) *Idem,* p. 210.

the qualities of being unchangeable, meaningless, and unintelligible[1]. Sorokin says that they are relatively constant "drives" which are neither instincts nor sentiments. He compares them, among other things, to 'dispositions' and 'complexes'[2]. Bousquet says that they are certain tendencies, certain sentiments[3].

I interpret his writings like Homans and Curtis who describe residues as the common element in " certain utterances and writings", as an abstraction from "the observed sayings of men". Nevertheless, in their exposition they prefer to apply the term also to certain hypothetical sentiments. They say "Strictly, they (residues) are not parts of a conceptual scheme, but uniformities abstracted from the observed sayings of men. Common-sense, however, has set up a conceptual scheme which in our habits of thought is so closely joined with observations that it is inconvenient to separate them. We all observe that we say and do certain things, but we all feel as well that we have sentiments connected with these sayings and doings. Therefore the word 'residues' will be used to mean 'sentiments'. For it is not worth while to sacrifice the directness of the language of common - sense for the sake of a consistent rigour[4]".

Pareto himself often speaks of 'sentiment' instead of 'residue. In an address at Lausanne he said, "L'activité humaine a deux branches principales: celle du sentiment et celle des recherches expérimentales. On ne saurait exagérer l'importance de la première. C'est le sentiment qui pousse à l'action, qui donne la vie aux règles de la morale, au dévouement, aux religions, sous toutes leurs formes si complexes et si variées. C'est par l'aspiration à l'idéal que subsistent et progressent les sociétés humaines. Mais la seconde *branche est aussi essentielle pour ces sociétés; elle fournit* la matière que met en œuvre la première; nous lui devons les connaissances qui rendent efficaces l'action et d'utiles modifications du sentiment, grâce

---

(1) Borkenau, *op. cit.*, p. 48.

(2) Sorokin, *op. cit.*, p. 48.

(3) Bousquet, *op. cit.*, p. 135.

(4) Homans and Curtis, *An Introduction to Pareto, His Sociology*, pp. 87-89.

auxquelles il s'adapte peu à peu très lentement, il est vrai, aux conditions de l'ambiant.

Toutes les sciences, les naturelles comme les sociales, ont eu, à leur origine, un mélange de sentiments et d'expériences. Il a fallu des siècles pour opérer une séparation de ces éléments, laquelle, à notre époque, est presque entièrement accomplie, pour les sciences naturelles et qui a commencé et se poursuit pour les sciences sociales[1]".

But Pareto uses the word 'sentiment' only as a useful concept and not as something which can be observed. Though he often speaks of sentiments and residues as though they were interchangeable terms in his scheme they strictly refer to quite distinct things. We observe that men act in certain ways in certain situations and we find that there is a common factor in their behaviour. This constant element in the behaviour - patterns is the residue and is the important variable in a complex of real behaviour. What is inconstant are the derivations which are the unimportant variable in the complex. The residues and the derivations are therefore observed facts and the sentiment is a conceptualization of the facts, i. e. is the facts translated into a system of ideas.

We can best understand Pareto's scheme by quoting examples. We see that certain insects *(Eumenes* and *Cerces)* prepare a food supply for their worms and that all members of these species prepare it in very much the same way. What is variable in their behaviour is a derivation[2]. What is common to all insects of the species is a residue; i. e. what remains after all variations have been abstracted (it is the purest tupe of non-logical action and belongs to Genus 3 in Pareto's synoptic scheme). We conceptualize this common behaviour and call it instinct. We do this for our own convenience. Similarly tt is convenient to speak of an instinct for nestbuilding in Birds since it obstructs thought if we have always to describe

(1) Journal d'Economie Politique, 1917, pages 426 *seq.* (Quoted as appendix to Homans and Curtis, *An Introduction to Pareto. His Sociology.*

(2) To Conform to Paretian usage one should say it is analogous to *derivations* because he does not consider *derivations* to occur in animal behaviour.

the whole range of like behaviour for which the word 'instinct' stands in a conceptuai scheme. Those who do not like the word may substitute for it the behaviour. When we speak of instinct we make no statement about the psychophysiological action that may accompany, or even cause, behaviour, but we speak of observed behaviour alone.

The word 'sentiment' is used in the same manner. A residue is what is constant in a range of behaviour, i.e. it is a constant uniformity. An observer notes that in England people react in certain situations to certain symbols such as 'King' and 'Union Jack'. He abstracts from their behaviour what is Constant in individuals and cermeonies. This is the residue. It is a pure abstraction because it will not be observed except in combination with the variable elements in real behaviour but it is observable behaviour none the less. For sake of convenience we refer to the residue as the 'sentiment of patriotism' and we say that the behaviour both expresses and strengthens the sentiment. This hypothetical entity denotes a psychological state and therefore may not refer to anything observable and describable but it is useful because it enables us to relate a great number of facts to one another in the same way as the notion of gravitation enabled people to relate falling apples, the motion of the planets, and many other observations, to one another.

Pareto finds in his survey of literature that in many countries and times when a storm arises at sea people do something to quell it. They may make magic, or pray to the Gods, or do something else. Exactly what they do is, from his point of view, irrelevant. That they feel something can be done to quiet the storm and that they do this something, are the important facts. Men have always feasted but many different reasons are given for their banquets. "Banquets in honour of the dead become banquets in honour of the Gods, and then again banquets in honour of saints; and then finally they go back and become merely commemorative banquets again. Forms can be changed, but it is much more difficult to suppress the banquets. Briefly (and therefore not very exactly) one might say that a religious custom or a custom of that general character offers a less resistence to change, the farther

removed it stands from its residues in simple associations of ideas and acts, and the larger proportion it contains of theological. metaphysical, or logical concepts'[1]. The banquet is the residue; the reason for holding it is the derivation. But it is no special kind of banquet but simply the act of banqueting at all times and in all places that is Pareto's residue.

I will give two final examples to illustrate Pareto's use of 'residue' and 'sentiment'.

CONCEPTUAL PLANE.	OBSERVATIONAL PLANE.	
Sentiment.	*Residue*.	*Real Behaviour*.
		abc
A ————————————	a ————————	ade
		afg
		ahi

Let us take a hypothetical African people who in drought perform a cermeony to make rain. Their rites are *abc*. Christian missionaries convert them and now when they want to make rain they go into a church and the minister prays for rain. These Christian rites – *ade*. The people, however, become converted to Islam and adopt new rites to obtain rain, namely *afg*. Later they relapse into paganism again but having forgotten their ancient rites of rain-making borrow those of a neighbouring people, namely *ahi*. When we compare all these rites we find they have a common element, a, in that in the situation of drought a cermeony is held to obtain rain, and there may be common elements in the rites themselves e.g. prayers to a Divinity and so forth. However. in real situations these common elements are always found with the other and variable elements. The residue is an abstraction from these real situations. Those who find that it helps them to understand the facts better by saying that this African people have a social sentiment. A. in regard to rain and account for the constant behaviour they observe by attributing it to the sentiment are in no danger so long as they realise what they are doing, i. e. that they are merely conceptualizing the residue.

(1) Pareto, *The Mind and Society*, p. 607.

We need not have taken an hypothetical African tribe. Let us take abc = Christianity, ade = Islam, afg = Hinduism, ahi = Christian science. The theologies and rites of these religions are very different. Let us consider only one element in the complex, namely, moral conduct. All these religions condemn adultery, theft, murder, incest, etc., and the peoples in those societies where the religions hold sway express horror at the breach of the moral code; the great majority observing it and punishing those who break it. Conduct is constant and uniform. Only the reasons given for the conduct and the sanctions which are associated with it differ in many particulars. This is an observable fact. Those who like to conceptualize it by referring to religious sentiments are at liberty to do so.

From what has been said about 'residues' the meaning Pareto attaches to 'derivations' will be apparent. Strictly derivations are relatively inconstant elements in a range of behaviour. In the above diagram they are b, c, d, e, f, g, h, i. But Pareto generally uses the term to denote what are often called ideologies or speech - reactions, i. e. the reasons men give for doing things. He thus contrasts the sentiment and the action which expresses it with the explanation men advance to justify their action. He recognizes, however, that sentiments are expressed in both action and ideologies because men not only have a need for action but also a need for intellectualizing their actions, though whether by sound or absurd arguments matters little. What is done and said need have no direct relation to a sentiment but they satisfy needs for action and intellectual justification.

Pareto saw the sentiment, the behaviour, and the ideology as existing in a functional relationship. The behaviour and the ideology are derivatives of the sentiment and of these two the relatively constant behaviour is the more important variable.

Above all Pareto objected, like Durkheim, Lévy - Bruhl, and many other writers, to theories that interpret behaviour by reference to the reasons that men give to explain it. He severely criticises Spencer and Tyler for suggesting that primitive peoples argued logically from observation of phenomena that souls and ghosts must exist and that they instituted a cult of the dead in consequence of

their logical conclusions. Likewise he criticised Fustel de Coulanges for saying that from the religion of the hearth human beings learned to appropriate the soil and on their religion based their title to the soil. Pareto remarks that religion and ownership of land are likely to have developed side by side. Coulanges further said that the family, which by religion and duty remained grouped aroud its altar became fixed to the soil like the altar itself. Pareto comments that what obviously happened was that certain people came to live in separate families fixed to the soil and one of the manifestations of this mode of life was a certain kind of religion which in its turn reacted on the mode of life and contributed towards keeping the famillies separate and fixed to the soil. The relationship is not a simple cause-effect relationship but one of reciprocal interdependence. Family life, cult, and system of beliefs, interact on one another and strengthen one another.

Nevertheless, although ideologies may react on sentiments it is the sentiments that are basic and durable. A particular ideology may change but the sentiment that gave rise to it will remain and an entirely different ideology may take the place of the previous one. In fact the same residue may give rise to apposed derivations, e. g. the sex residue may be expressed in a violent hatred of all sex manifestations. Therefore the derivations are always dependent on the residue and not it on them. It is a one-sided functional relationship.

Hospitality is universal so that when the Greeks said that a man must be hospitable to strangers because "Strangers and beggars come from Zeus" we can leave Zeus out of consideration. The Greeks "were merely voicing their inclination to be hospitable to visitors, and Zeus was dragged in to give a logical colouring to the custom, by implying that the hospitality was offered either in reverence for Zeus, or to avoid the punishment that Zeus held in store for violators of the precept"[1]. Other peoples give different reasons for hospitality but all insist on the hospitality. The giving of hospitality is the residue; the reason for giving it is the derivation. The feelings and the behaviour to which they give rise are

---

[1] *Op. cit.* p. 215.

the important things. The reasons for the behaviour do not matter. Almost any reason will serve the purpose equally well, and, therefore even if a man can be convinced that his reasons for doing something he is very desirous of doing are erroneous he is unlikely to cease his action but will rather look for a new set of reasons to justify his conduct. Hence Pareto, unexpectedly, quotes Herbet Spencer with approval when he says that not ideas but feelings, to which ideas serve only as a guide, govern the world.

"Logically", Pareto wrote, "one ought first to believe in a given religion and then in the efficacy of its rites, the efficacy logically, being the consequence of the belief. Logically, it is absurd to offer a prayer unless there is someone to hearken to it. But non-logical conduct is derived by a precisely reverse process. There is first an instinctive belief in the efficacy of a rite, then an 'explanation' of the belief is desired, then it is found in religion"[1].

In fact there ar certain elementary types of behaviour, found in all societies, in similar situations, and directed towards similar objects. These, the residues, are relatively constant since they spring from strong sentiments. The exact manner in which the sentiments are expressed and the ideologies that accompany their expression are variable. Men in each society express them in the particular idiom of their culture. Logical interpretations especially "assume the forms that are most generally prevalent in the ages in which they are evolved. These are comparable to the styles of costume worn by people in the periods corresponding"[2]. If we want to understand human beings therefore we must always get behind their ideas and study their behaviour and once we have understood that sentiments control behaviour it is not difficult for us to understand the actions of men remote times because residues change little through centuries, even milleniums. How could we still enjoy the poems of Homer and the elegies, tragedies, and comedies of the Greeks and Latins if we did not find them expressing sentiments that, in great part at least, we share?[3]. Pareto's

(1) *Op. cit.* p. 569.

(2) *Op. cit.* p. 143.

(3) *Op. cit.* p. 1183.

conclusion may be summarized in the dictum 'Human nature does not change', or, in his own words "Derivations vary, the residue endures"[1].

I will now note some comments on, and criticisms of, Pareto's theories about residues and derivations. In harmony with the diffuse and disjointed structure of the book I will not attempt general criticism but will isolate a number of points for remark. I select particularly those problems that are relevant to a study of primitive mentality.

(1) Pareto like Tylor, Frazer, and Lévy-Bruhl, employed a faulty comparative method. He took beliefs from here, there and everywhere, and fitted them into his theoretical mosaic. What I have said elsewhere[2] in criticism of this way of writing applies also to Pareto's treatise.

(2). Pareto had this advantage over contemporary anthropologists: he did not have to rely on what travellers and missionaries said about savage superstitions. By restricting his field to classical and post-classical times in European countries he was able to use what the natives themselves said about their beliefs. His main texts were Greek and Roman and mediaeval books.

(3) He had a further advantage in that he was in a sense a fieldworker. It is true that he took all his data from books and newspapers and also that he made a study of ideologies rather than behaviour. But his life was not spent in the study and the walls of a college were not the limits of his experience. In his early life he had been a practical man of affairs and had learnt by observation that there are wide differences between what men say are their aims and what they really want to do. Nevertheless, he could, as a rule, only indirectly apply his observations of human behaviour to interpret his data. Hesiod, Plato, Suetonious, and Aristotle, cannot be cross-examined and we cannot do field-work among the ancient Greeks.

---

(1) *Op. cit.* p. 660.

(2) "The Intellectualist Interpretation of Magic" and "Levy-Bruhl's theory of Primitive Mentality", *Bulletin of the Faculty of Arts*, Egyptian University 1933, 1934.

(4) I have criticized Frazer, for comparing the scientist in modern Europe with the magician and priest in savage and barbarous societies, and Lévy-Bruhl for comparing the modes of thought of an educated European in the 20th century with the beliefs of primitive peoples. Pareto does not make this mistake. He intends to study the part played by logical, and the part played by non-logical, thought and behaviour side by side, and in interaction, in the same culture. His intention was excellent. In fact, however, he does not adhere to this plan. He writes at great length about fallacious beliefs and irrational behaviour but he tells us very little about common-sense beliefs and empirical behaviour. ' Therefore just as Lévy-Bruhl leaves us with the impression of savages who are continuously engaged in ritual and under the dominance of mystical beliefs so Pareto gives us a picture of Europeans at all periods of their history at the mercy of sentiments expressed in a vast variety of absurd notions and actions. If Pareto for civilized peaples, and Lévy-Bruhl for savages, had given us a detailed account of their real life during an ordinary day we would be able to judge whether their non-logical behaviour is as qualitatively and and quantitatively important as the writers' selective methods would lead us to suppose. Actually, I would contend, non-logical conduct plays a relatively minor part in the behsviour of either primitive or civilized men and is relatively of minor importance.

(5) Pareto's work is an amusing commentary on Lévy-Bruhl books. Lévy-Bruhl has written several volumes to prove that savages are prelogical in contrast to Europeans who are logical. Pareto has written several volumes to prove that Europeans are non-logical. It would therefore seem that no one is mainly controlled by reason anywhere or at any epoch. The situation is yet more amusing when we remember that Lévy-Bruhl excused himself from describing the characteristics of civilized mentality on the grounds that ancient and modern savants have adequately defined them. For Pareto bases his contention that civilized thought is primarily non-logical on the writings of these same savants[1].

(1) *Cp.* J. L. Myres "The Methods of Magic and of Science", *Folklore*, vol. 36 1925. For his magical data Prof. Myres does not find it necessary to go further than the usitings of his anthropological Colleagues.

(6) Indeed one of the reasons why I have chosen to analyse Pareto's treatise is to bring out the fact that a study of unscientific thought and ritual behaviour cannot be restricted to primitive societies but must be extended to civilized societies also. He allows to common-sense notions and empirical behaviour about as much place in Greek, Roman, and modern European communities as Lévy-Bruhl allows them in central African, Chinese, and North American Indian communities. He admits that perhaps people are a little more reasonable than they used to be, but so little more that it is scarcely to be observed. Our diagram to illustrate Pareto's views is therefore thus:-

	Logico-experimental.	Non logico-experimental.
Later periods of history.		
Earlier periods of history.		

The relation of the logico-experimental field to the non-logico-experimental field is fairly constant throughout history. Also by his analysis of human behaviour and his classification of it into residual categories Pareto establishes sociological uniformities that may serve as units of comparison. If his analysis is correct it would seem disadvantageous to maintain studies of primitive societies and of civilized societies as separate disciplines as is the present scientific policy.

(7) Another reason why I devote so much space to a consideration of Pareto's writings is because he emphasizes the need for a clear distinction between logico-experimental thought and behaviour and other forms of thought and behaviour and in doing so raises questions of terminology which, had they been earlier considered, would have prevented much confusion in social anthropology. Pareto's division of thought into two categories, the logico-experimental and the non-logico-experimental. is excellent and is necessary if we are golng to investigate the part played by logico-experimental thought in society.

But it must be remembered, firstly, that our classification is never absolute since it is always relative to present-day knowledge, and, secondly, that it tells us nothing about the psychological and sociological qualities of the facts under investigation. It tells us only whether a proposition is valid, whether an inference from it is sound, and whether behaviour based upon it is adapted to the end towards which it is directed. It is possible that from the logico-experimental view-point two propositions, A and B, may be placed in opposite categories whereas from the psychological or sociological view-points they may be placed in the same category. Pareto understands that facts must be classified according to the point of view of the observer and that the classification of one observer will therefore be different from the classification of another observer. Thus he points out that the logico-experimental and the non-logico-experimental actions of Greek sailors are psychologically the same,

But Pareto's terminology is not acceptable because his non-logico-experimental category does not really tell us about the validity of inferences from propositions but only about the validity of the propositions themselves. Lévy-Bruhl saw that primitive thought is coherent and that savages make valid inferences from propositions even thought the propositions are not in accord with experience but are dictated by culture and are contained in beliefs that are demonstrably false from a logico-experimental standpoint. It is unfortunate, therefore, that he chose to speak of primitive notions as prelogical because we then have to talk about prelogical logic which is very inconvenient. Pareto, more clearly than Lévy-Bruhl,

has stated that human thought and actions are in logical accord with propositions but when the propositions are invalid he calls them non-logical. This creates an even worse terminological muddle for we have then to speak of non-logical logic.

Lévy-Bruhl and Pareto both wanted to make the same point and both used the same cumbrous terminology. In science the validity of premises and the logical co-ordination of propositions are everything and the scientist aims always and above all to test his thought by observation and experiment and to avoid contradiction between his propositions. Outside the field of science a man does not trouble himself whether thought is based on observation and experiment and is not shiously inconvenienced by contradictions between his propositions. He aims always and above all to ensure that his notions and conduct shall be in accord with sentiments and if he can achieve that end their scientific value, and to some extent their logical value, are of little importance. A savage sees an ill-omened bird and abandons his journey to avoid misfortune. His conduct is in accord with a socially determined proposition. He does not consider whether it is experimentally sound because for him the experimental proof is contained in the proposition. A train is wrecked. Some people at once say that communists have wrecked it. That communists could not have been responsible and that it would have been entirely against their interests to have wrecked the train, are irrelevant to such people. They hate communists. A train has been wrecked. Therefore the communists are responsible.

Sentiments are superior to observation and experiment and dictate to them everywhere save in the laboratories of science. What have logico-experimental methods to do with the feelings of a lover, a patriot, a father, a devout Christian, and a communist? A lover is notoriously blind to what is evident to everyone else. What is sense to a communist is nonsense to other people. For in these realms our judgements are made to accord with sentiments and not with observations.

Feelings cannot be logical or otherwise and sentiments are outside the domain of science. But when thev are expressed in words the propositions can be classed from the point of view of

formal logic into logical and illogical statements, and from the point of view of science into valid and invalid statements.

Logical reasoning may be unscientific since it is based on invalid premises. It is therefore desirable to distinguish between science and logic. Science is understood in the sense given to the word by most scientific writers on the subject, e. g. Mach, Pearson, and Poincaré. Scientific notions are those which accord with objective reality both with regard to the validity of their premises and to the inferences drawn from their propositions. Unscientific notions are those which are invalid either in their premises or in the inferences drawn irom them. Logical notions are those in which according to the rules of thought inferences would be true were the premises true, the truth of the premises being irrelevant. Illogical notions are those in which inferences would not be true even were the premises true, the truth of the premises again being irrelevant.

Much confusion that has arisen by use of such terms as non-logical and pre-logical will be avoided by maintaining a distinction between logical and scientific. In making pots all grit must be removed from the clay or the pots will break. A pot has broken during firing. This is probably due to grit. Let us examine the pot and see if this is the cause. That is logical and scientific thought. Sickness is due to witchraft. A man is sick. Let us consult the oracles to discover who is the witch responsible. That is logical and unscientific thought.

(8) Pareto makes his writing unnecessarily difficult to follow by speaking of actions as well as speech as logical and non-logical. What he means is that actions can be based on scientifically valid propositions or scientifically invalid propositions. If a man shoots another through the heart it stops beating and dies. Acting on this proposition A shoots B through the heart. This is what Pareto calls a logical action. If a man makes magic against another he dies. Acting on this proposition A makes lethal magic againt B. This is what Pareto calls a non-logical action. It will be more convenient to call the one an experimental, and the other a non-experimental action since the one is from the viewpoint of

observer well adapted to achieve the end aimed at whereas the other is ill-adapted.

Problems of terminology become more difficult when we leave the technological plane and begin to discuss behaviour on the moral plane. In this review, however, we may use Pareto's devicc of contrasting experience with sentiment, science with morals, for I attempt only to expound Pareto's scheme and not to propound a scheme of my own. Like Lévy-Bruhl he defined scientific thought and moral (mystical, non-logico-experimental) thought in the rough and showed that there is a real sociological task to perform in unravelling, and in tracing the development of, their interrelations. Like Lévy-Bruhl, he left detailed analysis to others.

(9) Pareto's reference to sentiment was dangerons. Too often we see him falling into the pit prepared for those who seek to explain behaviour in psychological terms by attributing it to sentiments, needs, dispositions, and so forth. They observe a range of behaviour with a common objective and say that there is a sentiment or instinct that produces the behaviour. They then explain the behaviour by reference to the sentiment or instinct they have hypothesized from the behaviour. Men act in a certain way towards their country's flag. It is assumed from this that there is a sentiment of patriotism and the behaviour is then explained by saying that it springs from a sentiment of patriotism.

Nevertheless in fairness to Pareto it must be admitted that he perceived a basic, perhaps the basic, problem in sociology, and realized that only inductive methods of research will solve it. If different societies are to be compared then it is essential to strip behaviour of its variable characters and to reveal its uniformities, i.e. to reduce observed behaviour to abstractions which will serve as units of comparison. And who would deny that in all societies there is a range of simple and uniform modes of behaviour, call them sentiments or residues, or participations, or merely X, for else how could we, as Pareto asks, so easily understand the speech and behaviour of savages and men of earlier times?

(10) There is a great similarity between Lévy-Bruhl's collective representations and Pareto's derivations, and between Lévy-Bruhl's mystical participations and Pareto's residues. The main theoretical

difference between them is that Lévy-Bruhl regarded the facts as socially determined and thus accounted for acceptance of belief by generality, transmission, and compulsion, whereas Pareto regarded them as psychologically determined and explained them by sentiments and other somewhat mysterious psychological drives. In any society we find a large number of collective reprensentations (derivations) organized into a system. When we analyse them by comparison and remove what is not common to all societies we find a residue of simple modes of behaviour powerfully charged with emotion, e.g. those classified by Pareto as group-persistences: relations of family and kin, relations with places, relations between the living and the dead, and so forth. 'These relations are what Lévy-Bruhl calls mystical participations. Any occurrence is at once, as Lévy-Bruhl puts it, interpreted in terms of the collective representations, and as Pareto puts it, in terms of the derivations. The thought of men is organized not so much by the logic of science as by the logic of collective representations or the logic of sentiments, and an action or statement must accord with the representations, or sentiments, rather than with experience. It is only in the technological field that science has gained ground from sentiment in modern societies. Hence our difficulty in understanding much of primitive magic while we readily appreciate most of their other notions since they accord whith sentiments we ourselves possess for "Derivations vary, the residue endures".

(11) Another cardinal problem perceived by Pareto is the relation between individual psychology and culture. Indeed the treatment of this problem is perhaps the best part of his thesis. There are in all individuals certain psychological traits and in any society there are psychological types and these traits and types will manifest themselves in culture regardless of its particular forms. The sex instinct manifests itself in every society and if it is prohibited in one mode of expression it will manifest itself in another. A dominant and ambitious man will seek power by all means and at all costs whether he is born in China or Peru; whether he enters the army, the church, the law, or academic life; whether for the moment he expresses his ambitions in the idiom of socialism or conservatism. For individuals are not entirely conditioned by culture but only limited by it and always seek to

exploit it in their own interests. Thus a moral ideology may be acknowledged by all men but often they twist it till it serves their interests even though it is contradicted in the process and one man quotes as authority for his actions what another quotes as authority for condemning them. In any situation a man will select from social doctrine what is of advantage to him and will exclude the rest, or will interpret a doctrine in the manner which suits his interests best. Christian teachings are supposed to determine human behaviour but what often happens in fact is that men control Christian dogma selecting from its doctrines what pays them and excluding the rest, or interpreting what conflicts with their actions so that it seems to support them.

(12) Finally, I will draw attention to Pareto's methodology which was sound even if his employment of it was often unsatisfactory. It may be summed up in two statements, (a) In a real situation we have to consider certain factors and neglect others if we are going to obtain scientific results. Science deals always with abstractions in this manner and allows for distortion until it can be corrected by further study of the neglected factors. Thus Pareto decided to pay no attention to environmental, historical, racial, and other, factors that condition social life but to study only the interrelations of psychological facts with one another and, to some extent, with economic changes and biological variations, (b) He tried to make a functional study of these facts by noting uniformities and interdependicies between them. He expressed contempt for people who seek to discover the origin of things both in terms of development and in terms of diffusion. Indeed one of the chief weaknesses of his book is that his exclusive interest in functional relationships of a psychological kind led him to neglect a study of cultural development and cultural variations which alone enable functional relationships to be established.

(13) There are many points in Pareto's rambling account about which criticism might be levelled against him. I have mentioned only a few and have rather sought to emphasize his contributions than his shortcomings and to remark upon those ideas which can be compared with the ideas of writers about primitive peoples and those which lead to important sociological problems. I would

make it clear that I do not consider Pareto's contributions to sociology of great importance. What is valuable in his writings is commonplace in comparative sociology. None the less he is a useful subject for treatment in an history of theories of primitive mentality.

COMMUNICATIONS

A BIBLIOGRAPHY OF ANCIENT EGYPT

We have been asked by the " Fondation Egyptologique Reine Elisabeth to publish the following circular:

Les égyptologues réunis en congrès à Bruxelles, en juillet 1935, ont émis le voeu que la Fondation Egyptologique leur distribue, à partir du 1er janvier 1936, des fiches bibliographiques semblables à celles qu'elle envoie, depuis 1932, aux papyrologues. L'instrument d'études le plus utile pour eux, ont-ils déclaré, est la masse abondante de références sur les divers problèmes de l'archéologie et de la philologie égyptiennes. Par suite de la grande dispersion des ouvrages scientifiques, c'est, pour chacun, une tâche presque irréalisable de se tenir au courant des publications récentes.

La Fandation va donc entreprendre ce travail. Pour le mener à bien, elle croit devoir compter sur la collaboration et l'adhésion des savants et des organismes qui s'interessent au développement de l'égyptologie. Elle espère qu'ils voudront bien lui signaler sans délai leurs nouvelles publications (spécialement celles qui paraissent dans des revues non égyptologiques) ou, si possible, les lui faire parvenir pour un compte rendu dans la "Chronique d'Egypte". Elle estime pouvoir recuillir ainsi, en moyenne, six cents références par année, qu'elle enverra périodiquement à ses abonnés sous la forme de fiches bibliographiques dont trois spécimes sont joints à la présente circulaire. Elle mettra de la sorte à la disposition des égyptologues un moyen d'information particulièrement sûr et rapide. La première série de fiches sera expédiée aux adhérents vers le début d'avril.

Le prix de l'abonnement annuel sera de 10 belgas. Il a été intentionnellement fixé à un taux bien inférieur à celui des frais réels de reproduction et d'envoi pour permettre à tous les égyptologues, et même aux étudiants, de se préparer une sérieuse documentation bibliographique. La Fondation, en acceptant la mission que lui ont confiée les membres de la Semaine Egyptologique de 1935, n'a pour but que de rendre service aux chercheurs qui consacrent leurs efforts à l'étude de l'histoire pharaonique.

Les versements peuvent être faits: au compte chèques postaux de la Fondation (nº 58725), à la Caisse Générale de Reports et

de Dépôts, rue des Tongres, Bruxelles (compte D 1436) ou par chèque adressé à la Fondation Egyptologique Reine Elisabeth. On est prié d'ajouter la mention: bibliohraphie égyptologique.

Bruxelles, février 1636.

BREASTED James Henry, The Dawn of Conscience.

New York - London, Ch. Scribner's Sons, 1934, 8°, XXVIII - 431 pp., pls.

C.R. par A.M. Blackman, Ann. of Archaeol. and Anthrop. 1934 p. 141 - H. Bonnet, Oriental. Lit. zeit. 31 (1934) coll. 599 - 600. - (J. Capart), Chron. d'Eg. 9 (1934) pp. 278 - 281.- A. de Buck, Jaarbericht n° 2 van... Ex Oriente Lux 1934 pp. 26 - 27. - R.O. Faulkner, Journ. of Eg. Archaeol. 20 (1934) pp. 219 - 221. - S.A.B. Mercer, Eg. Relig. 2 (1934) pp. 70 - 71. - Journ. of the Manchester Eg. and Orient. Soc. 19 (1935) pp. 53 - 54.

BOESER P.A.A., Demotic Papyrus from rhe Roman Imperial Time. Egyptlan Rellglon 3 (1935) pp. 27 - 63.

Traité de morale au Rijksmuseum van Oudheden, Leiden.

FEDERN Walter, Zur Familiengeschichte der IV. Dynastie Aegyptens.

Wiener Zeitschr. f. d. Kunde des Morgenl, 42 (1935) pp. 165 - 192.

ACKNOWLEGMENTS

The following publications have been received at the bureau of the Bulletin.

A. Publications in European Languages: —

"Annali" of the R. Istituto Superiore Orientale di Napoli. Vol. III Fasc. I. Ottobre 1935.

Bulletin of the John Rylands Library, Manchester. Vol. 19. No. 2 July 1935, vol. 20. No. 1 Jannuary 1936.

The "Classical Bibliography" (1935 volume) published by some Dutch learned institutions under the editorship of Dr. A. Hulshof Librarian of the University of Utrecht.

The Dacca University Studies. Vol. I No. 1 Nov, 1935.

En Terre d'Islam. 10e année, Mai-Juin 1935.

Hespèris, tome XVIII, Fasc. II. Tome XX. Fasc. I-II, Tome XXI, Fasc. I-II.

Zeitschrift der Deutschen Horgenländischen Gesellschaft.

Neue Folge. Band 14 — Deft 1, 2, 3/4. 1935.

B. Publications in Arabic.

مجلة الحديث   السنة التاسعة العدد العاشر . والسنة العاشرة العدد ٣ — ٤